الدوحة

التضامن هو الحل

بقلم الدكتور محمد عبده يماني



البحر الأحمر في العاصفة

بقلم: عصام الشيخ

هل ينجح إيف مونتان في الوصول إلى رئاسة فرنسا؟

بقلم: محمود قاسم

يومان لا ينسيان في تاريخ الإنسان

المسيرة التربوية بين الأصالة والمعاصرة



بقلم
الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم

حققت دولة قطر منذ استقلالها انجازات عظيمة في مختلف المجالات . وخاصة مجالات التربية والتعليم . وذلك بفضل الرعاية الخاصة التي يوليها حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر وسمو ولي العهد الأمين الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني لهذا القطاع . على اعتبار ان الانسان هو أغلى وأثمن ثروة موجودة على هذه الأرض . وهو صانع الحضارات والانتصارات .

ولقد حظيت التربية في دولة قطر بقفزات رائعة في تطورها من حيث الكم والكيف . وتوسع التعليم أفقيا ورأسيا حتى شمل جميع المناطق والمراحل بما فيها التعليم الجامعي ، كما شملت مجانية التعليم جميع مراحله ، بما في ذلك التعليم العالي ، في الداخل والخارج . وتحسنت جميع مدخلات العملية التعليمية البشرية من ادارة تربوية وتوجيه ، وادارة مدرسية ، ومعلمين ، ووظائف ، وكذلك المدخلات المادية من مناهج وكتب ووسائل وأجهزة ومعدات وآلات وأدوات مدرسية .

ملامح المسيرة التعليمية

وتتميز المسيرة التربوية في دولة قطر بعدة أمور من أهمها .. استقلالية الشخصية التربوية على اعتبار أننا أمة لها مميزاتها الخاصة بها كأمة عربية اسلامية لها عقيدتها السمحة ودينها الحنيف وحضارتها العربية وتراثها الأصيل وتاريخها الناصع وقيمها النبيلة . لذلك يجب أن يشب ابناؤنا على الولاء الوجداني العميق لهذه الأمة وعلى الاعتزاز بالانتماء اليها انتماء لا يخالجه شك ولا يخامره تردد مهما كانت المصاعب والتحديات .

ومن هذا المنطلق نحرص في مناهجنا على ترسيخ التربية الايمانية في نفوس الطلاب من ايمان بالله الواحد الأحد وايمان بمبعث رسوله صلى الله عليه وسلم . حيث يمثل هذا الايمان منهاجا وسلوك حياة ونموذج عمل وتعامل . وهذا واضح في مناهج العلوم الشرعية من علوم القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه والتوحيد والسيرة أو في أي مادة من المواد أو أي ممارسة على المستوى الاجرائي في العملية التعليمية . ويوضح الميثاق الاخلاقي لمهنة التربية والتعليم في دولة قطر هذا الاتجاه بما لا يدع مجالا للشك .

بين الأصالة والمعاصرة

ونحن في دولة قطر مع حفاظنا على أصالتنا وعراقتنا وتراثنا واعرافنا وتقاليدنا المستمدة من ديننا الحنيف ، بحيث تبقى لنا شخصيتنا العربية الاسلامية المتميزة . لم ننس أننا نعيش في النصف الثاني من القرن العشرين حيث التقدم العلمي والتفجر المعرفي والتطور التقني وحيث يحمل كل يوم جديداً في عالم تميز بازدياد الترابط وسرعة الاتصال ، لذلك فقد عملنا بحرص على التوازن بين هذا وذاك نرعى أصالتنا بعين ونرمق التجديد والتطور في عصر الذرة وغزو الفضاء بالعين الأخرى

التقنيات التربوية والحاسب الآلي

لذلك فان بيئتنا المدرسية المحافظة تتميز بمناهج متطورة

وكتب مدرسية متجددة وتقنيات تربوية من أحدث ما وصلت اليه التكنولوجيا الحديثة ومستحدثات تربوية على مختلف المستويات .

ونظرا لأهمية التقنيات التربوية فى تيسير المعرفة وترسيخها وتثبيتها فى أذهان الطلاب فقد أولى هذا الجانب اهتماما كبيرا من قبل الوزارة . ولعل من أهم نتائج خطة التطوير أننا أصبحنا نعتمد على انتاجنا الذاتى لكثير من التقنيات التربوية واكثر من ٨٠ فى المائة من الوسائل التعليمية .

ولقد أنشأنا هذا العام ادارة خاصة بالتقنيات التربوية تضم الوسائل التعليمية والتلفزيون التربوى .

كما شكلنا هذا العام لجنة برئاسة السيد وكيل الوزارة لمتابعة استخدام الحاسب الآلى ودراسة امكانية توظيفه فى مجالات التعليم فى دولة قطر وتحديد مجالات الاستخدام واستراتيجية التنفيذ وأساليب وأسس التوسع فى المستقبل واعتماد برنامج التدريب واعداد الكوادر المحلية وتوفير مستلزمات وامكانيات التدريب .

تطوير البيئة المدرسية

لقد أصبحت البيئة المدرسية بالنماذج الجديدة المطورة للمدرسة القطرية ، والتى تعاونت فيها الوزارة مع وزارة الأشغال العامة ومنظمة اليونسكو ، موضع اعتزاز وفخر ، بما تحويه من تسهيلات تعليمية ذات كفاءة ، ومن تكامل جعلها أكثر جذبا لأبنائنا الطلاب .. فهناك ، الى جانب الصفوف كل التسهيلات التعليمية من مختبرات لغة ومختبرات علمية وصالات رياضية مغلقة وصالات متعددة الأغراض ومراسم ومكتبات وحدائق مدرسية وملاعب وساحات الى غير ذلك .

تطوير اعداد المعلم وتدريبه

لقد كان إعداد المعلم القطرى محصورا بدار المعلمين العامة للمعلمين والمعلمات ، وأصبح إعداد المعلم يتم الآن من خلال كلية التربية للبنين وكلية التربية للبنات للمرحلتين الاعدادية والثانوية . ثم انشأنا برنامجا لبكالوريوس التربية للتعليم الابتدائى ، فأصبح معلم المرحلة الابتدائية وكذلك معلمتها من حملة المؤهلات التربوية العالية . وبالاضافة الى ذلك أنشأنا الدراسات المسائية فى كلية التربية لاستكمال تأهيل المعلمين القدامى وكذلك تأهيل المعلمين الذين ليس لديهم مؤهلات تربوية من خريجى الكليات الأخرى .

ونظرا لأهمية تدريب المعلم فى اثناء الخدمة لصقل خبراته ومعارفه ، واطلاعه على كل جديد فى المادة والأسلوب ، فقد انشأنا قسما للتدريب التربوى حيث يتولى هذا القسم بالتعاون مع جامعة قطر تدريب حوالى الفى معلم ومعلمة سنويا .. وتشمل الدورات التدريبية جميع التخصصات وجميع المراحل .

وبالاضافة الى ذلك تم تطوير معظم النظم التربوية كنظام الامتحانات للطلاب النهاريين والليليين ونظام الرعاية الاجتماعية ورعاية الموهوبين والمعوقين ونظم النشاطات المدرسية . وتجرى الآن دراسة نظام الفصلين الدراسيين وكذلك نظام المقررات الدراسية .

وقد رأينا أن نقرن التراث بالتحديث من أجل دفع المسيرة التربوية الى غايتها المنشودة حتى لوكان هذا التحديث مقتبسا عن الأمم الغربية .. ولنا فى أجدادنا أسوة حسنة حين كان هؤلاء الأجداد قادة العلم والمعرفة وذلك بفضل اقبالهم للاستفادة من خبرات الأمم السابقة وتراثها العلمى والفكرى والتربوى ، فنقلوا عن اليونانية والسريانية أمهات الكتب فى المنطق والفلسفة والطبيعيات ، فحققوا بذلك نهضة لا تزال مآثرها حية حتى اليوم اما حين تقوقع الأجداد على انفسهم وأقفلوا باب الاجتهاد فقد قضوا على سر عبقريتهم واتاحوا لتلاميذهم الأوربيين ان يتفوقوا عليهم .

ان الاستراتيجية التربوية فى دولة قطر قد أخذت على عاتقها ــ فى ظل الاستقلال ــ أن تعى هذا الدرس وتستخلص منه العبرة ، فعملت على ان تقوم على دعامة قوية من التراث تحفظ لها هويتها وتحقق شخصيتها . وعلى دعامة أخرى من التحديث تحفظ لها قدرتها على اللحاق بركب الحضارة .

وقد حرصت الاستراتيجية التربوية فى ظل الاستقلال على توسيع القاعدة التربوية الى اقصى مدى ممكن . وظل هذا التوسع فى ازدياد ونمو عاما بعد آخر حتى وصل هذا العام إلى نتائج طيبة بالقياس الى عمر التعليم فى دولة قطر .

فقد بلغ عدد الطلاب والطالبات فى هذا العام ٥٠٠٣٦ طالبا وطالبة فى المراحل الابتدائية والاعدادية العامة والثانوية العامة والمراحل التخصصية ، منهم ٣٠١٧٤ طالبا وطالبة فى المرحلة الابتدائية ، و ١١٨٤٧ فى الاعدادية العامة ، و ٧٤٠٤ فى الثانوية العامة ، و ٦١١ فى المراحل التخصصية .. ومن بين هؤلاء الطلاب ٢٥٨١٩ طالبا , ٢٤٢١٧ طالبة .

ولئن كانت هناك مسافة لا تزال باقية بين الطموح والواقع ، فاننا واثقون أن مثل هذه المسافة ستضيق شيئا فشيئا ، حتى نستطيع أن نصل فى المستقبل القريب الى الهدف المنشود ، وليس هناك من شيىء يعيقنا عن ذلك ، بعد أن أولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى ــ حفظه الله ورعاه ــ وسمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ولى عهده الأمين ، جل عنايتهما ورعايتهما للناشئة من أبناء الشعب القطرى ، الذين هم نصف الحاضر وكل المستقبل ، لكى نصل الى مانصبو اليه جميعا من رفعة وعزة ومنعة وازدهار لهذا البلد العزيز .

والله نسأل أن يوفقنا الى مايحبه ويرضاه .

بين الكاوبوي الأمريكي والدب الروسي ـ ٤

التضامن هو الحل



بقلم: الدكتور محمد عبده يماني

هناك اجماع لا جدال حوله على تقسيم القوى العالمية في عصرنا الراهن الى قوتين اثنتين ليس غير: القوة الأمريكية، والقوة السوفيتية.

أما باقي القوى، مهما بلغت، فانها تصنف اما على أساس دورانها في فلك احدى القوتين الكبيرتين، أو على أساس أوضاعها «الاقليمية» في المناطق التي توجد فيها.

ولقد ذهب المعلقون والمحللون الى وصف القوتين الكبريين بكلمات توحي وكأنه ليس في الدنيا سواهما، فقيل «القوتين الأعظم» وقيل «القوتين الأكبر» وقيل «القوتين العظيمتين».. وقيلت أوصاف كثيرة اخرى.. ونحن لا نجادل في مدى صحة تلك الأوصاف ولا في مدى استحقاق كل من القوتين لهما..

ولكننا نجادل تجاه هذه الحالة الغريبة من التسليم بتلك الأوصاف وكأن القوتين الأعظم قد استباحتا الأرض وما عليها لأطماعهما وكأن ليس على سطح البسيطة سواهما، وكأن الوقوف في وجهيهما أمر مستحيل، وان على الدول الأخرى أن تختار بين هذه وتلك من القوتين تنضوي تحت لوائها وتحتمي بظلها أو يكون مصيرها الضياع والدمار..

ذلك أن سبب قوة أمريكا وروسيا هو بالذات ـ وفي نفس الوقت ـ سبب ضعفهما..

وقد تحدثت في المقالات السابقة «الدوحة: ابريل و يونيو ويوليو ١٩٨٤ م» عن آثار وممارسات الكاوبوي الأمريكي التقليدية.. والتي حفرت في أعماق الشخصية الأمريكية، وأدت الى نشأة اجيال مشبعة بروح الكاوبوي ـ تؤمن بالمسدس، وسرعة الحركة وسيلة للتعبير عن الذات.. وفي الطرف الآخر يقف الدب الروسي ضخم الجثة، بطيء الحركة، قوي الضربة (محباً للعسل) وحتى اكتملت المأساة في عالمنا المعاصر.. الكاوبوي الأمريكي من ناحية، بمسدسه سريع الطلقات، والدب الروسي بضخامته وهيامه بالعسل من ناحية أخرى.. وفي هذا المقال الأخير... احاول وضع تصور عن أبعاد العمل في المرحلة القادمة.

وهكذا رأينا أن الاتجاه الى التكتل الدولي، على أوسع نطاق، رغم التناقضات

ورغم الخصومات التاريخية والعداوات التقليدية . هو السمة المميزة للعصر الذي نعيش فيه تستوي في ذلك الدول المتحضرة والدول المتخلفة والدول الكبرى والدول الصغرى لأن كلاً منها يشعر بأنه لا يستطيع الوقوف وحيداً في ساحة تتصارع فيها الوحوش البشرية لدرجة الموت ، وتتكشف فيها المطامع والأهداف العدوانية الى درجة التدمير .

وحتى العمـلاقـان ــ الكاوبوي بمسدسه ، والدب بمخالبه ، يبذلان جهوداً مستميتة لاكتساب الأعوان والحلفاء والأصدقاء ، لأنه لم يعد للفرديين والانعزاليين مجال في عالم الثورة الاليكترونية والكومبيوتر والصعود الى الكواكب .. وعلى أهل الأرض جميعاً أن يختاروا لهم طريقاً .. مع الكاوبوي .. أو مع الدب .. أو مع بعضهم البعض .

فالتكتل والتضامن هو الحل . والمهم هو اختيار اتجاه التكتل وتحديد جهة التضامن . وما من شك في أن كل دولة تتجه الى هذا المعسكر أو ذاك . أو ــ تعمد الى الدخول في تكتلات إقليمية ، انما تنطلق في ذلك من اوضاعها البشرية والجغرافية والاقتصادية والسياسية ، ومن عوامل اخرى لا تخفى على القارئ .

ولو أردنا أن نسرد تاريخ دول أمريكا الوسطى والجنوبية خلال مائتي سنة خلت ، لتبين لنا أن هذا التاريخ ــ منذ بدايته وحتى يومنا هذا ــ إنما هو صراع مكشوف ومستتر ، ما بين تلك الدول والولايات الامريكية ..

فالولايات المتحدة لا تفهم من منطق التعاون الدولي سوى « الاحتواء » وهو الأمر الذي رفضته شعوب أمريكا اللاتينية ، فكان هذا الرفض سبباً في سلسلة الانقلابات ، والثورات ، والاضطرابات ، والفوضى التي كانت ــ وما تزال ــ تجتاح معظم تلك البلاد ، في صراع ضد الهيمنة الأمريكية وأعوانها في الدول الامريكية اللاتينية ، وما يستتبعه ــ بالضرورة ــ من تنصيب « العملاء » حكاماً ، ثم سقوط أولئك العملاء ، بشكل أو بآخر ولسبب أو لآخر ، ومجيء سواهم ، لتعود الدوامة الى الدوران من جديد ، فاذا كان الحكام الجدد محل الرضى الأمريكي اشتعلت النار ما بين العميل الحاكم وبين شعبه ، واذا لم يكونوا كذلك هبت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لاسقاط أولئك الحكام تحت مختلف الحجج وبمختلف الوسائل ، حتى ولو أدى ذلك الى ارتكاب عملية قتل علنية كما حدث مع رئيس التشيلي السابق « اللليندي » ..

ولأن أوربا الغربية أكثر تحضراً وثقافة ووعياً ، فقد كان مسار علاقاتها مع أمريكا يتسم ، ظاهرياً ، بالتفاهم والانسجام ، ولكنه لا يلبث أن يتفجر على شكل خلافات حادة ، كما حدث أيام ديجول ومن تلاه من الرؤساء الفرنسيين ، وما أعقب ذلك من هزات عميقة أصابت المؤسسات الأوربية الوحدوية كالسوق المشتركة والبرلمان الأوربي وغيرهما .

ولولا أن لامريكا صديقين مطيعين في المجموعة الأوربية ــ هما بريطانيا أولاً والمانيا ثانياً ــ لكانت العلاقات الأمريكية ــ الأوربية أسوأ بكثير مما هي عليه الآن .



اللليندي سلفادور — شارل ديجول

أما بالنسبة للسوفييت فالمسائل تعالج بشكل آخر فيه نسبة عشرة في المائة من السياسة وتسعون في المائة من العنف ..

فالعلاقة بين السوفييت وحلفائهم هي علاقة تقوم تحت مظلة من حراب الجيش الأحمر ودباباته وطائراته وصواريخه .. فالحوار ممنوع ، والتفاهم لا سبيل اليه ، والرأي لا قيمة له ، والموقف الذي يشتم السوفييت منه شيئاً من التفكير في الانعتاق يسحق في الحال بالدبابات ولو أدى ذلك الى ابادة أي عدد من البشر أو هدم مدن بأكملها على رؤوس أصحابها ، وشواهدنا في ذلك ما حدث في المانيا الشرقية ثم في المجر ثم في تشيكوسلوفاكيا وبولندا .

وبالمنطق نفسه تدفقت آلات الحرب السوفيتية على أفغانستان لفرض نظام مرفوض من قبل الشعب بقوة الحديد والنار ، ولا زال في أفغانستان قائماً على النحو الذي نعرف .

ولقد أشرت من قبل الى المؤسسات التضامنية لدول ما يسمى بـ « العالم الثالث » ما بين منظمات وجامعات وهيئات لعدم الانحياز وللدول الأسيوية والدول الافريقية والدول العربية وتبين لنا أن المنظمات التي لا تستهدف مصالحنا الحقيقية ، مسلمين وعرباً ، بشكل مباشر تعتبر منظمات « رمزية » أكثر منها عملية تستطيع أن تحقق لنا السلامة وسط غابة الوحوش المتصارعة في معظم بقاع الأرض .

ولعل الحقيقة الأولى التي يتوجب أن نستوعبها بأعمق ما يمكن من الفهم ، هي ان امة الاسلام هي الأمة الوحيدة في العالم ذات المؤهلات والمسوغات التي تسوق ــ تلقائياً ــ إلى أن التضامن والتعاون والتفاهم هي الحالة الطبيعية التي يجب أن تكون ، وأن خلاف ذلك هو حالة شاذة يجب أن يوضع لها حد ، ويوجد لها حل ، وأن يقضى عليها من غير تردد .

فالتضامن ــ كما معروف ــ هو من أسس الايمان ومقوماته ، والإسلام يأمر بالتضامن ، ويحث على التعاون والاخاء ،

٤ - التضامن هو الحل

ويذكر المسلمين أننا أمة واحدة ، وأن رضى الله سبحانه وتعالى هو جزاؤهم الأكبر إذ يصدقون بموجبات التضامن ، مع التحذير الشديد من التباعد والفرقة ، والنهي عن العداوة والتنابذ .

فأن نتضامن ، معناه أن نعبر عن صدق إيماننا ، وأصالة انتمائنا الى دين الحق ، وأن نتباعد معناه أن نغفل أحد أسس الإسلام ، وأن ندع أنفسنا للرياح ، شرقية وغربية ، تجذبنا هنا وتطوح بنا الى هناك ونحن — في جميع الأحوال — لا حول لنا ولا طول .

نحن لا تهمنا دعوات أمريكا لانشاء الأحلاف ، و « الاحزمة » حول بلاد السوفييت بحجة حماية « العالم الحر » ..

ولا تهمنا محاولات السوفييت لاقامة نظم موالية لهم ، واشعال نار الاضطرابات تضامناً مع ما يسمونه « الثورة التحررية العالمية » ..

فكلا الجهتين لا تهتم بأمرنا إلا بمقدار ما تفيد منا ، ولا تنظر إلينا أكثر من نظرتها الى موارد الطاقة ، والى وقود لصراع قد يقع بينها وبين الدولة الأخرى ، تتقي شرورها بنا ، وتحتفظ برأسها — وقت الصراع — سالماً على حسابنا .

ولا تخدعنا ، بأية حال من الأحوال ، دعوات هؤلاء ولا دعايات أولئك ، حول « السلام » و « العدل » و « حقوق الانسان » و « ميثاق الأمم المتحدة » و « ميثاق الاطلسي » (هل تذكرونه ؟) و « الحريات الاربع » .. وكل ذلك اللغو الذي لا يزيد عن أن يكون بضاعة مرحلية تتاجر بها الدولتان الكبريان كلاهما ، من أجل تحقيق مصالحهما الذاتية ليس غير ، دون أدنى اهتمام بالنظر في مصالحنا .

هذه حقائق لمسناها وعايشناها في مناسبات كثيرة ، لعل أهمها وأكثرها تأثيراً موقف الدولتين ، كلتيهما من صراعنا التاريخي مع العدو الصهيوني . فما من منطق يبرر أكبر جريمة في التاريخ — وهي جريمة انتزاع فلسطين من أهلها — على يد الدولتين الكبريين بالذات ، وتعاونهما — لاول مرة وآخر مرة — معاً في الأمم المتحدة ومجلس الأمن وعلى الطبيعة لسلب الحق العربي وفرض الباطل الصهيوني .

فلا خير لنا — إذن — يرجى من أي من المعسكرين ، والخير — كل الخير — في أن نعرف مصالحنا ونتجه إلى أخوتنا ، فنتضامن ونتعاضد ونتكاتف ، ونشكل الكتلة الاسلامية الدولية الحقيقية التي لا يقتصر نشاطها على الأمم المتحدة وحدها (وهو نشاط مذكور ومشكور) وانما يمتد إلى جميع نواحي الحياة .

التضامن الإسلامي هو الحل .. ولا حل سواه بالنسبة لنا كمسلمين ، وكعرب ضمنا ..

ولو أنك وقفت أمام خارطة تمثل ما بين المحيط الهادى والمحيط الاطلسي لكان أول ما يلفت انتباهك هو ذلك الامتداد المهيب للعالم الاسلامي ، من اندونيسيا في أقصى الشرق إلى المغرب والسنغال في أقصى الغرب .

وهو امتداد متواصل لا يقطعه سوى السرطان الصهيوني الذي أقيم عند موقع التقاء القارتين الاسيوية والافريقية . وهذا — بالتحديد — ما أراده أعداء الاسلام حين زرعوا ذلك الجسم الخبيث في قلب العالم الاسلامي ..

ولو اعتمدت الأرقام وسيلة لحصر امكانات العالم الاسلامي لبلغت ارقاماً عالية لا تدانينا فيها أمة أو مجموعة أمم في العالم ..

فمن حيث الكثافة البشرية نكاد نبلغ ضعف الكثافة الروسية والأمريكية معاً .. ومن حيث الثروات الطبيعية من زراعية ومعدنية نملك منها ما لا يكاد ينفد معينه الى بضع مئات مقبلة من السنين ...

ومن حيث الامكانات الصناعية والانتاجية تنفتح الآفاق أمامنا لكي نفعل الكثير إنتاجياً واستهلاكياً ..

ولو جمعنا القوى المقاتلة التي نستطيع ان نحشدها ، كما كنا نفعل أيام الأمجاد الاسلامية لاجتمع لنا جيش ربما لا يدانيه ، من حيث العدد ، جيش في الدنيا .

ولو .. ولو .. الى آخر تلك الافتراضات التي نخرج منها دائما بنتائج تدعو للتفاؤل والارتياح .. خلافاً لما قد يتبادر للذهن أول وهلة ..

لماذا — اذن — لانحقق أهدافنا في الوقوف قوة عالمية عظمى لها وزنها ولها كلمتها ولها هيبتها واحترامها ؟

والجواب نجده — للأسف — من خلال وقفة أخرى نقفها أمام خارطة العالم الإسلامي .. من المحيط الى المحيط ..

إنك لو أمسكت ورقة وقلماً ، وحاولت أن تستعرض نقاط الخلاف ونقاط الوفاق القائمة فعلا بين بعض الدول الاسلامية لروعتك النتيجة .. فتلك الدول تشغل نفسها في خلافات فيما بينها لا قيمة لها ولا وزن ، ومع هذا فانها تستهلك جهدها ومالها ، وأحياناً طاقاتها العسكرية ، وتصرفها عن الأمور ذات الأهمية الحقيقية ..

ولو حاولت أن تعرف أسباب تلك الخلافات لكانت نتيجة ذلك أكثر ترويعاً .

فأنا لم أقتنع قط بأية حجة أدلى بها المختلفون فيما بينهم في تبرير خلافهم مع هذا الشقيق المسلم أو ذاك .

كلها حجج مصطنعة ، وأسباب واهية — غير بعيدة في الواقع عن الاصابع الأجنبية الغربية — ويمكن أن تحل في لحظة واحدة إذا كانت الارادة صادقة والنية سليمة .

ولا أريد أن أذكر أسماء هنا ، فكل قارئ يعرف تلك الأسماء ، ولكنني أناشده أن يوجه تفكيره — بضع دقائق فقط — إلى عوامل الخلاف بين بعض الدول الاسلامية ، ثم يفيدني عن مدى قناعته بجديتها واستحقاقها للاستمرار والبقاء .

انني على أتم اليقين بأن الجواب سوف يكون أنه لا شئ يرقى الى مرتبة الجدية ، وأن كل شئ يمكن حله وتصفيته في دقائق اذا ....

فالحرب الدائرة في الخليج الآن .. ما من أحد يعرف لها سبباً ولا أحد يعرف لها هدفاً . ومع هذا فقد استنفدت أكثر من مائتي مليار دولار حتى الآن ، أخذها تجار السلاح وصانعوه في أوربا وأمريكا وروسيا ، وراحت عشرات الالاف من الضحايا ، عسكريين ومدنيين . وتعطلت مسيرة التضامن الاسلامي في هذا الجزء من العالم دونما سبب مفهوم ، أو هدف معلوم ..

اننا نسجل ــ بكثير من الالم ــ أن الجهد والمال والسلاح والوقت الذي أهلك في تلك الحرب التي لا معنى لها كاف لأن يقضي على اسرائيل عشر مرات على الاقل مع ما تملك من سلاح وامكانات عسكرية ..

ترى هل استمرار اشتعال هذه الحرب اشارة لاسرائيل كي تطمئن ، وبالتالي كي تسدر في عربدتها وعدوانها في لبنان وغير لبنان .. ؟ ..

لقد كان من أولويات ميثاق التضامن الاسلامي أن الامور الداخلية لكل بلد إسلامي هي من شأنه وحده ، ولا يسوغ بالتالي بلد إسلامي ما لنفسه أن يدس أنفه في شئون سواه . فاذا ما نظرنا الى حالة العالم الاسلامي اليوم ودققنا في أبعاد الاعتداءات والتدخلات والهجمات المختلفة بين الدول الاسلامية ، لوجدنا أسئلة كبرى .. تبقى حائرة بدون إجابة . لمصلحة من تتم هذه التدخلات في الشئون الداخلية لبلد اسلامي من بلد اسلامي آخر وأي سند لها ؟ وعلى أي حكم من أحكام الدين تعتمد ... ؟

ولماذا لم تفلح المؤسسات .. والتنظيمات الاسلامية في وقف هذا النزيف ومنع هذا البلاء الذي يعصف بأبناء هذه الأمة .. ويضعفها .. ويهدر امكاناتها ؟

إنه سر آخر من أسرار العجز الاسلامي ، والعربي ضمناً ، حين نرى السلاح يمتشق لتقاتل الاخوة ، واعداؤهم الحقيقيون يسرحون على هواهم في فلسطين وما جاورها ، وفي منطقة الخليج ، وفي افغانستان ، وفي بقاع اسلامية وعربية أخرى .

إننا لا نفهم ــ ولا نقر ــ منطق أي مسلم يرفع السلاح في وجه أخيه المسلم مهما كانت المبررات ولا نغفر ــ ولا نتسامح ــ أن يتخذ بعض المسلمين الاقتتال وسيلة لحل الخلافات في شئون يمكن حلها في جلسة واحدة تصفو فيها النية وتصدق الارادة .

فالتضامن الاسلامي هو الحل الذي تستطيع كل دولة اسلامية أن تجد فيه خلاصاً من بعض مشكلاتها وكل خروج عن مقتضياته إنما هو بمثابة تعطيل للمسيرة الاسلامية ، وتخريب للجهود التضامنية واهدار للوقت والجهد والمال والأرواح فيما لا طائل تحته .

لقد خاضت دول أوربا حرباً طاحنة ضد بعضها (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) راح ضحيتها أكثر من عشرة ملايين نفس ، ودمرت دول ومدن . وأهدرت مليارات الدولارات ، وطالت آثارها كل بقاع الارض تقريباً .

اليوم نجد هناك من يقول أن تلك الحرب لها مبرر ــ تصور ــ وأنه كان في الامكان تلافيها بشيء من الحكمة والتفاهم . لا سيما بعد مآسي الحرب العظمى التي سبقتها (١٩١٤ ــ ١٩١٨) ووجه كثير من الباحثين والمحللين جهودهم لتقصي الكيفية التي تطورت فيها الحرب


هتلر

الى المدى الذي وصلت اليه . وخرجوا بتلك النتيجة التي أشرنا اليها .

بل ان هتلر نفسه ــ وهو المتهم باشعال نار الحرب ــ قال في وصيته التي عثر عليها في مقره بعد اختفائه « اللعنة على من أشعل نار هذه الحرب » وهو بذلك يشير الى « الأصابع الخفية » التي لعبت لعبتها دون انتهاء الحرب العالمية الأولى التي أذلت المانيا وقيدتها بقيود لا يمكن إلا أن تؤدي إلى حرب جديدةوهو ما جرى فعلاً .

أريد أن أقول أن الحرب هي أبشع جريمة ترتكبها دولة تستطيع أن تحل مشكلاتها مع الآخرين بالتفاهم والنية الطيبة . فكيف يكون الحال اذا كانت الدولتان شقيقتين وجارتين ومسلمتين .. ؟

وأخيراً ..

أعود وأقول ، انه وسط أزيز رصاص الكاوبوي الأمريكي . ووقع خطوات الدب الروسي ، في هذا الزمن لا مصلحة لنا ، نحن المسلمون ، في حلف مع هذا أو معاهدة مع ذاك . فأحلافنا نعقدها فيما بيننا ومعاهداتنا نبرمها فيما بيننا وخلافاتنا ، يجب أن نحلها فيما بيننا .

فنحن أقوياء بقدر ما نتضامن ونحن ضعفاء بقدر ما نتباعد .. نحن أقوياء بالله ، وبديننا ، ثم بأنفسنا وبأصالتنا .. ووعينا .. وحسن إستخدام إمكاناتنا ..

ونحن ضعفاء إذ نغفل عن أن التضامن والتواد والتراحم هي بعض ما أمرنا به ديننا القويم .. واذ نعي ذلك ، ونعمل به ، فليس يهمنا ــ بعون الله ــ أن يطلق الكاوبوي الامريكي مسدسه في أي اتجاه .. ولا أن يسير الدب الروسي في أي مكان ما دمنا قادرين . بتضامننا وتعاوننا على العمل المخلص ــ الصادق .. البناء وأن نكون كالجسد الواحد .. اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .. عندها ندعو .. وننادي بأعلى أصواتنا ..

اللهم .. اللهم نصرك الذي وعدت ، وعندها تكون الاجابة .. ويكون العون فذلك وعد الله .. ولن يخلف الله وعده ..

محمد عبده يماني

يومان لاينسيان في تاريخ الإنسان

بقلم : فتحي رضوان

وأعني بهما يومي السادس والتاسع من شهر اغسطس ١٩٤٥ ، اليومين اللذين القيت فيهما أولى قنبلتين خرجتا من جحيم الانسان . لتقتل وتدمر وتحرق وتبدد وتجرح وتعمي مئات الألوف من البشر : ابرياء . لم يرتكبوا إثماً ، ولم يسفكوا دماً ، ولم يشاركوا في الحرب بأية وسيلة ، ولا على أية صورة .

اعني بهما اليومين اللذين سقطت فيهما قنبلتان من طائرتين امريكيتين على شعب هيروشيما ونجازاكي ، فابادتا المدينتين . وكل من فيهما من آدميين ، وما يملكونه من متاع الحياة اليومية ، والنفائس والتحف والطرائف والكتب والسيارات والملابس . وكل ما يخطر على بال .

هذان يومان لا يشبههما يوم آخر منذ ما دبت قدم الانسان على هذه الأرض ، وهي مدة تحسب بالملايين . شهدت الحروب والفواجع والتطورات والانقلابات ، ومع ذلك فليس في هذه الملايين من السنين التي قفز خلالها الانسان الى العمر بعد الحبو على سطح الأرض ، والسير الوئيد والجري النشيط . فوق القمر الذي كان ينظر اليه الناس وينظم فيه شعراؤهم القصائد الجميلة وهم يحسبونه ابعد من أن يصل اليه آدمي ، وان حظ ابناء آدم سيبقى منه أن ينظروا اليه ويتمتعوا بالتأمل فيه ، والسبح في الخواطر التي يبعثها في نفوسهم ضوؤه الجميل .

ولكن يومي ٦ و ٩ اغسطس سنة ١٩٤٥ جاءا ليثبتا أن في جعبة الانسان اشياء تذهل الانسان نفسه . وتجعله يتساءل أهو تهذب وتسامى وارتقى وألف واخترع وأتى بالعجائب والغرائب ، وأحال الدنيا الواسعة الى قرية صغيرة . أم أنه شيطان يريد أن يطلع على الكون الرحيب وفي يديه مفاتيح يديرها يميناً ويساراً . فتخرج المردة من القماقم وتهب الاعاصير الجائحة . وتنطلق البراكين الماحقة ، وتكتسح أول ما تكتسح الانسان نفسه وبيوته التي بناها والحضارة التي شادها . وثروات علمه وفنه التي افتن في صنعها ، ثم نسقها وصنفها وراح يباهي بها ويفاخر بروعتها وجلالها .

لقد مر علينا يوم ٦ أغسطس وتلاه يوم ٩ أغسطس ، وتجددت ذكرى هذا الجحيم المفتوح التاسعة والثلاثون . فلم يحتفل بها ، ولم يلتفت إليها الناس أو المجتمع الانساني كما كان يجب . ولم يستعد أحد وقائعها الدامية ، ولم يستمد منهما العظة والاعتبار .

ولكن ما يجوز لابناء العالم الثالث أن يقعوا في هذا الخطأ . فقد راحوا ضحية ما جرى فيهما ، وهم بعد يسمعون عن التجارب الذرية والقنابل النيترونية والهيدروجينية ، وانشطار الذرة والتحام الذرة ، وهم ليس لهم ما يزجون به الفراغ الا آلام الجوع ، والفقر .

ولحسن الحظ سجل كاتب أمريكي وقائع اليوم الأول — أي السادس من اغسطس — في هيروشيما ، بأسلوب فريد . فقد سأل عدداً من أهل هذه المدينة عما كانوا يفعلونه قبل القاء القنبلة مباشرة ، وكيف كانت صدمة القنبلة لهم ، ثم كيف افاقوا منها . وهي وقائع كان من الممكن أن تصنع شريطاً سينمائياً يوقظ ضمير الانسان ويحرك اعمق دوافعه ، ويفتح باب المستقبل أو يقفله ، حسبما يقرر الانسان ويختار . فاما أن يجعل القوة الذرية سيده المتجبر المتكبر الذي لا يقاوم ، واما أن يجعلها خادمه المطيع وعبده المذعن .

ولكن هذا الشريط لم يخرج بعد للناس ، ربما لان السلطة لا تريد أن تسجل على نفسها وقائع هذه الجريمة المروعة . مكتفية بالشرائط التي تقوم على التخيل والتصور .

أما الحقيقة بوجهها المشوه الدميم ، فإليك نتفاً منها :

كانت شخصيات قصة (جون هيرس) هي : لوشيكو سازاكي ، كاتبة بادارة مستخدمي مصانع الصفيح لآسيا الشرقية .

السيدة نكامورا — أرملة ترزي

الدكتور كلاينبورج — قسيس كاثوليكي الماني

الدكتور نيرو فومي سازاكي — جراح شاب في مستشفى الصليب الأحمر

القسيس المسيحي الياباني (تانيموتو)

أما الشخصية الأولى فقد كانت جالسة على مقعدها في ادارة المصنع في حين كانت

السيدة نكامورا أرملة الترزي أمام نافذة مطبخها ترقب جارا لها يهدم منزله بنفسه ليفسح طريقاً ليسهل على الناس النجاة من حرائق الغارات الجوية العادية التي كانت اليابان هدفاً لها قبل غارات القنابل الذرية .

أما الدكتور كلاينبورج فقد كان في ملابسه الداخلية على سرير صغير في الدور الأعلى من منزل البعثة الكاثوليكية الذي يتألف من ثلاثة طوابق . وكان يقرأ مجلة اسبوعية .

أما الدكتور سازاكي الجراح الشاب ، فقد كان يحمل في يده عينة من دماء مريض ليختبرها في معمل المستشفى .

وفي هذا الوقت ذاته كان القسيس المسيحي الياباني واقفاً على باب رجل ثري يحي (كوي) وهو الحي الغربي من المدينة ، وكان امامه عربة يد ، عليها بعض المتاع الذي اراد أن ينقذه من الغارات الجوية بنقله الى منزل صديقه في ذلك الحي ، وقد كان أهل هيروشيما يتوقعون أن تقوم الطائرات الأمريكية (ب ٢٩) بغارات على مدينتهم .

ولنر ماذا حدث لهذه الشخصيات بالترتيب الذي سبق .

كانت الآنسة (سازاكي) قد استيقظت مبكرة في منزلها لتقوم بطهو الطعام لاسرتها طعام الافطار أولا لها ولأبيها ولأخيها الطفل واختها ، ثم طعام كامل لاولاد أخيها ، بحيث يمكن لأبيها أن يأخذ معه الى المصنع الذي يعمل فيه وجبة الظهيرة ، وبعد أن اتمت هذا الواجب وقامت بغسل الاطباق كانت الساعة قد قاربت السابعة ، فغادرت منزلها في حي كوي الى مصانع الصفيح ، ولما وصلت الى المصنع ذهبت الى المكتب ، وجلست في مقعدها الذي يبعد عن النوافذ التي تقع على يسارها ، وكان خلفها صوانان طويلان للكتب . ثم بدا لها أن تتحدث الى جارتها ، قبل أن يستغرقها العمل ، وبمجرد أن ادارت رأسها امتلأت الحجرة بضوء تعشى له الابصار . فاضطرب جسمها من الخوف ، وجمدت في مكانها لا تتحرك لحظة طويلة فقدت خلالها وعيها . ولما أفاقت بعد مدة قدرتها فيما بعد بثلاث ساعات ، رأت أن السقف قد انهار ، وأن الاخشاب قد تجمعت فوقها ، كما سقطت اسقف الحجرات التي كانت تعلو حجرتها ، وسقط الناس الذين كانوا فيها ، كما ادركت أن الكتب التي كانت في الصوانين انقذفت من مكانها في عنف وشدة ، وألفت الآنسة سازاكي نفسها ملقاة على الأرض من الامام الى الخلف ، فانثنت رجلها اليسرى انثناء فظيعاً تحتها حتى انكسرت ، وقد كان هذا أول حادث تحطم فيه الكتب إنساناً .

أما الشخصية الثانية ، فهي الدكتور (فوجي) وكان قد استيقظ في الساعة السادسة من صباح اليوم الذي نتحدث عن وقائعه ، على غير عادته ، ليودع صديقاً له في المحطة ، ولما اتم هذا الواجب عاد الى بيته ، وكانت الساعة قد بلغت السابعة ، وكان الدكتور قد صرف عملاءه في المستشفى لما لاحظ أن المدن اليابانية التي لم تضربها قنابل امريكا قد تناقص عددها ، ادرك أن دور هيروشيما قد جاء لتلقى نصيبها من قنابل الولايات المتحدة . وكان قد ارسل اولاده خارج هيروشيما في مكان اعتبره أكثر أمناً ، وبعد أن جلس متربعاً على الأرض ، وفي يده جريدة (اساهي) الشهيرة يطالع فيها ، رأى البريق أمام عينيه ، ذا لون اصفر ، فاستولى عليه الجزع ، وهم بالوقوف ، ولكن مبنى المستشفى كله أخذ ينحني ، ثم يسقط في نهر كانت المستشفى تطل عليه ، وتطاير حطام المنزل ليقذف بالطبيب نفسه مع هذا الحطام الى ماء النهر ، ثم فقد الاحساس كلية .. فلما أفاق احس بالماء ، ثم شعر بقطعتي خشب تطبقان على صدره تعارضتا في شكل زاوية ، وكأنه قطعة من اللحم معلقة بين مقطعين كبيرين للحوم ، وقد امسكت به الخشبتان فاصبح كالواقف على قدميه ، وقد بقي جسمه الاعلى فوق سطح الماء بينما كان سائر جسمه في الماء .. وكان لا يرى شيئاً بوضوح لأنه فقد نظارته .

اما السيدة (نكامورا) ارملة الترزي وكانت قد أوت الى فراشها في الليلة السابقة في الساعة الثالثة صباحا ، اذ اعلنت الاذاعة في هذه الساعة انذارا للسكان عن غارة متوقعة لطائرات ب ٢٩ ، واستيقظت على صوت انذار لغارة الساعة (٧) .. فسألت جارها ماذا تفعل فنصحها ، بان تلزم دارها ولا تتركها حتى تسمع انذارا ملحاً ، فعادت الى دارها واخذت تطهو شيئا من الارز ، ثم راحت تقرأ في جريدة هيروشيما الصباحية . فلما اعلن انتهاء الغارة تنفست الصعداء ــ كانت الساعة قد بلغت الثامنة ، وسمعت اطفالها يتحركون في فراشهم ، فذهبت إليهم ، وأعطت كلا منهم حفنة من الفول السوداني ثم وقفت تطل من النافذة ، واذا بكل ما تراه عينها يضيء ببريق ابيض لا يشبهه شيء قط من قبل ، ودفعها شعور الأم نحو ابنائها . فخطت خطوة واحدة ، واذا بشيء يحملها وكأنها تطير الى الغرفة الثانية في منزلها ، تتبعها اجزاء من بناء وأثاث دارها ، ثم سقطت على الأرض ، فتساقط عليها سيل من الطوب الاحمر ، وصار كل ما حولها ظلاما اذ دفنت تحته ولكنه لم يكن ثقيلا ، فاستطاعت ان تزيحه عنها وتنهض ، فسمعت صوتا يصيح : انقذيني يا أماه ! ورأت أصغر اطفالها ــ وهي طفلة ــ قد دفنت حتى الصدر . فاصبحت غير قادرة على الحراك ، فأخذت السيدة تعمل باظافرها في يأس لتنقذ طفلتها ولم تكن ترى أو تسمع شيئا عن طفليها الآخرين .

أما الطبيب الشاب (فرونومي سازاكي) فقد كان في صباح السادس من اغسطس متعبا ، كان قد رأى كابوسا في نومه الليلة السابقة ، ولكنه وصل الى المستشفى قبل تمام الثامنة بعشرين دقيقة ، ثم أخذ بعض الدم لاجراء تجربة عليه ، وامسك بعينة الدم في يده اليسرى ، وصار يسير وهو مشتت الذهن بسبب حلمه المزعج ونومه القلق . فاجتاز الممر الرئيسي في الدور الثالث من المستشفى ووصل الى المعمل ، وكان قد جاوز نافذة مفتوحة بخطوة واحدة عندما رأى انعكاس ضوء كأنه بريق

يومان لاينسيان في تاريخ الانسان

فوتغراف . فجثا على احدى ركبتيه ، وقال في هدوء لايستطيعه الا اليابانى : (تشجع يا سازاكى) وفى تلك اللحظة مر ريح عاصف على المستشفى فطارت نظارته من فوق عينيه وتحطمت زجاجة الدم على أحد الجدران ، وطار حذاؤه من قدمه ، ولكن لم يصبه شئ غير ذلك بفضل المكان الذى كان فيه . وصاح الطبيب الشاب مناديا رئيس الجراحين ، ثم جرى مسرعا الى هذا الرئيس فألفى به جروحا كبيرة وكثيرة من الزجاج الذى تناثر . ثم شملت المستشفى فوضى شديدة ، فقد سقطت أسقف وحواجز على المرضى ، وانقلبت الاسرة ، وانخلعت النوافذ الى داخل المبنى ، فجرح الناس ولطخت الدماء الجدران والأرض ، وانتثرت الادوات فى كل مكان . وكان بعض المرضى يجرون وهم يصرخون . اما البعض الآخر — وهو الجزء الاكبر — فقد لفظ أنفاسه . وادرك الطبيب الشاب انه كان الطبيب الوحيد الذى نجا بفضل وجوده فى الممر ، ولو جاء الى المستشفى فى ميعاده اليومى لكان عند انطلاق القنبلة فى وسط المدينة .

اما القس كلاينبورج فقد قام كالعادة بصلاة الصباح ، وقد شاركه فيها طالب لاهوت يعيش فى دار البعثة ، وسكرتير البعثة ومديرة الدار . ولم يكد يتم الصلاة حتى دوى صوت الانذار بغارة ، وخرج كعادته من الدار ثم راح يتأمل فى السماء . وسره فى ذلك الصباح أنه لم ير سوى طائرة استطلاع اعتادت أن تمر كل يوم فى سماء هيروشيما ، فايقن بأنه لن يحدث شئ ، ثم عاد لتناول طعام الافطار مع الآباء الآخرين ، وجلسوا يتحدثون مليا الى الساعة الثامنة .. ثم سمعوا اعلانا بنهاية تساقط . فظن القس انها قطرات من الماء الخطر ، فذهب كل منهم الى جانب فى البناء ، الا ان القسيس كلاينبورج قصد غرفته ، وتمدد على سريره وأخذ يقرأ مجلة . فانداح بريق مخيف ذكره بشئ قرأه وهو غلام عن شهاب كبير اصطدم بالأرض ، ثم خيل إليه ان قنبلة سقطت عليهم مباشرة ، ثم استولت عليه دهشة جمد لها فى مكانه لبضع ثوان .. ثم غاب عن وعيه . ولما أفاق رأى نفسه خارج الدار بملابسه الداخليه يسير على غير هدى ، بينما تنزف منه دماء قليلة من جروح صغيرة فى فخذه اليسرى ، وان جميع ما حوله من الابنية قد انهار ، وأن النهار قد ا ظلم ، وان السيدة مديرة الدار كانت تردد : ا شفق لينا يارب .

أما القس اليابانى (تا فيموتو) فقد كان واقفا امام دار صاحبه فى حى (كوى) وامامه عربة يد نقل اليها بعض متاعه لينقذه من التدمير من الغارات المتوقعة . ثم برق فى الجو ضوء خاطف عبر السماء ، فجرى الى الشارع ، بعد أن رأى دار صاحبه التى كان واقفا امامها قد انهارت . ورأى فى جريه عددا من الجنود خارجين من حفرة كانوا يحفرونها ، وكانت واحده من مئات الحفر التى كان الجنود يعدونها ليحاربوا الغزاة الى آخر قطرة من دمائهم . ورأى هؤلاء الجنود وقد سالت الدماء من رؤوسهم وصدورهم وظهورهم وكانوا ساهين وقد استولى عليهم الذهول .

وتذكر القس ان فى هذا المكان تلا يمكن أن يرى منه هيروشيما . فلما جرى نحوه ، اكتشف ان الخراب لم يشمل حى (كوى) وحده ، بل هيروشيما بأسرها . وقد رأى من هذا التل منظرا عجيبا ، فقد كان الخراب قد احاق بكل ما استطاع نظره الوصول اليه ، على أن الرؤية لم تكن ميسورة من ذلك التل . فقد اكتنف الجو ضباب كان يخرج منه غبار كثيف كريه . وعجب القس كيف حدث كل هذا والسماء هادئة ، ولا أثر للطائرات فيها التى كان بمقدوره ان يسمع صوتها حتى ولو كانت بعيدة . ثم اخذت قطرات كثيرة من الماء الذى لابد أن يكون رجال المطافئ قد استعملوه لاطفاء الحريق .. والواقع انها كانت قطرات رطوبة تجمعت بسبب ذلك البرج من التراب والحرارة وقطع الحطام التى ارتفعت اميالا فى الجو .

وتذكر القس اليابانى كنيستة ، فجرى نحوها ، فقابل فى طريقه مئات ومئات يفرون من المدينة ، وكان كل منهم قد اصيب بنوع من الاصابات ، فقد احترقت حواجب بعضهم ، وتدلى الجلد من وجوههم وايديهم ، وكان بعضهم رافعا ذراعيه من الألم ، وكأنه يحمل شيئا بينهما ، وكان العدد الكبير منهم عاريا أو فى اسمال محترقة ، وقد رسمت الحروق على بعض الاجسام ضروبا من الرسوم ، فترى ياقات القمصان وقد ظهرت على اجسادهم فى شكل حروق ، وكانت الأشجار عارية وجذورها سوداء .

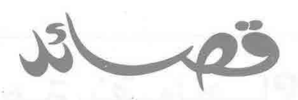
هذا بعض ما جرى فى اليوم الأول من هذين اليومين اللذين سيبقيان فى تاريخ الانسانية علامة سوداء مشتعلة ، تفوح منها رائحة اللحم البشرى المحترق ، ونتن الجيف التى ملأت شوارع مدينة كانت مزدهرة وجميلة يفوح منها أريج الحدائق ، فاستحالت فى لمح البصر الى مقبرة ضخمة لاتستطيع أن تفرق فيها الموتى واشباح الأحياء الذين يطوفون فوق الخرائب ويخرجون من اعماق الحفر وقد تدلت جلودهم ، وضاعت عيونهم فاصبحوا بلا سمع ولا بصر .

هذا نموذج صغير من يوم رهيب ، عرفه جانب من بنى الانسان ، قبل يوم الفزع الاكبر ، حضره الانسان وأعده لأخيه الانسان عقابا له على إيمانه بالقوة وتشبثه بطريق القنابل والمدافع .

حدث هذا بعد ان ثبت ان اليابانيين وافقوا على الهدنة والقاء السلاح ، ولكن كان لابد من اجراء التجربة حتى يعلم الذين صنعوا القنبلة أثرها على الاحياء وفى الطبيعة .

وقد كان .

فتحى رضوان



شعر: عادل الشرقي

(١)

يقظاً كنت
فرنَّ الهاتف
قالت أمي
من يطلبنا في الليل .. ؟
لم تسمع صوتاً
أغلقت الهاتف
وانهمرت
وطوال الليل تتمتم
والصوت النائم في الهاتف
مرهون للتأويل

— ٢ —

وتلك ..
تلكَ غيمة تسكن دون بيت
حين ارتدت عباءة الشعر
وماتت عطشاً
بكيت ..

— ٣ —

أفتح النافذة
ربما قمر يهتدي
ربما نجمة طردتها الليالي
فجاءت بغربتها لائذه
إفتح النافذة

— ٤ —

قالت الأم لابنتها
ان سمعت غناء العصافير
فوق شجيرتنا
أو صدى كل نافذة
واغلقي اذني
بشيء من الشمع
أو بالبكاء
قالت البنت :
من زمن
غادرتنا العصافير
من زمن
ما رأيت سوى الزهر
يغلق أجفانه
والحديقة مسكونة بالجفاء

— ٥ —

سلالماً أصعد في الغياب
سلالما
انزل في عوالم الخراب
ياقمراً يمشي على الأهداب
خذ بيدي اليك

— ٦ —

تلك الحمامة
ترتدي ثوباً
من الابنوس
أسودَ
ترتدي
بيتاً
من الاحلام
أخضر
ترتدي قلبي
وتسكن في شعابي
تلكَ الحمامة
كل يوم
ترتدي ألمي
وتشرب من شرابي
فلمن سأشكو
ظلمَ
محض حمامة أهوى ؟
ومن أشكوه مابي ؟

— ٧ —

آخيت
ما بينَ القصيدة
والسحابه
وغفوت بينهما
على مطر الكتابه

— ٨ —

مرةً
حين ألفيتني ساكناً
ومددتَ الي يديكَ
احترقتَ
واحرقتني
وتصاعد منا الدخان

— ٩ —

ختمت بالشمع
على اصابعي
وصنعت من قصائدي
اصابعاً اخرى
بلا يدين

— ١٠ —

وأنا اتلمس أجساد الموتى
أتفحص بعض ملامحهم
مرت كفاي على جسدي
فسررت

— بغداد

متى نقولها؟

ما يحز في نفسي أن تنخدع عامة الناس في هذا الانسان وأمثاله
وتعتبر نفاقهم نضالا ، وبهرجة كلامهم في الباطل إبداعا

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

طوى صاحبي المجلة التي كانت في يده ونحاها عنه جانبا ، فقلت له : ــ يبدو انك قرأت ما يسرك ، فاني أراك تضحك .

قال : انى ابتسم فقط .. ابتسم لنفسي بعد ان انتهيت من قراءة قصيدة منشورة في هذه المجلة .

قلت : لعلها قصيدة غزل ...

قال : بل هي قصيدة رثاء . لاتعجب . قصائد الرثاء في العادة تبعث الدمع الى العيون ، ومع ذلك فان هذا الرثاء جعلني ابتسم . ابتسمت لسببين ، الاول لانه قيل في رجل لايستحقه ، والثاني لأنه ذكرني بكلمة قالها احد اصدقائنا في مثل هذا الانسان المرثي .

قلت : من هذا الذي قيلت فيه قصيدة لايستحقها ، وما هي الكلمة التي تذكرتها بهذه القصيدة ؟

اجاب : سأعلمك . الرجل الذي قيل فيه الرثاء انسان جمعتني به الظروف مرة واحدة ، وكفتني هذه المرة لأكشف معدنه .. كفتني لأكشف زيف ذلك المعدن وكذب بريقه . قبل ان تجمعنا الظروف ، وبعد ذلك ، طارت للرجل شهرة بالنضال والابداع . وتلقى الجوائز والاوسمة ، وتناقلت اخباره الدوريات من كل نوع . وحين مات ، وذاك منذ قريب ، نعاه الناعون وكتبت عنه المقالات ونظمت في رثائه قصائد عديدة هذه احداها ...

قلت : ومع ذلك فانت تحكم على معدنه بالزيف . من هو هذا الانسان ، الا تسميه لي ؟

قال : لن افعل . اني اتحدث عنه كنموذج للظواهر التي ينطلي خداعها على الجمهور فينجرف في تيار تمجيدها تمجيدا لايستحقه هذا النموذج ، وقد يستحق مكانه النبذ والاهانة . المرة الوحيدة التي جمعتني الظروف فيها بهذا الرجل عرفتني بطبعه الوصولي ، وبتذبذبه في سلوكه . ربما اتصف نتاجه ببعض القيمة الفنية ، الا انه كان إمعة يتبع كل ناعق ، شريطة أن يعينه هذا الناعق في الوصول الى المكانة البارزة والفائدة الشخصية . وقد دفعته تبعيته لبعض الناعقين الي محاولة الاساءة الي ، وذلك في المرة التي قلت لك ان الظروف جمعتني به فيها ...

قاطعت صاحبي وانا ابتسم وقلت : اذن فان لك عليه ثأرا ! ... حسنا . هذا عن الرجل الذى تصفه ولا تريد ان تسميه . ماذا عن الكلمة التى ذكرك بها رثاؤه وساق الابتسامة الى شفتيك ؟

قال : سأعلمك بتلك الكلمة ايضا . كان لنا صديق طويل اللسان لاذع السخرية دأبه على انتقاد واحد من معارفه هو صديق لنا في نفس الوقت . فكنا ننحى عليه باللائمة ونسكته عندما يتمادى في ذمه لغريمه ، قال لنا مرة : احترت معكم والله ... اذا اردت ان افضح هذا الرجل فاعدد مساوئه في حضوره قلتم : لاتفعل ، فهذه قلة ادب . وان تحدثت عنه في غيابه قلتم : لاتفعل ، فهذه غيبة نهى الله عنها ... أيحب احدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا ؟ وحين يموت ويفارق هذا الدنيا فستمنعوني حتما عن تبيان ماهو عليه من لؤم طبع وسوء سلوك وترددون علي القول المأثور : اذكروا محاسن موتاكم ... اعلموني بالله متى استطيع أن أبرد غليلي فأقول في هذا المخلوق مايستحق ؟ هذا ما قاله صديقنا ذاك في تلك

المرة ...

قلت أنا : وما الذى يربط بين هذه الكلمة وبين قصيدة الرثاء التى قرأتها لتوك ؟

قال : حين فرغت من قراءة هذا الرثاء المطنطن خطر ببالى ان سكوتى عن قول ما اعرفه من امر الرجل الذىقيلت فيه خطأ . كان جديرا بى ان اشهد فى كل مناسبة بما تكشف لى من امره لئلا يستمر انخداع الناس ، والواعين منهم بصورة خاصة ، بشهرته المصطنعة ولكنى فى حياته لم اجبهه بإساءاته ، لأننى لا أحب ان أوصف بقلة الأدب عندما ألقى انسانا بما يكره . كما انى لم اتحدث للآخرين عن عيوبه فى غيابه ، لنفورى ان اتكلم عن احد بشر . انت تعرف شعارى فيما اقوله وما اكتبه : قل الخير والا فاسكت . وعندما بلغنى نبأ مفارقته لهذه الدنيا طلبت فى نفسى له الرحمة وقلت ماذا يفيد ان اتحدث بمساوئه وقد غادرنا الى العالم الآخر ؟ الا انى بعد ان رأيت استمرار الحديث فى كل مكان بما يزيد هالة الاكبار الزائفة حول اسمه اشعاعا ، وما فى ذلك من رفع للباطل الى منزلة الحق ، ندمت على تغاضي عنه ، وقلت لنفسى ان صديقنا الذى رويت لك كلمته كان محقا بعض الشيئ فى تساؤله ، وفى لهفته على تبريد غليله بفضح المسيئ وان تجاوز بذلك الفضح أعراف التهذيب وسلوك الاتقياء والصالحين .

* * *

قلت لصاحبى : انت تتحدث عن هذا الرجل بمرارة . يبدو ان إساءته اليك أضرت بك وازعجتك كثيرا .

قال : كانت محاولة إساءة ، وليست اساءة محققة . انا لم اتضرر من فعلته ، بل لعلها اضرت به هو . فما مضت ايام على محاولته تلك حتى انقلب عليه مكره والقى فى السجن ... القاه فيه من حرضوه علي .

قلت : وهل بلغ الأمر هذا الحد ؟ أنت حتى الآن تكلمنى بالعموميات . لم تخبرنى بنوع الاساءة التى حاولها هذا الرجل لك . ألا تريد ان تضع النقاط على الحروف فيما ترويه لى ؟

قال : سأضع لك بعض النقاط وليس كلها . جرت تلك المحاولة فى اواخر عام ١٩٦٧ ، بعد النكبة التى ضحكنا فى شأنها على انفسنا فسميناها النكسة ، وفى مؤتمر دعينا اليه فى واحدة من عواصمنا العربية لنتدارس فيه مسؤولية المثقفين حيال قضايا الامة المصيرية . القيت انا فى مطلع الجلسة الاولى من المؤتمر كلمة يبدو انها لم تعجب الناس الذين بيدهم الحل والربط ، فصدرت احدى الصحف فى اليوم التالى وفيها هجوم عنيف علي . كان الهجوم بقلم هذا الراحل العزيز الذى قرأت قبل قليل قصيدة رثاء بديعة فيه . لم يحضر راحلنا آنذاك المؤتمر ولا سمع كلمتي فيه . ولكن صوت سيده ارتفع عليه بالأمر قاطعا . قولني فى هجومي ما لم اتلفظ به . واول كلمتى بما لم تحتمل تلك الكلمة تأويله ...

قلت : انت اول من يدرك ان الآراء منذ ما تطرح تصبح عرضة للمناقشة والتفنيد والمعارضة . ما كان لك ان تنزعج الى هذه الدرجة .

قال : سبق واخبرتك انى لم انزعج . صدقنى انى اعجبت بالاسلوب الذى صاغ فيه صاحبنا هجومه ، مستعديا علي ذوى الحول والطول الذين لم يعجبهم ما قلته . اسلوب شعرى يشهد له فى هذا الميدان بالموهبة الفائقة . انى احفظ بعض جمله فى حملته علي . قال فيما قال ، وهو يعنينى : ان هذا الذى يتعرض لسادتنا بالسوء يجب ان يسلخ جلده عن لحمه وتدوسه حوافر خيول النكسة ...

ضحكت انا وقلت : تعبير مبتكر فى التحريض عليك . وهل سلخ جلدك عن لحمك بعد هذا ؟

فجارانى صاحبى بالضحك وأجاب : لايزال جلدى على لحمى والحمد لله . حدث شيئ آخر بعد هذا ، ليس لى بل لذلك الانسان نفسه . فقد انتزع قلمه من يده بعد حملته علي بفترة واودع السجن . لماذا ؟ لست ادرى على التحقيق لماذا ؟ قيل لى ان من كانوا يأمرونه فيطيع اكتشفوا أنه لم يكن يقتصر فى طاعته عليهم ، وأن له سادة أخر يستطيعون ان يقولوه ما يريدون قوله . بل ان موته المفاجيً الذى تأججت به هالة التمجيد حول اسمه اطلق حول سيرته همسات ليست من الخير فى شيئ . اذا كان الامر كما دارت به الهمسات فعلى نفسها جنت براقش ...

* * *

قلت لمحدثى وقد ظننت بعض التشفى فى جملته الأخيرة :

ـ أهى شماتة ؟

قال : أعوذ بالله من الشماتة . اريدك على ان تصدقنى بأن ما يزعجنى ليس تصرف هذا الانسان ، غفر الله له ، حيالى . ما يحز فى نفسى ان تنخدع عامة الناس بامثاله وتعتبر نفاقهم نضالا وبهرجة كلامهم فى الباطل ابداعا . انا لم اسم لك الرجل ، ولن تعسر عليك معرفته اذا قلبت صفحات هذه المجلة وقرأت رثاءه . اذا صدقت ما قلته لك فقد تتراجع عن تقديرك له ان كنت بين من يقدرونه . ولكن ماذا عن الآخرين الذين لا يعرفون ما اصبحت انت تعرف عنه ؟ وماذا عن التاريخ الذى سيسجل أمجادا كاذبة لابطال زائفين ؟ هنا تدركنى الغصة التى تحدث عنها صديقنا ذاك فى الكلمة التى رويتها لك ، حين تساءل عن الآونة التى نستطيع ان نفضح فيها المسيئ فى إساءته . التهذيب وحسن الادب يمنعاننا من ان نجبهه بها فى حضوره ، والتقوى تمنعنا من ان نتحدث عن معايبه فى غيابه ، والدعوة الى الاقتصار على ذكر محاسن الموتى تحول بيننا وبين ان نتحدث عنه بعد مغادرته هذه الفانية بما يستحق . فمتى نستطيع اذن ان نبرد غليلنا ونقول كلمة الحق فى من اساء السيرة ونافق وتذبذب ؟ !

سؤال ساخن على الساحة الأفريقية

هل تنجح إسرائيل في إعادة علاقاتها الدبلوماسية مع أفريقيا ؟!

بقلم : عبد القادر سيلا

● أربعة آلاف خبير وفني إسرائيلي ينتشرون في أفريقيا

● الأفارقة يكرهون إسرائيل لأنها تقوم على أساس عنصري

على إثر إعادة جمهوريتي زائير وليبيريا علاقاتهما الدبلوماسية مع إسرائيل وقيام رئيس هذه الأخيرة بزيارتهما في شهر يناير المنصرم ، فاننا سنحاول ، عبر السطور التاليه ، إلقاء بعض الأضواء على خلفيات العلاقات الإفريقية الإسرائيلية مشيراً بادئ ذي بدء إلى أن هذه الزيارة تدخل في إطار الحملة المركزة التي تقوم بها الدولة الصهيونية لنسف الحصار المضروب حولها وتمزيق العزلة الدبلوماسية التي تعاني منها منذ سنوات وبالتالي زحزحة التضامن العربي الإفريقي .

بيد أن هذه المحاولات الأولى لم تتمخض الا عن نتائج هزيلة للغاية لأسباب يعود بعضها إلى الأزمة الإقتصادية الخانقة التي حملت زائير وليبيريا على إعادة علاقاتهما مع إسرائيل أملاً في أن تساعدهما على تذليل صعوباتهما لم يكن إلا سراباً ، لأن الوعود التي قطعتها على نفسها لفائدة الحكومتين لم يتم الوفاء بها ، والبعض الآخر يرجع إلى موقف خاص لعدد من دول القارة من الصهيونية باعتبارها فلسفة عنصرية شأنها شأن « الأبرتايد » المطبقة في جنوب إفريقيا .

تطور وخلفيات العلاقات بين افريقيا واسرائيل

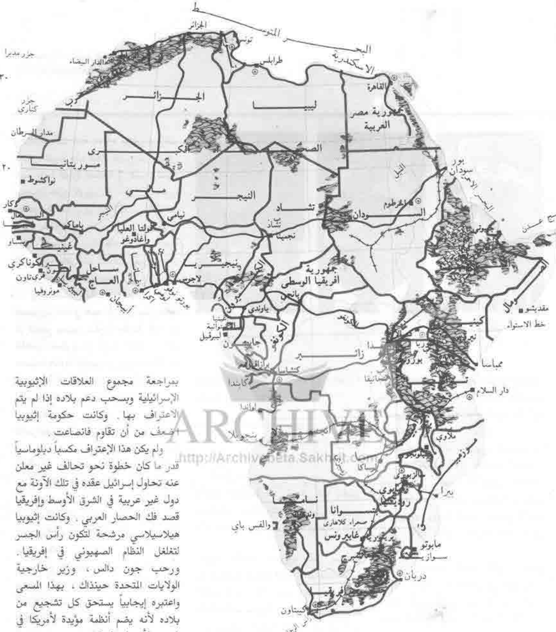
بدأت العلاقات بين إفريقيا واسرائيل في الستينات ، وهي فترة شهدت ارتقاء أقطار إفريقية عديدة إلى مصاف الدول المستقلة . ففتحت حكومة تل أبيب واحداً وعشرين تمثيلا دبلوماسياً في القارة . وقد مهدت لها الطريق قوى استعمارية كانت متحالفة أو متعاطفة معها بالخصوص فرنسا وبريطانيا العظمى وكان الإسرائيليون من جانبهم يعملون لإقناع الأفارقة أن وضعهم في ظل الأنظمة العنصرية والاستعمارية شبيه بحال اليهود تحت السلطة النازية ، ولا يفترون من تنشيط مثل هذا الجوق لاستدرار عواطف الإفريقيين وحكوماتهم .

على أن هناك أسباباً أخرى ساهمت في تسهيل تسلل اليهود الى القارة ، من ذلك العامل الديني : قد يستهين البعض بهذا العنصر في الوقت الذي ثبتت الدلائل أن تأييد وانحياز دول شرق إفريقيا تانزانيا وكينيا وأوغندا فور استقلالها راجع إلى سيطرة البروتستانتية في تلك الأقطار ، ومعروف أن أنصار هذا المذهب يرون في قيام إسرائيل شأنهم في ذلك شأن أتباع كنائس كثيرة في أمريكا تحقيقاً لوعد الله في اعادة مملكة داود (!) وتبعاً لتلك المزاعم بادرت حكومات هذه البلدان عشية استقلالها الى ربط صلات وثيقة مع الكيان الصهيوني دون أن تعير أدنى اهتمام لمغبة تأييد دولة مبنية على ركائز عنصرية .

نماذج من هذه العلاقات

تستحق العلاقات الإثيوبية الإسرائيلية في عهد الإمبراطور توقفاً خاصاً ليس لأن هيلاسيلاسي كان يدعي الإنحدار من سلالة ملكة سبأ والملك سليمان ولا لاختياره نجم داود ليكون شعاراً لحرسه ، ولكن لأن إسرائيل كانت تمارس السلطة الحقيقية في اثيوبيا .

وقد توطدت الروابط بين الإمبراطور واسرائيل بسبب توافق مصالحهما المتمثلة في الحيلولة دون تحول البحر الأحمر الى بحيرة عربية في الوقت الذي لا تطل على هذا الممر المائي دولة غير إسلامية ماعدا إثيوبيا . ولم يدخر الطرفان جهداً لإخراج هذه الفكرة إلى حيز التنفيذ ، فمن ناحية



كانت إسرائيل تخشى من إحكام الطوق حولها في المنطقة ، بينما تهدف إثيوبيا من وراء هذا التعاون الى إيجاد وسيلة تحميها من هجمات محتملة من طرف القبائل الصومالية في أوغدين .

لكل أولئك فتح هيلاسيلاسي أبواب بلاده أمام التجار والأطباء والخبراء الاسرائيليين . وبلغ اعتماده عليهم إلى درجة تشكيل شرطته على النمط الاسرائيلي وإشراف ، تساهال ، على الجيش الأثيوبي . ومع ذلك لم تعترف حكومة اثيوبيا رسمياً باسرائيل فظلت هذه الأخيرة تتستح الفرص لترغم الإمبراطور على الاعتراف بها . فواتتها إثر إخمادها ثورة مسلحة اندلعت سنة ١٩٦٠ ضده . فهدد بن غوريون بمراجعة مجموع العلاقات الإثيوبية الإسرائيلية وبسحب دعم بلاده إذا لم يتم الاعتراف بها . وكانت حكومة إثيوبيا اضعف من أن تقاوم فانصاعت .

ولم يكن هذا الإعتراف مكسباً ديلوماسياً قدر ما كان خطوة نحو تحالف غير معلن عنه تحاول إسرائيل عقده في تلك الآونة مع دول غير عربية في الشرق الأوسط وإفريقيا قصد فك الحصار العربي ، وكانت إثيوبيا هيلاسيلاسي مرشحة لتكون رأس الجسر لتغلغل النظام الصهيوني في إفريقيا . ورحب جون دالس ، وزير خارجية الولايات المتحدة حينذاك ، بهذا المسعى واعتبره إيجابياً يستحق كل تشجيع من بلاده لأنه يضم أنظمة مؤيدة لأمريكا في الشرق الأوسط وإفريقيا .

ولتعاون أقطار إفريقية أخرى مع ا سرائيل دوافع غير ما سبقت الإشارة إليه : فالاحتياج الملح إلى مهارات فنية وثروة طبيعية واستثمارات وتمويل مشاريع جعل بعض الدول الإفريقية تنخدع للدعاية الإسرائيلية .

وكانت إسرائيل تختار الأقطار الأكثر مطاوعة والتي تلمس منها قابلية الإغراء .

وهكذا اتصلت سنة ١٩٨١ بزائير في وقت كانت حكومة هذه البلاد تعاني من مشاكل جمة منها الثورة المسلحة في اقليم « شابا » ووجود جنود كوبيين في أنغولا المجاورة وتدهور اقتصادي إلى حد الإفلاس فضلا عن هبوط ملحوظ في رصيد الرئيس موبوتو في البيت الأبيض ... وقد وعد مبعوث الدولة الصهيونية بحل تلك المشاكل كلها بشرط أن تعيد زائير علاقاتها معها .

واستعملت ذات السيناريو مع جمهورية غانا في عهد الرئيس ليمان لكنها لم تنجح بسبب سقوط حكومة أكرا إثر انقلاب عسكري في أوائل ١٩٨٢ . ولقد حصلت حكومة بيجين على وعود مماثلة من جمهورية إفريقيا الوسطى التي لقي رئيسها مصير ليمان قبل الوفاء بوعده .

ورغم الفشل الذريع الذي مني به الإسرائيليون فانهم ما فتئوا يجسون النبض من هنا وهناك ويجهدون أنفسهم لسد ثغرالعزلة الدبلوماسية بتكثيف التعاون الفني للحكومات الإفريقية . وكانوا متأكدين من نجاحهم .. كأن يقول بيجن أثناء الحملة الإنتخابية لعام ١٩٨١ : « أحمل اليكم رسالة هامة : أشرف القطع مع إفريقيا على نهايته » .

وتذيع الصحف الإسرائيلية منذ قرابة سنتين نبأ اتفاق محتمل لاستئناف العلاقات بين إسرائيل وعدد من الدول الإفريقية المسماة ب « المعتدلة » وهي ساحل العاج وتوجو والغابون وكينيا وجمهورية افريقيا الوسطى ، وهي إشاعات مبنية على أساس أن قطع العلاقات لم يعد له مبرر مادامت جمهورية مصر العربية قد استعادت سيادتها على سيناء .. خصوصاً وأن احتلال إسرائيل لسيناء كان سبب توتر العلاقات بين بعض الأقطار الإفريقية وتل ابيب . وقد تبدد هذا الأمل بفعل تمادي إسرائيل في تجاهل حقوق الفلسطينيين



هيلاسيلاسي


مناحم بيجن


موبوتو سيكو

وخصوصاً بعد قصفها لمفاعل « تموز » بالعراق سنة ١٩٨٠ .

نوع مساعدة إسرائيل

لتغطي فشلها الدبلوماسي تعد إسرائيل الأقطار الإفريقية التي تصغي لها بتقديم مساعدات مالية وتلتزم بتمويل مشاريع انمائية فيها وفي ذات الوقت تزعم أن الدول العربية المنتجة للبترول غير مستعدة للاستثمار في إفريقيا . لكن احتياجات القارة الإفريقية (٤٠٠ مليون نسمة) تفوق الإمكانيات البشرية والمادية المتوفرة لدى اسرائيل فهي صغيرة الحجم غير قادرة على توفير عدد كاف من الخبراء والفنيين يلبي طلبات الإفريقيين ، وفقيرة كذلك تعتمد هي الأخرى على المعونة الخارجية وبالأخص الأمريكية ٨٠٠ دولار للفرد الإسرائيلي سنوياً ـ ولذا هذا النقص نراها تلف وتدور وتستعين بصديقاتها الأوروبية وأمريكا لتمويل مشاريع في إفريقيا . وتلعب ثلاث دول في هذا الباب دورا أساسياً وهي ألمانيا الغربية وهولندا والسويد . وأسلوبها بسيط إذ يتمثل في أن تقدم إسرائيل التصاميم والخبراء والفنيين ثم توفر الدول الثلاث الأموال اللازمة .

يضاف إلى ذلك « اللوبي » اليهودي في الولايات المتحدة الذي تستعمله إسرائيل للضغط على البيت الأبيض ليحصل أصدقاؤها على قروض ومساعدات مثلما يستعين بها رؤساء إفريقيا لتسهيل لقائهم بداود روكفلر وبأوساط مالية وبنكية أخرى بأمريكا .

أما بخصوص التعاون الفني ، فيبلغ تعداد الخبراء الإسرائيليين في القارة زهاء اربعة آلاف يعملون في عشرين دولة . وتستخدم أسرائيل وسائل شتى لإخفائهم : فهم لا يتسللون إلى تلك البلاد باسمها هي وانما يتم تعيينهم في الشركات المتعددة الجنسية . وبهذا الصدد كشف أحد كبار المسؤولين في نيجيريا في الآونة الأخيرة عن وجود ألفي خبير إسرائيلي وجلهم في مؤسسة هامة للأشغال العامة وهي Solel Boneh .

على أنه مع كل هذه الضجة لا يتجاوز التبادل التجاري بين إفريقيا وإسرائيل مائة مليون دولار سنويا ، كما لا يتجاوز عدد

● لماذا اعترف الإمبراطور السابق هيلاسيلاسي بإسرائيل
● القنبلة الذرية المشتركة بين إسرائيل وجنوب أفريقيا

الطلبة الإفريقيين في الدولة الإسرائيلية بضع مئات . ومن ناحية أخرى ، تبيع اسرائيل الأسلحة لبعض الحكومات الافريقية وتقوم بتدريب جيوشها كل ذلك في حدود جد ضيقة .

تعاون غير طبيعي

هذا التعاون بحكم كونه تعاوناً ضد الطبيعة ما كان يمكنه أن يعمر طويلا ولا غرو أن يكون دائماً محل أخذ ورد . إذ أنه ، خلافاً لما يعتقد عادة ، لم تنتظر العلاقة الإفريقية الإسرائيلية حرب أكتوبر لعام ١٩٧٣ لتتدهور بل كاد يكون التوتر سمة تلك العلاقات . ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى طبيعة النظام في اسرائيل التي تتنافر مع مبادئ منظمة الوحدة الإفريقية وتتعارض مع فلسفة اللاعنصرية التي هي عقيدة دول القارة السياسية ، وهذه الأقطار ، من جهة أخرى تعتبر الدولة الصهيونية عميلة للغرب لشدة إرتباطها بأوربا سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وأفدح من ذلك صلاتها الوثيقة بجمهورية جنوب افريقيا .

اسرائيل وجنوب إفريقيا

في الواقع هناك تشابه عجيب بين الأسس التي انبنى عليها الكيان الصهيوني في فلسطين والنظام العنصري بجنوب افريقيا . وكان الهدف من إنشائهما في مناطق استراتيجية هامة من العالم هو اضطلاعهما بدور الدرك . ولم يخف هرتزل هذه المهمة حتى قبل قيام إسرائيل حيث يقول : « سنكون نحن المجتمعات الصهيونية حصناً لأوروبا هنالك في آسيا ونصبح خفراء الحضارة ضد البربرية » . وتلتقي الصهيونية و« الابرتايد » في فلسفة واحدة : وهي العدوان والاحتلال والتوسع والاستفزاز وتنظيم المذابح . وتكفي الاشارة إلى مجازر دير ياسين بفلسطين وشاربفيل بجنوب إفريقيا .

ولسنا أول من اعتبر النظامين من طينة واحدة . فقد شجبت الجمعية العمومية للأمم المتحدة واليونسكو ، الصهيونية ونظام جنوب افريقيا ، ووضعتهما في قائمة العنصرية . والجدير بالتنويه هنا أن أعضاء منظمة الوحدة الإفريقية لعبوا دوراً لا يستهان به إبان التصويت في هيئة الأمم المتحدة على قرار التنديد هذا وكذلك في منتديات عالمية أخرى . وهي تعتبر أن مناهضة الصهيونية شكل من اشكال مقاومة « الابرتايد » العنصرية وأن شجب الأعمال الوحشية في الضفة الغربية ماهو الا مظاهرة ضد استفزازات حكومة بريتوريا في أنغولا وناميبيا . هذا ويتعاون النظامان في ميادين عديدة منها :

ــ استيراد إسرائيل من جنوب إفريقيا الماس والفحم والمواد الأولية و يشتري الثاني منها السفن الحربية المجهزة بصواريخ « جبريل » . وتعاونهما في ميدان الذرة يعود الى الخمسينات حيث كانت إسرائيل تستفيد من مساعدة فرنسية في هذا المجال . وكان جنوب إفريقيا يقدم لها الأورانيوم الضروري لمفاعلاتها في « ديمونا » مقابل أن تساعده في تطوير برنامجه الذري . فسجلت تلك الفترة تبادل الزيارات بين خبراء المؤسسات المتخصصة في البحوث الذرية في البلدين . وما فتئا يتعاونان على انتاج السلاح النووي إلى أن تم تفجير قنبلتهما الذرية في ٢٠ فبراير ١٩٧٩ . وتحتل الدولة الصهيونية حسب المصادر الموثوق بها المرتبة السادسة بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا والصين .

وبخصوص تعاون إسرائيل مع جنوب افريقيا على مرأى ومسمع من الحكومات الافريقية فان حكام الدولة الصهيونية يزعمون أن وضعهم الاقتصادي الخاص أرغمهم على التماس الانفتاح في أي سماء وجد ويضيفون أن دولاً غربية تتعامل علناً مع حكومة بريتوريا دون أن يثير ذلك حفيظة الأفريقيين .

التضامن العربي الإفريقي

ويلاحظ أن كل محاولات إسرائيل للنفوذ الى قلب إفريقيا باءت بالفشل بفضل التعاون العربي الافريقي الذي ليس مجرد عواطف عابرة ومواقف دبلوماسية مبنية على حسابات رخيصة لا تقاوم تيارات ومتغيرات السياسة الدولية ومقتضياتها ، إنما هو تضامن أساسه العدالة والإنصاف ومحوره وحدة العمل السياسي بين الشعوب الأفريقية والعربية في صراعها ضد الصهيونية و « الابرتايد » والإستعمار بجميع اشكاله . وقد ساهمت جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الأفريقية في بناء اسس هذا التضامن . ومن نتائجه بروز لجنة الوزراء المنبثقة من المنظمتين واعتماد مراقب فلسطيني لدى المنظمة الإفريقية وتكرار اللقاءات السياسية بين الأطراف المسؤولة في الهيئتين فضلا عن التعاون الثنائي بين أعضائهما وخصوصا في المجال الأقتصادي والثقافي .

ولعل أهم عامل كفيل بتأبيد عزلة اسرائيل في القارة الإفريقية يكمن في عمل دائب منسق لتوثيق التعاون بين العرب والأفارقة وذلك عن طريق تكثيف العلاقات الجماعية والثنائية سواء في مستوى حوار الثقافات أو في ميدان المنتديات الدولية وساحات التبادل التجاري والإقتصادي .

عبدالقادر سيلا
داكار ــ السنغال



بقلم: أحمد العناني

يستطيع الناظر بعمق في حركة التأليف والتدوين الاسلامية أن يلاحظ طروء مرحلة جديدة فاصلة في علم التاريخ منذ حركة الخليفة المأمون الكبرى في انشاء دار الحكمة وتحقيق ترجمات لمؤلفات عديدة جداً ولا سيما مؤلفات الاغريق . قبل حركة المأمون كان التدوين التاريخي سواء للتراجم أو السير أو الأدب يستهدف كله خدمة قضايا دينية محضة . ان سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم هي موضوع اسلامي عقدي ، فان على كل مسلم أن يتأثر حياة النبي فيقتدي به ، كما أن على القضاة أن يعرفوا أقضيته عليه السلام ، أما الأدب ورواياته فكان من أهم أغراضه وأغراضها توضيح ابعاد البلاغة القرآنية ، وشرح معاني المفردات شرحاً متميزاً بالوضوح . وحتى التواريخ الخاصة بفتوح البلدان لم تكن تاريخاً بالمعنى المحدد لمهمة التاريخ ، فان مراجعة مواقف القادة المسلمين والأئمة من البلدان المفتوحة كان ثقافة أساسية للحكام والاداريين في فهم موقف الخلفاء من انواع الأراضي التي آلت لبيت المال أو بقيت بأيدي الاهلين يستغلونها ويقدمون عنها الخراج وفي ثمارها الزكاة ..

ولم يكن التاريخ مستهدفاً لذاته أو لرسالة يتميز بها علماً بأن القرآن الكريم دعا إلى التفكر الدائم في آثار الأمم الغابرة واستخلاص العبر من قيام الحضارات وسقوطها لا سيما وأن سقوط الأقوياء يرافقه أو ربما يؤدي اليه الانغماس في الترف ، وذوبان العزائم في ممارسة الشذوذ والانحلال النفسي .

ومع أن الكتاب الكريم يوحي بوضوح ساطع بأن للامم في نهوضها وانحلالها قواعد ومناهج حتمية النتائج اذا ما توفرت الأسباب إلا أن أحداً ما قبل عبدالرحمن بن خلدون لم يخطر بباله أن يتكلم في القواعد التي تتحكم في سير الأمم ، وسنعرض لذلك لاحقاً ..

المأمون ودار الحكمة

وحيث أن الابتكار هو وليد المعرفة الغزيرة الباحثة ، والنضوج الذهني الأكيد فان الخليفة المأمون عجل في النهضة الثقافية في سائر أرجاء العالم بما وفره للناس في بيت الحكمة من ترجمات لعلوم أمم غابرة كالاغريق مثلاً . فضلاً عن الأمم الشرقية من هنود وفرس وآشوريين وغيرهم . يروي ابن النديم (الفهرست ص ٢٤٢) أنه كان بين المأمون وبين ملك الروم (البيزنطي) مراسلات ، وقد كتب إليه يطلب موافاته بالمخزون من كتب العلوم في خزائن الروم . فأجاب الملك بعد امتناع ، وأوفد المأمون جماعة منهم الحجاج بن مطر ، وابن البطريق فأخذوا مما وجدوا من الكتب ما وقع عليه اختيارهم ، فلما جيئ بذلك الى بغداد عين المأمون قسطاً بن لوقا مشرفاً على الترجمة من اللغات اليونانية والسريانية والكلدانية الى العربية كما عين يحيى بن هارون مشرفاً على الترجمة من الفارسية القديمة ...

وانتشرت عدوى الترجمة إلى الأفراد المتميزين في العلوم والآداب فقام أبناء ابن شاكر المنجم محمد وأحمد والحسن بمجهود كبير للحصول على كتب الرياضيات والموسيقى والفلك ، وكان لهم وكيل موفد في بلاد الروم متخصص في البحث عن الكتب هو حنين بن اسحق . وكان ابناء المنجم ينفقون خمسمئة دينار في الشهر على المترجمين الذين كان منهم ثابت ابن قرة الحراني وعمر بن الفرخان الطبري . وانتشرت المكتبات الزاخرة بالكتب من مختلف العلوم وكثرت في الأندية وفي المساجد المساجلات والمناظرات في قضايا عقلانية متشعبة ...

ومنذ القرن الثالث للهجرة والحياة الثقافية تزداد خصوبة وتكتسب ابعاداً واسعة في الكم والنوع ، وتجد لها آفاقاً مكانية أرحب وأوسع حتى غدت بيوت الوجهاء والزوايا والخانقات والأربطة والمدارس والمساجد أماكن للبحث والنقاش .

ومن هنا يمكن القول إن عصر المأمون وضع الأساس لقيام حركة ثقافية بمضامين حضارية عميقة وشمولية ، وأوجد مجالاً لتفاعل الأفكار وتلاقح الحضارات وبالتالي التوصل الى تعميمات مستجدة لمبادئ متقدمة في فهم الظاهرات الانسانية ...

ومنذ القرن الثالث للهجرة بدأت الأفكار تتوجه إلى ربط جزئيات التاريخ برباط جامع ، كما بدأت تظهر روايات تاريخية متماسكة وربما كان البلاذري هو طليعة التحرك الجديد ، ومع ذلك فان الجزئيات ظلت أمراً مرعياً فان تاريخ الطبري المتأخر عن هذه الحقبة ما يزال يستمسك بالجزئيات فكأنما لا يكون التقدم الى التعميمات المتوسعة إلا انزلاقاً عفوياً كأنما يستدرج له استدراجاً .

النضوج الحضاري وعلوم الجغرافيا

والنضوج الحضاري لا يجيئ صدفة ، ولا يحصل في يوم وليلة ولكنه هو الحصيلة الايجابية لتجارب الأمم الفكرية والحياتية ، وتلقيح أفكارها بمصادر للمعرفة متنوعة ، وهو لا يمكن أن يحققه جيل واحد بمفرده : ناهيك عن أية مجموعة من الأفراد مهما يكن حظهم من العلم والذكاء.. وليس هناك أدنى شك في أن العلوم يردف بعضها بعضاً وأنها مهما تختلف في الفروع فان ينابيعها الأصليةواحدة ، ولهذا

فقد كان لابد أن تتقدم العلوم الجغرافية لتشكل الحافز اللازم لانطلاق أفكار المؤرخ على أسس من المعرفة الصحيحة ، فالجغرافيا هي في الواقع مهد الفكر التاريخي ومناخه وبنيته التحتية لقد كان من جغرافيي المسلمين في القرن الثالث الهجري ابن خرداذبة ، الفارسي الأصل ، مؤلف كتاب « المسالك والممالك » .

ومن هنا بدأنا ندخل ظاهرة صحية في القرن الثالث للهجرة الا وهي ظاهرة الجمع بين الفهم التاريخي والجغرافي ، ولعل أعظم شاهد على ذلك المؤرخ اليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٢ للهجرة المعادلة سنة (٨٩٥) للميلاد وهو نفسه مؤلف كتاب « البلدان » من طلائع كتبنا المتوسعة في الجغرافيا ..

لقد كان اليعقوبي ينتفع من معلوماته الجغرافية في التوصل الى مقولات عامة ومستنيرة في التاريخ كأثر المناخ ونوع الحاصلات وطبيعة البيئة على الأداء الحياتي والتوجهات الحياتية ، لكن مشكلة اليعقوبي كانت في حماسته الزائدة لمذهبه المتشيع وبالتالي تركيزه الكبير على الأئمة وتاريخهم حتى ليوشك القارئ أحياناً أن يتصور العالم الاسلامي وكأنما خلا إلا من اتباع الأئمة .

مؤرخون من طراز متقدم

ولولا ذلك المأخذ الكبير على اليعقوبي لوجب اعتباره أب التاريخ المنهجي في الاسلام ، لكنه أوغل مع هواه كثيراً ، ولهذا فاننا نتوقف عند رجل معاصر آخر لليعقوبي ، عاش حياته كلها كاليعقوبي خلال القرن الثالث للهجرة حيث كانت وفاته قبل اليعقوبي بست سنوات ، أي عام ٢٧٦ هـ (٨٨٩) ألا وهو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبه الدينوري ، وهو مؤلف كتاب الاقامة والسياسة ، وكتاب « المعارف » ، وكتاب « عيون الأخبار » ، اضافة إلى العديد من الكتب والمؤلفات المتنوعة والرسائل . ومن الناس من ينسب الى غيره كتابه الرئيسي في « الإقامة والسياسة » لكننا من فرط التنسيق المتقن لذلك الرجل في كتبه الأخرى نرى له عقلا منظماًمبدعاً ، وذوقاً في تصنيف المعرفة متقدماً يؤهلانه لأن يكون هو بالذات دون سواه مؤلف كتاب الإقامة والسياسة ...

ان هذا الرجل يمثل المرحلة القصوى التي انتهى أليها العقل الاسلامي بنهاية القرن الثالث للميلاد ، وهي مرحلة تتسم بالنضج ، والتركيب دون البساطة ، وادراك مزايا التصنيف الدقيق للمعلومات وكيفية فرزها ومضاهاتها ببعضها . ولا شك أن الدينوري كان في هذا المجال إماماً . وفيما نجده في الكتب التي يتعامل معها بمنهج العلم مدققاً في رواياته واسانيده نراه في مجال التأليف الأدبي في عيون الأخبار متسامحاً متساهلاً ، فهو بعد أن يعرض النص القرآني ونص الحديث الخاصين بموضوع من موضوعاته إن وجد ذانك النصان يتحول إلى الروايات الأدبية ، والمنقولات عن كتب الآخرين وما يستطيع هو أن يضيفه من تجاربه الذاتية ، دون أن يعني في ذلك كله باسناد يتكلف فيه ما تكلفه صاحب الأغاني مثلا لدى افتتاح الحديث عن كل صوت جديد من بنات المثالث والمثاني .

ولا شك في أن هذا الازدواج أو بالأحرى الثنائية في الموقف مما هو علم وما هو أدب يعيدنا إلى ما كنا نبهنا له في مقالنا الأول في موضوعنا هذا بمجلة الدوحة من أن التعامل مع التاريخ كعلم أمر ممكن وواجب في مجالات معينة ، والتعامل معه كأدب متحرر متفلت من قيود الإسناد أمر ممكن وواجب أيضاً في مجال الإمتاع والوعظ وما شاكلهما من الأغراض كالتشويق في التدريس والقصص . وقد تابع الدينوري في أسلوبه في عيون الأخبار كثيرون ولا شك أن من ابرزهم صاحب العقد ، أو سمه العقد الفريد كما اشتهر إن شئت ، الأديب الأندلسي المؤرخ ابن عبدربه ... انك لا تستطيع أن تسمي عيون الأخبار تاريخاً خالصاً ولا أدباً خالصاً ولكنه مزيج مريح من الأمرين ، وهو كتاب مشوق جداً ومن الصعب نسيان مادته لفرط طرافتها وحسن اختيارها وما أزال بعد أكثر من أربعين سنة من قراءتي الأولى له أذكر طائفة من فصوله الممتعة المنوعة المادة .

لكن الحق يقتضينا القول بأن ابن قتيبه الدينوري لم يكتسب اهميته كمؤرخ من عيون الأخبار بالرغم من غزارة مادته وحسن تنسيقها ، وانما هو اكتسب تلك الأهمية من مناقشاته العميقة لقضايا تاريخية تتعلق بالنظام السياسي الإسلامي ... وهو نقاش يحلل حوادث التاريخ ويقارنها ويربط بينها ليتوصل الى نتائج محددة ، وليدعم رأياً أو يبطل آخر ، وذلك من صميم عمل المؤرخ بالمعنى التقليدي المعاصر ..

البلاذري

ولا يمكن طي صفحة المؤرخين في القرن الثالث الهجري قبل الإشادة بصاحب فتوح البلدان ، البلاذري المتوفي عام ٢٧٩ للهجرة (٨٩٢ م) . أي بعد ثلاث سنوات من ابن قتيبة الدينوري . وعلى القارئ الا يخلط بين « فتوح البلدان » للواقدي وبين كتاب البلاذري الذي يحمل نفس العنوان ، ذلك بأن البون شاسع بين اسراف الواقدي ومبالغاته وتحفظ البلاذري وتدقيقه ومنهجيته المتقدمة ، والحقيقة أن للبلاذري بكتابه هذا فضلا كبيراً على التاريخ الاسلامي بالثقة التي يشيعها في النفس بتحرياته الدقيقة لأخبار الفتوح الإسلامية الأولى وبمجانبته للعواطف في سرد الحقائق كما انتهى رأيه في قبولها بعد إخضاعها لوسائل المؤرخ المدقق المتنور .

ويظل هناك قبل الطبري مؤرخ من القرن الثالث ، توفي في نفس العام الذي ادركت المنية فيه زميله المؤرخ اليعقوبي أي ٢٨٢ للهجرة ،ألا وهو صاحب كتاب « الأخبار الطوال » أبو حنيفة الدينوري ، وعلى القارئ أن يلاحظ تمييزه من الدينوري الآخر ابن قتيبة صاحب عيون الأخبار والإقامة والسياسة ...

والى مقالنا المقبل الذي نعالج فيه موضوع مؤرخنا العظيم الطبري ، حياته الحافلة ، وكتابه الخالد عن تاريخ الأمم والملوك ، والله ولي التوفيق .

أثر اللغة العربية في اللغات الأفريقية

● بعض اللغات الأفريقية تستخدم ٦٠٪ من الألفاظ العربية

● محاولات أوروبية عنيفة لإحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية في اللغات الأفريقية

بقلم : محمد جلال عباس

تأثرت جميع المناطق والشعوب التي دخلها الاسلام باللغة العربية ، فاما أنها استعربت أو اصبحت تستخدم العربية كلغة معاملات دينية ورسمية . والى جانب ذلك فقد كان للغة العربية تأثيرها المباشر وغير المباشر على جميع الشعوب التي دخلت الاسلام ولم تستعرب استعراباً كاملاً كما هو الحال بالنسبة للفرس والترك والهنود .

ولم تخل لغات الشعوب التي دخلت الاسلام في مراحل متأخرة من تأثير اللغة العربية فيها مثل الاندونيسية والملايوية في جنوب شرق آسيا .

والمثل يقال عن افريقيا جنوب الصحراء حيث كان للغة العربية تأثيرها القوي على لغات شعوب تلك المناطق شرقها وغربها ، ولكن هذا التأثير قد اختلف من جهة لأخرى ومن شعب لآخر نتيجة لعوامل متعددة بعضها ثقافي وبعضها سياسي كما سيتبين لنا في معرض هذا المقال .

الخلفيات اللغوية في افريقيا

تعتبر القارة الأفريقية أكثر جهات العالم تعدداً في اللغات ، اذ يذكر عالم اللغة جاك بيري أنه قد أمكن تمييز نحو ثمانمائة لغة افريقية ، وهناك لغات أخرى غير معروفة قد تصل بالعدد الى ما يزيد على الالف لسان مختلف . ومن هذه اللغات ما يتكلمها بضعة آلاف ، ومنها ما يصل عدد المتحدثين بها والمستخدمين لها الى الملايين العديدة .

ودراسة اللغات الافريقية واسعة النطاق ، ولكنها لم تصل بعد الى تحديد دقيق للمجموعات اللغوية وانتساب اللغات الى هذه المجموعات ، غير أن هناك نوعاً من الاجماع على أن هناك أربع مجموعات منها اللغات الافروآسيوية التي تنتمي اليها السامية والحامية ومجموعة اللغات السودانية وتنتمي اليها لغات بلاد السفانا في غرب افريقيا وجنوب السودان ، وجزء من شرق افريقيا ، ومنها اللغات الكنغولية النيجيرية التي تنتمي اليها لغات مناطق الغابات في ساحل غانة والكنغو ، وتمتد الى جنوب افريقيا حيث تسود لغة البانتو التي يفصلها البعض الى مجموعة خاصة منفصلة . أما المجموعة الرابعة فهي صغيرة وتسمى لغات الطقطقة أو اللغات الصوتية وهي بدائية لا يتكلمها إلا جماعات صغيرة من البوشمن والهوتنتوت في جنوب غرب افريقيا وصحراء ناميبيا .

واذا استثنينا بعض اللغات التي تنتمي الى مجموعة السامية الحامية مثل الامهرية والتجرينية في الحبشة وارتريا والقبطية والنوبية في مصر ووادي النيل فان جميع لغات افريقيا الأخرى لم تكن لها ابجديات

ولم تعرف الكتابة إلا مع دخول الاسلام .

مجالات تأثير اللغة العربية

ومنذ أن دخل الاسلام الى القارة الافريقية ، وحمل معه لغة القرآن بدأ تأثير العربية يظهر كعنصر ثقافي هام في الحياة الأفريقية . ورغم أن اللغة العربية قد استخدمت استخداماً مباشراً في أمور الدين وبعض الاتصالات العامة ، إلا أنها لم تسد سيادة كاملة إلا في الشمال الأفريقي الذي استوطنته بعض القبائل العربية المهاجرة مع حركة المد الاسلامي ، واختلاط هؤلاء المهاجرين بالسكان الأصليين ، حيث امتزجت ثقافاتهم بثقافة الاسلام وامتصت فيها حتى استعربت بعض شعوب البربر في مدى جيل أو جيلين أو ثلاثة .

ولقد ساعد على استعراب الشمال الأفريقي أن اللغات الاصلية فيه كانت تنتمي الى مجموعات اللغات السامية أو نفس العائلة اللغوية التي تنتمي اليها العربية أو أنها حامية وهي لغات شبيهة بالسامية ويرى البعض أنها متفرعة منها .

وكان للغة العربية آثار أخرى متفاوتة على لغات الشعوب التي أسلمت ترجع اساساً الى ما تميزت به العربية على تلك اللغات الأفريقية من مميزات لغوية وثقافية وسياسية .

وأهم هذه الميزات أن العربية هي لغة الاسلام التي نزل بها القرآن فاعطاها مكانة خاصة لدى كل من اعتنق الدين الحنيف .

والعربية لغة حضارة عريقة ورفيعة ، وكان لاهلها اتصالات واسعة النطاق بما حولها من حضارات كبرى في العالم القديم ، الأمر الذي أكسبها اتساعاً في أفق المعاني ووفرة في الالفاظ ، وبالتالي أصبحت صالحة للاستخدام في بيئات مختلفة ، وتميزت بذلك عن اللغات الأفريقية ذات الأفق المحدود القاصر على ما في البيئة المحدودة من ظواهر وأنشطة .

وللعربية خاصيتان هامتان : أولهما أنها لغة مكتوبة لها ابجدية تدون بها ، وثانيهما أن لها قواعد نحوية وصرفية دقيقة ورفيعةتساعد على مرونة الاستخدام وسهولة الاشتقاق وتصريف الأفعال والنسبة وغيرها .

ونتيجة لما تمتاز به اللغة العربية فقد لجأت الشعوب التي دخلت الاسلام في كل انحاء العالم الى اتخاذها منهلا ومصدراً تستمد منه وتستقي ما يكمل النقص ويثري الالسن ويسهل وسيلة الاتصال . ولقد تعددت مجالات الأخذ من اللغة العربية أذ أخذت عنها اللغات الأفريقية الابجدية لتدوين تلك اللغات ، والالفاظ لتغطية النقص فيها كما اخذت بعض المبادي النحوية والصرفية فضلاً عن اقتباسها لفنون الأدب العربي ومضامينه مما سنفصل بعض الشئ في بيانه .

استخدام الأبجدية العربية

شعر أهل اللغات الأفريقية بحاجتهم الى تدوين لغاتهم خاصة حينما عرفوا اللغة العربية وأبجديتها . ولكن واجهتهم في تدوين لغاتهم بالحروف العربية عدة مشكلات وصعوبات تتمثل في وجود الاصوات والمخارج المنتشرة في كثير من اللغات الأفريقية ، وبعض مخارج الأصوات الشفوية مثل الياء الثقيلة أو الحلقية مثل الكاف التي يقع مخرجها بين الكاف والقاف ، هذا فضلا عن بعض الحركات الخاصة من إمالات وتسكين سريع وطقطقة وغيرها مما يضيق المقام عن تفصيلها .

ولقد حاول كتاب اللغات الأفريقية ايجاد حلول لهذه المشكلات وابتكار وسائل للتغلب على الصعوبات نوجزها فيما يلي :

١ ـ استخدام بعض الحروف التي ترمز لاصوات غير موجودة في اللغات الأفريقية لترمز الى اصوات قريبة الشبه بها ، مثل استخدام الغين لكتابة الجيم غير المعطشة (القاهرية) ، واستخدام القاف للرمز الى الكاف الحلقية المنتشرة في لغتي الهاوسا والفولاني .

٢ ـ استخدام بعض علامات التشكيل والمد والاضافية ، وبعض هذه العلامات مأخوذ عن العلامات المستخدمة في المصاحف مثل بعض علامات الوقف وبعضها مبتكر لتوضيح حركةمعينة مثل استخدام الفولاني لدائرة فوق الحرف الذي ينطق بطقطقة .

٣ ـ اضافة بعض النقط أو الخطوط ، مثل وضع نقطتين فوق الضاد التي تستخدم للرمز للطاء الحلقية العميقة .

٤ ـ يلجأ في بعض الأحيان الى استخدام بعض الحروف الأصلية في العربية مع وضع خطوط تحتها اذا كانت ترمز لنطق قريب منها وذلك لتنبيه القارئ الى أصل الصوت الذي يرمز له الحرف .

ويمكن القول بصفة عامة أن استخدام الابجدية العربية قد ثبت نجاحه ، وليس أدل على ذلك من المدونات الكثيرة والمصنفات والوثائق الغزيرة والأوراق التي لا تعد ولا تحصى في العديد من اللغات الافريقية الكبرى التي استخدمت الابجدية العربية ، مثل الهاوسا والفولاني والكنوري والماندي أو البامبارا والوولوف في غرب افريقيا ، والسواحلية والصومالية في شرق افريقيا . بل أن كثيراً من اللغات الصغيرة قد استخدمت أيضاً الحرف العربي كوسيلة للتدوين والكتابة .

ولما جاء الاستعمار وبدأ تنفيذ سياسته في عزل افريقيا عن مصادر الثقافة العربية والاسلامية كي تخلي الجو لثقافته ولنشاط المبشرين ، كانت الأبجدية العربية أهم هدف يضربه الاستعمار لتحقيق أغراضه فبدأت جهود مضنية بذلها المبشرون وعلماء اللغة والسلطات التعليمية الاستعمارية والاداريون كذلك لكتابة وتدوين اللغات الافريقية بالحروف اللاتينية المطوعة للنطق وهي التي تعرف باسم Transliteration فأنشأوا دوراً للطباعة ومكاتب للنشر . وحاولوا اغراق السوق بكتب وصحف وأوراق بلغات محلية مطبوعة بالحرف اللاتيني المطوع ، وبدأوا يجبرون على تعلم هذه اللغات الأفريقية في مدارس تلك البلاد مطبوعة ومكتوبة بالحروف اللاتينية المطوعة .

غير أن هذه الجهود قد باءت بالفشل ولم يفلح المكتبان الرئيسيان اللذان انشأتهما السلطات البريطانية في كل من شرق وغرب افريقيا وهما « مكتب النشر في دار السلام » و « دار جسكيا للنشر » في زاريا بشمال نيجيريا — لم يفلح هذان المكتبان في التأثير على استخدام الابجدية العربية . فقد بقيت حتى يومنا هذا بل وبدأت في السنوات الأخيرة حركة لاحياء الحرف العربي كوسيلة تدوين للغات الوطنية ، والعمل على تنميطه أو توحيده بالنسبة للغة الواحدة بل وبالنسبة لجميع اللغات التي تكتب بالحروف العربية .ومن أهم الحركات التي لمسناها في غرب افريقيا جمعية الثقافة الفولانية التي لها فرع في كل من القاهرة وباريس ولندن . وتحاول توحيد الابجدية العربية للغة الفولانية من أجل ادخالها في التعليم . وكذلك ورشة التعليم في شمال نيجيريا التي تهتم بتوحيد طريقة كتابة الـ « أجمي » وهو اللفظ الذي يطلق على الحرف العربي . وبلغ الاهتمام في هذه المنظمة ان أخذت اقسام اللغات في الجامعات النيجيرية تسهم بجهودها العلمية والتجريبية في مجال تنميط الحرف العربي المستخدم في كتابة اللغات الأفريقية .

استخدام الالفاظ العربية

ومن الآثار القوية للغة العربية في لغات افريقيا ظاهرة استعارة الألفاظ العربية ودخول الكثير منها في اللغات الافريقية بصور ونسب متفاوتة .

فلقد دخلت الألفاظ العربية في اللغات الافريقية بصور متعددة أهمها :

١ — كلمات والفاظ دخلت الى اللغات الافريقية واصبحت تستخدم بنفس معانيها والفاظها ونطقها العربي دون تعديل أو تحريف وهي غالباً الألفاظ الدينية .

٢ — كلمات وألفاظ دخلت بمعانيها العربية مع تغيير في نطقها بالغاء حرف أو تغيير حرف كي يسهل ملاءمتها مع اللسان الأفريقي ومن أمثلة ذلك في لغة الهاوسا :

ليتاف بمعنى كتاب ، وكاراتو بمعنى قراءة ، و داكاري بمعنى عسكري وماتسالا بمعنى مسألة وغيرها .

٣ — الفاظ استخدمت في معان غير معانيها الاصلية ولكنها تعطي مدلولا قريباً من معناها الاصلي ، ومعظم هذه الالفاظ تغير منطوقها لمتطلبات اللسان الأفريقي كسابقتها . ومن امثلتها في لغة الهاوسا كلمة ربح وتنطق ربا بتشديد الباء ومدها وتعني قسم الشيء . وكلمة قدر بفتح القاف وتسكين الدال تعني ثمن الشيء . وكلمة هاصل وأصلها حاصل بمعنى حادث أو ظاهرة .

ويضيق المقام عن ذكر المزيد . ولكن استعارة اللغات الأفريقية لالفاظ عربية لم تخرج عن هذه الصور الثلاث . ولكن الاختلاف الذي حدث بين لغة وأخرى هو اختلاف كمي يتمثل في نسبة الألفاظ العربية التي دخلت الى اللغات الأفريقية . وهي تتراوح بين ٥٪ و ٦٠٪ . وقد بلغت ذروتها في لغات بربر الصحراء وشمال افريقيا . وكذلك في اللغة السواحلية المنتشرة في أقطار شرق افريقيا ، وهي لغة مركبة تكونت مع المد العربي الى القارة عبر المحيط الهندي فأخذت الفاظها من عدة لغات أكثرها من العربية والقليل منها من لغات محلية وأخرى اجنبية مثل الانجليزية والبرتغالية نتيجة للاستعمار . وتعتبر لغة التجارة ولغة التعامل العامة بين أهالي الألسن المختلفة وتمتد حتى شرقي حوض الكنغو .

وفي غرب إفريقيا هناك ست لغات كبرى تأثرت بالعربية تأثرا كبيراً هي الهاوسا والكانوري والفولاني والماندي والصنغاي والوولوف ، هذا فضلاً عن تأثر اللغات الصغيرة الأخرى . وبعض اللغات الكبرى التي تأثرت تأثراً قليلاً بالعربية مثل اليوروبا في جنوب نيجيريا والموشي في ساحل العاج وأعالي الفلتا والأشانتي والفانتي في غانا . ويرجع التأثر المحدود لهذه اللغات بالعربية الى اقتصار أخذها للالفاظ الدينية فحسب .

ولغتا الهاوسا والكنوري هما أكثر لغات غرب افريقيا تأثراً بالعربية حيث نجد أن شبه الالفاظ العربية فيهما تصل الى أكثر من ٤٠٪ من مجموع الفاظ اللغة المستخدمة . ويرجع ذلك الى أن شعبي الهاوسا والكنوري من الشعوب التي تميزت بالاستقرار النسبي مما ساعد على تركيز جوانب الحضارة فيهما ولذا احتاجا الى مزيد من الفاظ الحضارة اقتبست أو استعيرت من اللغة العربية التي دخلت الى تلك البلاد مع الاسلام .

أما بالنسبة للغتي الماندي والصنغاي فان تأثير العربية فيهما قديم وقد يكون سابقاً لتأثر الهاوسا بالعربية لأن هذين الشعبين قد كونا امبراطوريتي مالي ثم امبراطورية الصنغاي اللتين تتابع حكمهما في وادي النيجر الأوسط وما حولهما . وكونتا امبراطوريتين اسلاميتين أخذتا بالنظم الاسلامية مما جعل أهلهما يستخدمان الكثير من الألفاظ العربية التي امتصت فيهما .

أما اللغات الأخرى مثل الوولوف في السنغال والفانتي والاشانتي والموسى وغيرها من لغات منطقة الغابات في ساحل غانة فيرجع قلة التأثر الى بعدها عن مصدر الثقافة العربية وتأخر وصول الاسلام الى أهل تلك اللغات حيث بلغ الاسلام الى هذه المناطق في القرن السادس عشر والسابع عشر اي قبيل مجيء الاستعمار وبداية الجهود الاستعمارية والتبشير لوقف المد الاسلامي وتعميق الثقافة العربية .

التأثيرات اللغوية الأخرى

اضافة الى الألفاظ المستعارة من العربية ،

● مطلوب من العرب جهد قائم على التخطيط لتحقيق مزيد من التقريب بين اللغات الأفريقية واللغة العربية

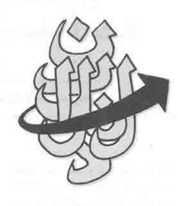
واستخدام الأبجدية العربية فان اللغات الافريقية عمدت الى اللجوء الى بعض القواعد النحوية والصرفية للغة العربية لكي تثرى تلك اللغات وتقوي كيانها . ومن أمثلة ذلك استخدام الضمائر المتصلة وضمائر الملكية محاكاة للعربية في لغتي الهاوسا والفولاني والبامبارا على حد سواء يضاف الضمير على شكل بادئة أو اضافة نهائية ، ويستخدم ايضاً اشتقاقات من الضمائر العربية ذاتها . فمثلا في التمييز بين المذكر والمؤنث في حالة ضمير الملكية نضرب مثالا من لغة الهاوسا : كتابي بالهاوسا(ليتافيني)وكتبك للمذكر ليتافينكا وللمؤنث ليتافينكي وكتابنا للجمع المتكلم ليتافيننا .

ومن أمثلة الاشتقاق على الطريقة العربية استخدام حرف الميم كبادئة للتعبير عن اسم المكان واسم الآلة وغيرها مثال ذلك ماكارنتا بمعنى مدرسة أو مقرأة أي مكان القراءة .

هذه الدراسة قام بها كثيرون منهم المعلم ابراهيم عمر بكلية الدراسات الاسلامية بجامعة بابارو في نيجيريا ، وكذلك كانت موضوعاً لرسالة قدمها الدكتور مصطفى حجازي لمعهد الدراسات الافريقية بالقاهرة للحصول على الدكتوراة في لغة الهاوسا .

هذا ، ولقد تعدى التأثير العربي حدود الالفاظ والقواعد الى مجالات الأدب بفروعه المختلفة ، فقد كان لقصص الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة ورحلات السندباد وغيرها من التراث العربي المنقول أو المبتكر أثره في القصص الشعبي وقصص الحيوانات واقاصيص الأطفال في جميع انحاء القارة الافريقية ، إما نقلاً عن العربية أو محاكاة لها أو اتباعاً لمنهجها واسلوبها .

والمثل يقال عن الأمثال الشعبية الشائعة والحكم السائرة فقد أخذت الشعوب الأفريقية كثيراً منها عن مصادر عربية ، وبخاصة المصادر الدينية . حتى أن كثيرا من الأحاديث والأوامر النبوية الشريفة تحولت في كثير من اللغات الأفريقية الى



أمثال شعبية ونصائح وأوامر متداولة تلعب دورها الفعال في النشأة الاجتماعية .

وليس أدل على عمق التأثيرات العربية في الاستخدامات اللغوية والأدبية الافريقية من تأثير نمط الشعر العربي من حيث وزن الشعر والتشطير والقافية على الشعر الافريقي . ولقد قام الاستاذ الدكتور كبير وجلادنشي استاذ اللغات الافريقية في جامعة بابارو بدراسة للشعر الهاوسا والفولاني . ووجد أن شعراء الهاوسا والفولاني يستخدمون على الأقل ثمانية من الأوزان العربية للشعر مثلما هي في العربية تماماً . كما أن الكثير من شعراء الفولاني كانوا يلجأون الى استخدام كلمات عربية في نهاية الابيات الشعرية تحقيقاً للقافية اذا لم تسعفهم كلمات لغة الفولاني .

الحاجة الى منطلق عربي

وهكذا نجد أن أثر الثقافة العربية قد تعمق في لغات الشعوب الأفريقية لدرجة تجعلنا لا نتردد في القول بأن بعض تلك الشعوب الأفريقية كانت بسبيلها الى الاستعراب الكامل كما استعربت شعوب اخرى من قبل في الشمال الأفريقي مثل مصر وتونس والجزائر والمغرب لولا الضعف الذي اصاب الظهير العربي بانتهاء الخلافة وضرب الاستعمار للثقافة العربية بكل قواه الصليبية والسياسية والاقتصادية ، واثارته للنعرات القبائلية والاقليمية وغير ذلك من وسائل .

وهذا بالتالي يلزم العالم العربي بالاتجاه الى منطلق جديد لنشر الثقافة العربية وتقوية ما هو قائم من صلات ثقافية ، واعادة ما اندثر أو ضعف منها . ويحتاج الأمر الى أن تتحول توصيات وقرارات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الى فعل وجهد يتجه الى وجهات ثلاث مترابطة :

اولاً : توثيق التراث الافريقي العربي وتراث اللغات الافريقية المدون بالأبجدية العربية .

ثانياً : دراسة هذا التراث ونشره لاتاحة الفرص لاستخراج أصل الصلات والقواعد التي تحكمها وصولاً الى حلول لمشكلات استخدام الأبجدية وتنميط استخدامها احياء لهذا النمط القوي الذي يربط اللسان الافريقي باللسان العربي .

ثالثا : تقديم المساعدات الفنية والمادية لنشر هذا التراث وطباعته ليبرز أمام الشعوب الافريقية عمق الصلة بين العربية واللغات الافريقية .

ولعل في هذا المنطلق الثلاثي العناصر أساساً لنشر العربية ذاتها . فان محو الأمية بالأبجدية العربية ليعد نقطة بداية لنشر اللغة التي تستخدم هذه الأبجدية .

ونشر اللغة وتقارب الألسن يعد أساساً لكل التقارب السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي ننشده من أجل رخاء شعوب العالم الثالث وسلامها ووقوفها موحدة ضد الاستعمار الجديد . وغير ذلك مما ينبعث من أعماق الأعداء من صليبيين وصهيونيين وغربيين وشرقيين مستغلين .

محمد جلال عباس
جامعة الملك فيصل

الملحمية في ديوان "أنشودة الخليج" للشاعر مبارك بن سيف آل ثاني

بقلم: حاتم صادق خربيط

عندما يستوعب الشاعر عصره ويعرف كل الأبعاد التى تتكون منها حدود التاريخ الذى قرأ عنه وسمع به وعاشه ، وحدود المعرفة الحياتية واللغوية ، وحدود التجربة الناضجة ، يتدفق الشعر الذى ينظمه مليئاً بالابداع والجمال ..

ومن الشعر المتميز القصيدة « الملحمية » الطويلة التى أخذ الديوان الذى ضمها اسمه من عنوانها « أنشودة الخليج » للشاعر القطرى مبارك بن سيف آل ثانى ، والصادر عن الدار الشرقية للنشر والتوزيع فى الدوحة

هذه القصيدة « الديوان » المكونة من ثلاثمائة وسبعة وثلاثين بيتاً من الشعر تحمل فى طياتها أصالة عميقة الجذور حتى لتغدو أكثر من قصيدة بذلك الزخم الكبير الذى حوته من الأحداث التاريخية التى شهدها الخليج العربى على مدى حقبة بل مجموعة أحقاب زمنية تتالت عليه وشهد فيها ذلك المزيج المتنوع والمتفاوت من الحضارات والدول والحركات والمحاولات الاستعمارية والأحداث الصغيرة والكبيرة ..

استعراض شامل ومتقن يؤكد من خلاله الشاعر مبارك بن سيف آل ثانى شاعريته وقدرته الجيدة والمتفوقة على التعامل مع اللغة العربية ممثلة بحروفها وكلماتها وجملها وبيلاغتها وتصويرها وتركيباتها ، وبموسيقاها ، والتجانسية النغمية التى تتوالد من تآلف الألفاظ والمعانى .. ومع التاريخ ممثلاً بكل التفاصيل التاريخية والحضارية فى حياة الخليج العربى ومعرفة الشاعر بثقافاتها ، والثراء العظيم فى قيمة هذا التاريخ وهذه الحضارة .. ثم مع التراث ممثلاً فى الامكانات التراثية الهائلة التى تختزنها أرض الخليج :

يا حارس التاريخ هل أخبرتنى
فعلى رمالك ترقد الأنباء
وتنام تحتضن الحياة لو أنها
- يابحر - تصحو . إنها آلاء

إن الشاعر مبارك وهو ينقل إلينا الأحداث التاريخية والصور التى شهدها الخليج يعطى الاحساس الكامل والمرهف بمكنونات الحدث ، حتى يبدو لنا وكأنه عايش كل هذه الأحداث وخبر خفاياها ، وهو ينقلها إلى الخليج الصامت محكية بعبارات منتقاة لتعطى أقصى أنواع التعبير ، ثم يصمت ليسمع مايقوله الخليج بنفس الأسلوب .. وهذا النوع من تبادل المواقع يقصد به تأكيد حقيقة الحدث المروى عنه من خلال إعادة التأثير الحسى عبر إيقاظ الذكريات التى أغمض عليها الزمن عيونه .

الشاعر يغوص فى أعماق التاريخ بحثاً عن الصور العظيمة التى لاتزال مرسومة بالكلمات ، وأملاً فى الكشف عن الدرر الثمينة التى تختبئ فى محارات الكتب ، والحكايات التى تتناقلها الأجيال عن بعضها ، وتلك هى روعة الربط الاستمرارى بين وجهين للغوص : قديم وحديث ، الغوص الذى هو سمة حياتية وتراثية وتاريخية فى الخليج ، غوص أبنائه قديماً بحثاً عن اللؤلؤ الذى قد يكون ثمنه دماء غواص فاجأه خطر فى الاعماق ، لكنها لقمة العيش التى لا ترحم :

يادرة تسعى لجيد جميلة
تبا لدر سال فيه دماء

وغوص الشاعر حديثاً يلم أشتات كنوز قد يجهلها كثيرون ليضم منها قصيدته الرائعة فى رحلة على متون الحروف والكلمات والجمل والأبيات ، يتهادى عبر بحر الابداع على ترنيمات موسيقى تتقاطع فيها النغمات بتنسيق جمالى وتكوينات تصويرية مثيرة ، غوصه ليس غريباً وهو ابن الخليج ، وفى داخله ينمو حبه وتعلقه بأرضه . وغوصه أيضاً نوع من الاستدراج لأفكارنا وعواطفنا للمشاركة الكاملة فى انشودة ليست انشودة عادية ، بل هى حداء حقيقى يردده بدوى أصيل لركب أوله فى الزمان الحاضر وآخره يمتد إلى آلاف السنين حضارة وعلماً وثقافة وأصالة ، ويتخذ له من شواطئ الخليج موطناً يتنقل فيه بين غدو ورواح ، مختزناً كل مايمكنه من العراقة التى يتميز بها .

عملية الاستدراج التى يقوم بها الشاعر بعيدة كل البعد عن المفاجأة والتكلف ، الاستدراج هنا حالة استفزاز عناصرها العبارة المنتقاة الرائعة ، والصورة المشكلة بتكوين فنى مدهش ، والموسيقى القوية المتجانسة المنتظمة التى تتوالد من تفعيلات البحر الكامل وتناسب هذا العرض التاريخى العظيم الذى يحتاج إلى نغمة موسيقية متواترة ، الاستدراج يبدأ من الوصف :

وعجزت عن وصف الضفاف إذا الضحى
نثر الضياء عليك فهو رواء
والليل إن أرخى عليك سدوله
عكست مياهك ما حوته سماء
فالموج ليل ، والنجوم جواهر
والبدر فيه درة زهراء
والموج آت ذاهب فى همسه
كف تمد ، وليس ثم رجاء
بل إنها أنات محموم الهوى
فى همسه أمل له ورجاء
والناعمات من النسائم قد سرت
بين النخيل وظلهن خباء



الشاعر مبارك بن سيف آل ثاني

غلاف الديوان

ومن إطار هذه الصور الآتية المتنقلة على ضفاف الخليج مابين إشراقة صباح وردى ، وهمسة ليل نجومه جواهر ، وموج الخليج يغزل فيه حكاية الرحلة الأزلية مع العشق بينه وبين الشاطئ . من إطار هذه الصور الشيقة يخرج ليبدأ السفر مع التاريخ بالسير العكسى من الحاضر إلى الماضى الأقرب فالقريب فالبعيد فالأبعد :

كم كنت ياشط الخليج ملاعباً
تهفو إليك الليلة القمراء
فنجوب ساحة حينا فى فرحة
بظلالنا وحجارة سعداء

وربما كان يجدر بنا أن نبدأ من حيث بدأ الشاعر مما هو أقرب من الطفولة وذكرياتها إلى الحاضر وهى سفن الصيد والغوص والتجارة والسفر :

زفت اليك الفلك وهى عرائس
خجلى وإن العاشقين سواء
أنظر ، فذاك « البوم » فوق مياهه
وبقربه « البقارة » الشماء
وهناك « شوعى » و « بانوش » هنا
وشباك صيد قد رفعن خواء
وترى هنا « نورية » مرمية
فوق الرمال وقربها « البغلاء »

ويستعرض بنفس شعرى متواصل وبزخم واحد ذكريات الطفولة والفولكلور القديم الذى كان يسم ألعابهم فى رمضان والمواسم ، ويتابع الرحلة على متون أبيات منظومة بمهارة فنان حاذق فيخترق الأزمان ويتجاوز حدود الذكريات الفردية إلى عوالم المعلومات التاريخية ، لكن يسأل الخليج قبل الابحار :

وسألته عن قومه ، عن أرضه
أو فى الخليج تبدلت أشياء ؟
عن أمسه المجهول ، قال : هنيهة
أنصت ، فصوتى الموج والأنواء

ويحدثه حديثه الطويل عن قبيلتى « طسم وجديس » ومدينة « أور التى بعث فيها النبى ابراهيم الخليل ــ عليه السلام ــ وأرض « بابل » ومدن « الجرهاء » ومزون ودارين وهجر » وقبائل « بكر وعبد القيس وبنو تميم وإياد والأزد » وغيرها .

إن استعراض هذا التاريخ الواسع العريض والعريق والعميق فى أصوله لم يكن بالأمر السهل خاصة وهو يروى فى قالب شعرى موزون ومقفى ، ولا يفوت الشاعر جانب من جوانب هذا التاريخ الحافل ، حتى أنه أحياناً يتحدث عن أشياء صغيرة جداً لكنها مهمة فى إشادة هذا البيان الشعرى الملحمى ، ودعم أركانه بشكل متين ومتجانس .

ولئن لجأ الشاعر إلى المباشرة فى سرد بعض الأحداث ، فإنما هو ــ كما يبدو ــ نوع من تخفيف الضغط على النفس الشعرى أمام كثافة الأحداث التاريخية واتساع دائرة الحضارات التى عرفها الخليج العربى :

ورأيت « جلجاميش » وهو مكابر
يحدوه وجد للخلود وداء
ألأجل « عشتار » أراد خلوده
ألأجل « أنكا » أم هى الخيلاء
ألأجل « أوروك » المجد شعبها
أم أنها الدنيا منى عمياء

وبنفس الأسلوب يتحدث عن « ذى القرنين » و « نياركس » و « ذى الاكتاف » و « ذى قار » و « ابن ذى يزن » و « ابن الفجاءة » و « طرفة بن العبد » وأسماء أخرى كثيرة ، ولكنه حين يصل إلى مرحلة ظهور الاسلام يتوقف قليلاً ليعبر عن حالة الانبهار التى غمرت الكون :

البدر يبعث بالنجوم رسائلاً
فالحق نور والقلوب ضياء
ورأيت نور الحق فى رسل الهدى
فالكل فيه رفعة وبهاء
« الله أكبر » رددت أصداءها
أرض الخليج ومثلها الأرجاء

ويتابع رحلة البحث عن تفاصيل وأحداث أخرى فى أعماق التاريخ بالخليج وصولاً إلى الماضى القريب حيث يلقى زورقه فى زمان ماقبل النفط ليتحدث عن حياة قاسية عاشها أبناء الخليج العربى بحثاً عن لقمة العيش مأخوذة من أعماق البحر فى محارة أو سمكة ، أو من حضن الرمال فى صحراء خالية من كل أثر للحياة ، ثم حولتها الادارة الجبارة إلى حدائق ومزارع تزهو بالخضرة .

ويختتم قصيدته الطويلة متحدثاً عن الحاضر المزدهر فى الخليج العربى بكل ما فيه من تطور وتنوع وحضارة خاصة بعد قيام مجلس التعاون بين دول الخليج :

يكفيك فخراً أن فيك علائماً
فكأنها فوق الدنا طغراء
فبنوك صيد فى المعارك ما انثنى
لهم إذا حم الوطيس لواء
لهم السوابح والعتاق رواكب
فتساوت الأمواج والدهناء

حاتم خربيط ــ جدة

بين السينما والأدب

بقلم : أمين صالح

● توفيق الحكيم يشاهد قصصه كمتفرج عادي ولا يحتج ولا يصرخ ولا يشعر بخيبة الأمل عند رؤيتها !

في العدد الماضي رأينا كيف أن السينما ارتبطت بالمسرح والأدب منذ البداية ، وكيف لجأ أوائل السينمائيين إلى الكتاب والأدباء البارزين ليزودوهم بالنصوص الجيدة التي تنقذ أفلامهم من الموت وتجذب الجمهور إلى القاعات الخالية . إلا أن هذا الاتجاه سرعان ما اتجه في السنوات الأخيرة إلى فيلم « المؤلف » وهو الذي يتحول فيه المخرج إلى مؤلف يصوغ العمل الأدبي بأداته « الكاميرا » ويقدمه بلغة السينما المتميزة .. واستعرضنا بعض آراء كبار المخرجين أمثال انتونيوني وجوزيف لوزي وفلليني في علاقة المخرج السينمائي بالعمل الأدبي ، وكيف أجمعوا جميعا على أنهم يقدمون في أفلامهم أشياء لا نراها في الكتب .. ولكن هل هذه الآراء التي أدلوا بها تعني أن الحقل السينمائي يخلو من مخرجين أمناء على النص الأدبي يقدمونه دون إضافة أو إبداع ؟ هذا ما سنواصل مناقشته مع غيره من القضايا في هذه الدراسة عن السينما والأدب :

إن ما استعرضناه من آراء لكبار المخرجين عن سينما المؤلف ، يعبر بدقة عن واقع العلاقة بين الأدب والسينما ، وعن طريقة التعامل التي يتبعها هؤلاء المخرجون الذين يمتلكون أساليب ورؤى خاصة ينطلقون منها في تحقيق اعمالهم الإبداعية .

العلاقة بين الأدب والسينما

وهذا لا يعني أن الحقل السينمائي يخلو من مخرجين منفذين للنص الأدبي كما هو دون اضافة أو إبداع ، فثمة مخرج يعتمد على اسم الكاتب أو شهرة العمل الأدبي لكي يحقق رواجاً تجارياً ، ومخرج آخر يعتمد على نفس الشيء ولكن افتقاره إلى الابداع وضيق افقه يؤديان إلى تشويه المضمون الأدبي وتحريفه ، وثمة مخرج يمتلك قدرة تكنيكية عالية كتوني ريتشاردسون البريطاني مثلاً ولكننا نجده في افلامه يستند على افكار ورؤى المؤلفين الأصليين ، فتأتي أفلامه تعبيراً عن فكر جان جينيه واوزبورن وسيليتو وغيرهم . وحين يحاول المرء أن يبحث عن موقع هذا المخرج وموقفه الفكري فانه لن يجد غير التكنيك المتطور فحسب .

وفي السينما المصرية يتمثل هذا النموذج في حسين كمال ، المتمكن من الحرفة السينمائية ، في احدى مقابلاته نقرأ ما يلي :

س : من الواضح أنك كنت حريصاً على ابراز رؤية مصطفى محمود في « المستحيل » ورؤية يحيى حقي في « البوسطجي » . فهل يمكن أن نتعرف على منهجك الخاص ؟

ج : أنا باستمرار حريص الى اقصى درجة على ابراز فكرة المؤلف واعطائها للجمهور (...) وعموماً فان اختيار موضوع معين والاحساس به ثم اخراجه يعني انني متفق معه .

س : لكن هناك فرقاً واضحاً وقاطعاً بين رؤية « المستحيل » ورؤية « البوسطجي » فهل يعني هذا انهما يمثلان موقفك الفكري من الواقع الانساني ؟

ج : لا . موقفي الفكري تعرفه عندما اكتب رواية .

س : ولكن الى متى ستظل مخرجاً ينفذ أفكار غيره ؟

ج : ليس في امكاني الآن أن أكتب أفلامي بنفسي .

ومنذ ١٩٦٨ وحتى اليوم لم يؤلف حسين كمال فيلماً بنفسه . والملاحظ أن سبب لجوء السينما المصرية الى نقل الأعمال الأدبية الى الشاشة هو النقص الملحوظ في السيناريوهات الأصلية وافتقارها الى مخرجين يؤلفون افلامهم بأنفسهم . لذا نجد أن معظم اعمال احسان عبدالقدوس ومحمد عبدالحليم عبدالله والسحار والسباعي قد تحولت الى أفلام . أما بالنسبة لأعمال نجيب محفوظ فقد أثير جدل صاخب حولها . حيث أن البعض طالب بالالتزام الحرفي بالنصوص ، والبعض رد بأن هذا غير ممكن لأن السينما تفرض شروطاً تتفق مع الشكل السينمائي . وعند تقييمنا للافلام التي تناولت اعمال محفوظ نجد أن حسن الأمام قد تجاهل معظم ما أراد أن يقوله محفوظ واكتفى بالتركيز على قصة حب حميدة وعباس الحلو في « زقاق المدق » وعلى غراميات عبدالجواد وياسين في « بين القصرين » و « قصر الشوق » . وحسام الدين مصطفى اهتم بالمشاهد الجنسية في « الطريق » و « السمان والخريف » . كما اهتم كمال الشيخ بالمطاردات في « اللص





توفيق الحكيم



نجيب محفوظ



إحسان عبد القدوس

والكلاب » نتيجة تأثره بالأفلام البوليسية . والذي يمثل الاستثناء هنا هو صلاح أبو سيف الذي يعد من أقدر المخرجين على فهم واستيعاب أعمال محفوظ . (٤)

لقد طرحت رأي السينمائيين في النص الأدبي وكيفية تعاملهم معه ، والآن سأتناول رأي الكتاب في الأفلام السينمائية التي عالجت أعمالهم ، بالاضافة الى مواقفهم وردود فعلهم ومدى قبولهم أو رفضهم لعملية التحويل والنقل .

فمن من جهة نجد أن بعض الكتاب قد اتخذوا موقفاً رافضاً ازاء الفيلم المعد عن احدى قصصهم وانكروا انتماء قصة الفيلم اليهم ، وهؤلاء كانوا يطلبون من الفيلم أن يعبر تماماً عن كل ما طرحوه في عملهم الأدبي : فعلى سبيل المثال : يقال أن همنجواي عندما شاهد روايته « العجوز والبحر » على الشاشة ، خرج قبل أن ينتهي الفيلم صارخاً « ليست هذه قصتي » .. كذلك فعل شتاينبك .

ويقول احسان عبد القدوس : « لم تظهر على الشاشة قصة لي أحس أنها هي نفسها القصة التي كتبتها ، حتى أني فكرت مرة أن أكتب بنفسي السيناريو ، ولكن بعد أن وصل السيناريو الى يد المخرج وجدته شيئاً آخر يظهر على الشاشة . ورغم ذلك فان معظم هذه القصص أرضت الجماهير سينمائياً وهذا ما يجعلني ألزم الصمت واتحمل » . (٥)

ومن جهة أخرى نجد بعض الكتاب الذين اتخذوا موقف القبول إدراكاً منهم لطبيعة العمل السينمائي وامكانياته المختلفة : يروي المخرج المصري محمد كريم في مذكراته حول فيلمه زينب الذي اخرجه عام ١٩٣٠ والمأخوذ عن رواية للدكتور محمد حسين هيكل : « في لقائي الثاني مع الدكتور هيكل ، قصصت عليه أحداث السيناريو والتغيير الذي عملته ، واذا بي أفاجأ بأنه وافق على الفور ، وزاد بأن قال ان للقصة المكتوبة أصولاً وقواعد لا تتفق مع أصول وقواعد السيناريو السينمائي ، ومن حق رجال السينما أن يدخلوا من التعديل ما يتفق وأسلوبهم في العمل . » . (٦)

ويشير هاشم النحاس في كتابه (نجيب محفوظ على الشاشة) الى أن سبب رفض محفوظ لكتابة سيناريوهات الأفلام المأخوذة عن رواياته ، يرجع الى أنه يرى من الصعب عليه باعتباره كاتبها أن يتخلص من اسرها الأدبي مما قد يضير بالفيلم نفسه . ويقول محفوظ : « من حسن حظي أن جميع الأفلام التي اخذت عن كتبي أحرزت نجاحاً ساحقاً . وقد استجبت لها رغم كل ماقيل عنها . ليس هناك أفظع مما قيل عن فيلمي قصر الشوق وبين القصرين ، ومع ذلك سعدت بهما جداً ، وأنا راض عنهما تماماً » .

أما توفيق الحكيم فيقول : « لعلمي المسبق أن السينما لن تأخذ من عملي الا مايدخل في اختصاصها المتطور ، لذلك لا أحتج ولا أصرخ ولا أشعر بخيبة الأمل . انني لم أطلب يوماً من السينما أن تنجح في ايصال معاني قصصي لجماهيرها بنفس الدقة وبنفس الحرارة . (...) ولذلك أشاهد قصصي كمتفرج عادي وليس كمؤلف لها . »

إن المحصلة النهائية لمجمل ما ذكرته هي أن عملية تحويل شكل فني الى شكل فني آخر تؤدي الى خلق عمل جديد تماماً . فعملية تحويل الروايات الى السينما تولد شعوراً جمالياً يختلف كل الاختلاف عن ذلك الشعور الذي تولده قراءة الروايات

● رغم أن «أورسون ويلز» قدم للسينما رواية «المحاكمة» لكافكا بأسلوب مختلف إلا أنه احترم رمزية المؤلف في الانفتاح على عوالم أخرى!

الأصلية ، وذلك لأن وسيلة الاتصال الجماهيري – أي اللغة – مختلفة ، فاحداهما لغة أدبية تقوم على الحروف الأبجدية الهجائية ، أما الثانية فهي سمعية مرئية. (٧)

ويطرح بول وارن في كتابه (السينما بين الوهم والحقيقة) نموذجين لعملية تحويل الرواية الى فيلم . النموذج الأول : رواية شارلز ديكنز « اوليفرتويست » التي اخرجها البريطاني دافيد لين . يقول : ان بعض مشاهد الفيلم كانت تحويلاً مرئياً مسموعاً شديد الدقة لما خطته ريشة ديكنز ، ومع ذلك فان الشحنة العاطفية التي اتلقاها خلال جمل ديكنز تختلف أساساً عن تلك التي أتلقاها عبر صور لين وأصواته . ان الصورة الذهنية التي تتشكل في المخيلة تختلف باختلاف نفسية كل قارىء ومستواه الذهني وحساسيته وتجاربه السابقة ، والسبب في ذلك هو أن للكلمات رموزاً تعيد احياء الصورة المحتجبة في أعماق نفس كل منا . إن لين يقدم صوراً وأصواتاً تحاول بلا جدوى تحويل المعاني المادية والمباشرة التي تحملها الكلمات إلى معان سينمائية . وهو لم ينقل لنا سوى المعنى المباشر والحرفي لرواية ديكنز ، دون أن يعطينا روحها .

النموذج الثاني : رواية كافكا « المحاكمة » التي استوحى منها الأمريكي اورسون ويلز فيلمه الذي يحمل نفس العنوان . يقول وارن : أن ويلز لم يعتبر عمل كافكا في أية لحظة نموذجاً يتعين عليه أن يلتزم به . فقد أدرك ويلز أنه ليس من شأنه ان يعبر بالسينما عما عبر عنه كافكا بعبقريته مستخدماً الكلمات والألفاظ ، وكل ما كان يعني ويلز هو أن يعبر عن الحالة الشعورية الخاصة التي انتابته عندما قرأ رواية المحاكمة ، بل كل أعمال كافكا الأخرى . لذلك نجد أنفسنا أمام فيلم ويلز تجاه كيان فني مختلف اختلافاً جذرياً عن ذلك الذي تضمه طيات رواية كافكا ، وقد بلغ هذا الاختلاف درجة تجعل من المستحيل المقارنة بين العملين ، فمحاكمة ويلز عمل يقف على قدميه وحده ، وهو ذو قيمة ذاتية تنبع منه وحده . ورغم هذا الاختلاف ، فان القيم الأساسية عند كافكا موجودة في فيلم ويلز ، وتصل الى المتفرج ، ولكن من خلال وسيلة مختلفة واسلوب ادراك مختلف بالطبع . ولكن هذه القيمة تصل الى المتفرج بقوة لا تقل عن قوة وصولها لقارئ كتاب كافكا . لقد اصبح كل تمرد كافكا ضد تقييد الحياة الانسانية الى درجة العبودية : هو نسيج فيلم ويلز من اوله لآخره . واذا كان فيلم ويلز لا يقلل من قيمة عمل كافكا ، فان السبب في ذلك هو أن المخرج قد قرأ كافكا بقلب متفتح وذهن محلق . فالأصوات والصور التي قدمها متفتحة تصل إلى درجة الشمول وتحترم قابلية كلمات كافكا الرمزية للانفتاح إلى عوالم أخرى .

ويتوصل بول وارن الى هذه النتيجة : ان الأعمال ذات الطابع الذاتي هي الوحيدة التي تنجح في تحويل شكل فني إلى شكل فني آخر ، وان الذي يقوم بها يجب أن يكون فناناً أي لا يأبه مطلقاً بالاخلاص لأي نموذج كان ، ولا يبحث إلا عن شيء واحد هو أن يعبر عن نفسه ، بعد أن يتلقى الصدمة الانفعالية من عمل أو شخص ما .

التأثير المتبادل بين السينما والأدب

نأتي الى التأثيرات المتبادلة بين السينما والأدب بحكم العلاقة التي نشأت بينهما منذ البداية وحتى اليوم ، وبحكم تفاعلهما المؤثر .

أولا : تأثير الأدب على السينما :

في مقالة للمخرج الروسي سيرجي ايزنشتاين حول « ديكنز وجريفث والفيلم اليوم » يبين ايزنشتاين مدى استفادة المخرج الأمريكي جريفث من شارلز ديكنز ، وكيف انه تمكن من اكتشاف ابتكاراته عن طريق التعمق في قراءة صور واشارات ديكنز الكامنة في اعماله ، سواء في المنتاج (كالمزج ، اللقطات المطبوعة فوق بعضها) أو في حركة الكاميرا (كالحركة الاستعراضية) .

وايزنشتاين نفسه يصرح في كتابه « الاحساس السينمائي » بأنه استفاد في عملية المونتاج من بوشكين وميلتون وموباسان وماياكوفسكي ، ويعتبر اعمالهم « تمثل أهمية قصوى لاثراء المصادر التعبيرية في الفيلم » وعن بوشكين يقول : « انه يعلمنا كيف نعمل حتى نتفادى اللقطات المصورة ذلك التطابق الآلي مع الدقات على شريط الصوت » . وهو يعتبر كتاب ميلتون « الفردوس المفقود » : « مدرسة من المستوى الاول تستطيع فيها أن تدرس المونتاج والعلاقات السمعية والبصرية » .

كذلك نلاحظ تأثر جان رينوار باسلوب اميل زولا الواقعي .

ثانيا : تأثير السينما على الأدب :

لقد استفادت الرواية والقصة القصيرة والقصيدة استفادة كبيرة من المونتاج السينمائي والاساليب السينمائية الاخرى : كالقطع واستخدام اللقطات والارتداد إلى الوراء (الفلاش باك) والاختفاء التدريجي . ونلاحظ الاستفادة من المونتاج بنوعيه : المونتاج الزمني (أي أن يظل الشخص ثابتاً في المكان بينما يتحرك وعيه في الزمان) والمونتاج المكاني (أي يبقى الزمن ثابتا ويتغير العنصر المكاني) ، وتجد هذا بصورة مكثفة في أعمال كتاب « تيار الوعي » (٨) .. وأيضاً في القصة الحديثة .

● من هم أهم الأدباء العالميين والعرب الذين دخلوا إلى مجال السيناريو والحوار في السينما؟

يقول روبرت همفرى فى كتابه « تيار الوعى فى الرواية الحديثة » :

« ان الوظيفة الأساسية لكل الوسائل السينمائية . وبخاصة تلك الوسيلة الأساسية : المونتاج ـ هى التعبير عن الحركة وتعدد الوجود . وهذه الوسيلة المعدة لتقديم ماهو غير ساكن وغير ممركز هى الوسيلة التى اغتنمها كتاب تيار الوعى لتسهم قبل كل شئ فى تحقيق غرضهم الأساسى ، وهو تقديم العنصر المزدوج فى الحياة الانسانية ، أى الحياة الداخلية مع الحياة الخارجية فى وقت واحد . »

ويقول دكتور طه محمود طه فى كتابه « موسوعة جيمس جويس » :

« يتحكم جويس فى تيار الوعى فى يوليسيس بطرق سينمائية . ويعتبر الفصل الخامس عشر كرنفالا فنيا مارس فيه جويس جميع الفنون . أما الفصل العاشر فيعتبر فيلما مصغرا ليوليسيس بأكملها . وقد نجح جويس فى اسغلال الأساليب السينمائية لعرض حياة الانسان المزدوجة : حياة الانسان الفكرية ، متمثلة فى تيار الوعى الذى يسيل من لحظة لأخرى دون التقيد بالزمان والمكان ، وحياة الانسان الطبيعية فى العالم الذى تتحدد حركاته فيه زمكانيا » .

ونجد ايضاً تأثر نجيب محفوظ بالفن السينمائى ، فهو يقول : « السينما تأثرت بها فى أعمال كثيرة مثل استخدام الخيال البصرى فى الرواية . واعتقد أن ميرامار يظهر فيها التأثر بالخيال البصرى لأنى اعتمد فى رواياتى على المنظر وليس السرد » . هذا بالنسبة للتأثير فى الاسلوب والبناء القصصى ، وهناك مستوى آخر للتأثير يكمن فى توسيع رقعة الجمهور ، كما أن انتشار الكتاب عن طريق السينما رفع من انتشارهم فى مجال الأدب ، فالنسخ التى بيعت من الروايات بعد تقديمها على الشاشة فاقت مابيع منها منذ صدورها .

بعض من اجتذبتهم السينما من الكتاب

من المعروف ان السينما استقطبت عددا كبيرا من الادباء والعاملين فى المجالات الفنية الأخرى ، وقد توجه هؤلاء للعمل السينمائى فى مختلف أقسامه الفنية : تمثيل ، تصوير ، كتابة السيناريو والحوار ، اخراج .

فمن ضمن الذين مارسوا كتابة السيناريو والحوار : فولكنر ، ارثر ميلر ، تينسي وليامز ، سكوت فيتز جرالد ، شتاينبك ، همنجواى ، وليم ساروريان ، جور فيدال ، مايكو فسكى ، جوركى ، بريخت ، شيلا ديلانى ، ادريان ميتشيل ، جون اوسبورن ، انتونان آرتو ، فرنسيس بيكابيا ، جاك بريفير .

وقد برر الشاعر جاك بريفير هذا التوجه قائلا : « طيلة عملى الادبى لم أستطع التفريق بين القصيدة والرواية . وأمام هذا الفهم الخاص ، كنت اعتبر ان الفيلم هو قصيدة العصر . بمعنى آخر ، انه رواية العصر . عندما يتسنى لك أن تعطى أبطالك ا شكالهم الواقعية القصوى ، فما هى الذريعة التى تحول بينك وبين عملية التجسيد هذه ؟ ان السينما ليست اختيارا شخصيا إنما هى لغة العصر » .

وفى السينما المصرية نجد : نجيب محفوظ ، احسان عبد القدوس ، السباعى ، السحار ، مجيد طوبيا .

ومن ضمن الذين مارسوا الاخراج : جان كوكتو ، اندريه مالرو ، ارابال ، مرجريت دورا ، الان روب جرييه ، جان جينيه ، بازولينى ، برتو لوتشى ، هارولد بنتر ، روبرت بولت ، نورمان ميلر ، سوزان سونتاج ، والتون تريمبو ، بيتر فايس ، شوجى تيرايانا ، بو ويدربرغ ، عثمان سمبين .

وأسباب التوجه الى الاخراج السينمائى عديدة ومختلفة ، فبرتولوتشى يعتبر السينما هى اللغة الشعرية الحقيقية . وكوكتو يعتبر السينما احدى الوسائل التى يمكن ان تعبر عن الشخص المجهول الذى يسكنه . وبازولينى حقق فيلمه الأول لكى يعبر عن نفسه بواسطة أداة مختلفة وقد قال : « انا دائما احاول أن أجد وسائل جديدة للتعبير » . أما الان روب جرييه فقد قال : « ليست موضوعية الكاميرا هى التى تفتن كتاب الرواية الجدد ، وانما امكانياتها الذاتية والتخيلية . إنهم لايفكرون فى السينما كوسيلة تعبير ، بل كوسيلة بحث » .

أمين صالح ـ البحرين

هوامش

(١) رينيه كلير : كتاب « سينما الأمس وسينما اليوم

(٢) مجلة المعرفة السورية كانون الثانى ١٩٧٣

(٣) مجلة المسرح والسينما المصرية عدد يوليو اغسطس ١٩٦٨

(٤) انظر كتاب « نجيب محفوظ على الشاشة » لهاشم النحاس

(٥) جريدة السينما والفنون ٢٥ / ٧ / ١٩٧٧

(٦) مجلة الهلال يناير ١٩٦٩

(٧) بول وارن السينما بين الوهم والحقيقة

(٨) تيار الوعى : نوع من القصص يركز فيه اساسا على ارتياد مستويات ماقبل الكلام من الوعى بهدف الكشف على الكيان النفسى للشخصيات .. ويمثل هذا التيار جيمس جويس ، فرجينيا وولف ، ووليم فولكنر .

بين الألغام والملاحة الحرة والسياسة

البحر الأحمر

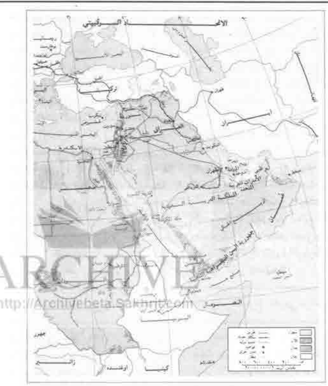
- بحر عربي في عاصفة دولية
- الغرب يفكر في التدويل
والعرب يفكرون في الأمن

بقلم : عصام شريح



قناة السويس : شريان الحياة التجارية في البحر الأحمر

جاءت عملية تلغيم البحر الأحمر ، وما رافق انفجار الألغام بثماني عشرة سفينة من ضجيج اقليمي وعالمي مثير ، ليكشف عن الأهمية البالغة لهذا البحر ، الذى كان وما يزال حلبة من حلبات التنافس الاقليمي والدولي ... ولا يعنينا الكشف عن الجهة التي تقف وراء عملية التلغيم ، بل تسليط الأضواء على واقع البحر الأحمر من حيث موقعه الاستراتيجي وثرواته الدفينة وتاريخ الصراع على حلبته .. اجل ذلك هو هم وطموح هذا البحث .



خريطة البحر الأحمر ، توضح الدول المحيطة به وموقعه الفريد

اضواء عامة على البحر الأحمر

اطلق الجغرافيون القدامى أسماء شتى على البحر الأحمر منها بحر الفرما وبحر القلزم (ميناءان مصريان قديمان) ، أما المحدثون فيذكرون أن اسم البحر الأحمر جاء من طبقة الطحالب الكثيفة التي تضفي على مياهه لونها البني المائل إلى الحمرة .

أما مساحة البحر الاحمر فتبلغ ١٧٨ الف ميل مربع ، وطوله من باب المندب في الجنوب الى مدخل خليج السويس في الشمال ١٣٨٠ ميلاً ، فيما يبلغ متوسط عرضه ١٧٠ ميلاً ، وأقصى عمق له عشرة آلاف قدم ، وهناك ثلاثة خلجان مهمة تقع عليه ، هي خليج العقبة (الأردني) ، وخليج السويس (المصري) ، وخليج باب المندب (اليمن الديمقراطية) وفي البحر الأحمر ٣٧٩ جزيرة معظمها صغيرة جداً ، وبعضها القليل آهل بعدد ضئيل من السكان ، وتبلغ نسبة ما تملكه الدول العربية المطلة على البحر الأحمر من هذه الجزر ٨ر٦٦ بالمائة .

ويحتل البحر الاحمر موقعاً ، جغرافيا وسياسيا ، فريداً من نوعه بين بحار العالم ، حيث يربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر العربي والمحيط الهندي عن طريق قناة السويس في الشمال ومضيق باب المندب في الجنوب ، مما جعل منه همزة وصل استراتيجية للعديد من الطرق المائية ، يضاف الى ذلك موقعه الجغرافي كجزء لايتجزأ من العالم العربي ومنطقة الشرق الاوسط ، ثم ، وربما الأهم من ذلك ، كونه الشريان الذي ينتقل نفط الخليج العربي عبره الى مستهلكي هذه المادة الحيوية في غرب أوروبا ، ناهيك عن أن البحر الأحمر يوفر الطريق الأقصر والأفضل للدول الاقليمية والأجنبية ، للوصول الى البحر الأبيض المتوسط والمحيطين الهندي والاطلسي .

ومن الأهمية بمكان أن نشير الى أن ما نسبته ٢ر٩٠ من مجموع سواحل البحر الأحمر هي سواحل عربية ، وباستثناء اثيوبيا والكيان الصهيوني ، فان البحر الأحمر هو حقاً بحر عربي ، حيث تطل عليه وتحتل سواحله ثماني دول عربية ، هي الأردن والمملكة العربية السعودية ومصر ، وشطرا اليمن والسودان والصومال وجيبوتي ، وربما كان من حسن الصدف ان يعض هذه الدول العربية (مصر وجمهورية اليمن الديمقراطية) ، تتحكم بمدخلي البحر الشمالي والجنوبي .

كما تجدر الاشارة الى أن البحر الأحمر غني بمعادن مختلفة ، كالذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والكروم والزنك ، الأمر الذي يضفي أهمية أخرى عليه ، ويشكل مصدراً للصراع بين الدول

العربية المطلة عليه وغير العربية .

تاريخ حافل بالصراع

وتاريخ البحر الأحمر تاريخ قديم ، ارتبط على الدوام بصراع اقليمي ودولي للسيطرة على ممراته وجزره وسواحله ، انطلاقاً من عوامل اقتصادية ــ عسكرية . ومن الدول والاقوام التي انغمست في صراعات البحر الأحمر الرومان والبيزنطيون والأحباش ، والعرب والبرتغاليون والهولنديون والصليبيون ، وفي القرن الماضي والقرن الحالي ، العثمانيون والايطاليون والفرنسيون والبريطانيون ، ثم الأمريكيون والسوفييت ، وأخيراً وليس آخراً العرب ، والاسرائيليون الغزاة .

وسنشير في هذه العجالة الى بعض هذه الصراعات في القرنين الماضي والحالي . فقد أخذ البحر الأحمر اهميته الحقيقية على صعيد التجارة والملاحة الدولية بين أوربا وامريكا من جهة ، والشرقين الاوسط والأقصى ، بعد إنجاز شق قناة السويس في عام ١٨٦٩ ، وكانت بريطانيا الدولة الكبرى الأولى التي سارعت الى السيطرة على البحر الاحمر من الناحية الاستراتيجية ، عندما احتلت ميناء عدن في عام ١٨٣٩ ، وحولته الى محطة لتزويد سفنها المتجهة من وإلى الهند عبر المحيط الهندي وحول طريق رأس الرجاء الصالح بالفحم اللازم لتسييرها ، كما احتلت جزيرة بريم في عام ١٨٥٩ ، واحتلت مصر في عام ١٨٨٢ ، والسودان في عام ١٨٩٨ ، مما وفر لها استكمال فرض سيطرتها على المواقع الاستراتيجيةفي البحر الأحمر وأهمها قناة السويس وخليج السويس وموانئ السودان ، ثم مضيق باب المندب .

أما فرنسا ، فقد تحركت هي الأخرى ، وقامت باحتلال ميناء « أوبوك » في جيبوتي في عام ١٨٨٤ ، ثم احتلت ماعرف آنذاك بالصومال الفرنسي . ودخلت ايطاليا لتتقاسم مع بريطانيا وفرنسا مناطق النفوذ في البحر الأحمر ، فاحتلت ميناء « عصب » في عام ١٨٨٢ ، مما مكنها من السيطرة على ساحل أريتريا ، وفي عام ١٨٨٥ وسع الايطاليون نطاق سيطرتهم باحتلال ميناء « مصوع » ، ثم حاولوا في أعقاب ذلك احتلال أراضي الحبشة في عام ١٨٩٥ ، لكي يدعموا تواجدهم في شرق إفريقيا والبحر الأحمر ، لكن الايطاليين اخفقوا في تحقيق هذا الهدف بسبب هزيمتهم العسكرية في معركة « عدولا » على يد الجيش الحبشي في ١٨٩٦ ، إلا أن ايطاليا بقيت موجودة على ساحل البحر الأحمر عن طريق احتلالها للقسم الشرقي من الصومال المطل جزئياً على خليج عدن والمحيط الهندي ، وهذا القسم كان يعرف قبل استقلال الصومال ، بالصومال الايطالي . بيد أن المطامع الايطالية في البحر الأحمر ، تصاعدت مع وصول موسوليني الى قمة السلطة في روما ، حيث قام في عام ١٩٣٥ ــ ١٩٣٦ بغزو واحتلال الحبشة . وقد عزز موسوليني الأسطولين البحري والجوي في المنطقة ، الأمر الذي أدى الى تزعزع السيطرة البريطانية على مدخل البحر الأحمر ، عقب اعلان ايطاليا الحرب على بريطانيا في العاشر من حزيران (يونيو) من عام ١٩٤٠ ، وقيامها باحتلال ما كان يسمى بالصومال البريطاني في آب (اغسطس) من نفس العام ، إلا أن بريطانيا تمكنت في عام ١٩٤١ ، من اخراج الايطاليين (الفاشيين) من ارتيريا والصومال ، واعلن من جديد عن فتح البحر الاحمر للملاحة الآمنة أمام سفن الحلفاء ، واصبح بذلك طريق الامداد الرئيسي للقوات البريطانية المحاربة في مصر وليبيا وعموم منطقة الشرق الاوسط .وابتداء من عام ١٩٤٣ وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ أكدت بريطانيا سيطرتها شبه المطلقة على البحر الأحمر ، ولعدة سنوات ، اي حتى نشوب ثورات الاستقلال للدول المطلة على هذا البحر ، ونيل استقلالها فعلا ، فقد جلت القوات البريطانية عن قواعدها في منطقة قناة السويس في حزيران (يونيو) من عام ١٩٥٦ ، وحاولت استعادة هذه القواعد في العدوان الثلاثي في تشرين الأول (اكتوبر) وتشرين الثاني (نوفمبر) من نفس العام ، لكنها فشلت فشلا ذريعاً أمام صمود المقاومة المصرية والقيادة المصرية . وكان هذا الفشل بداية التراجع البريطاني في منطقة البحر الأحمر ، والسيطرة العربية على البحر ، حيث نال السودان استقلاله في مطلع عام ١٩٥٦ ، وكانت الضربة القاضية التي تلقاها الاستعمار البريطاني بعد ذلك ، باستقلال اليمن الجنوبية ، وانسحاب القوات البريطانية من قاعدة « عدن » في اواخر عام ١٩٦٧ ، وكان الصومال قد نال استقلاله كذلك في عام ١٩٦٠ ، ثم نالت جيبوتي استقلالها من فرنسا في عام ١٩٧٧ .

أما أريتريا فقد ضمت الى الحبشة في عام ١٩٥٢ على اساس فيدرالي ، وانسحبت منها القوات البريطانية ، وفي عام ١٩٦٣ اندلعت فيها حركة مقاومة مسلحة تطالب بالاستقلال عن الحبشة ، وذلك بعد أن ألغت حكومة أديس أبابا الطابع الفيدرالي ، وقامت بضم اريتريا بشكل تعسفي وضد ارادة شعبها ، وما تزال الثورة الاريترية الشعبية مستمرة حتى يومنا هذا .

الصراع العربي ــ الصهيوني

رأينا في الصورة التاريخية السابقة ، لوحة مثيرة للصراع الاقليمي والدولي على البحر الاحمر ، أما الصورة التالية ، فهي اللوحة الأكثر إثارة ، نظراً لأننا ما زلنا نتابع مجرياتها وأحداثها ، ولأن المصير العربي برمته مرتبط بنتائج الصراع العربي ــ الصهيوني الذي يشكل البحر الأحمر احدى ساحاته الرئيسية كما قلنا آنفاً .

فمن المعروف أن الصهاينة احتلوا منطقة « أم الرشراش » المطلة على البحر الاحمر ، والواقعة ما بين ميناء « العقبة » الأردني والحدود المصرية ، في العاشر من آذار (مارس) من عام ١٩٤٩ ، فيما كانت « مفاوضات الهدنة » دائرة بجزيرة « رودس » . وبعد احتلالها لأم الرشراش ، اطلقت « اسرائيل » على هذه المنطقة اسم

ميناء « إيلات » . أي أن « اسرائيل » لم يكن لها حدود ساحلية على البحر الأحمر بعد انتهاء الحرب العربية ـ الاسرائيلية الأولى في عام ١٩٤٨ ، وانما تنبهت لذلك فيما بعد . ويبرر « بن غوريون » هذا العدوان على « أم الرشراش » بقوله : « أنه أثناء حرب ١٩٤٨ ، لم يكن من الممكن بلوغ « إيلات » ، لأنها تقع على رأس مثلث يسيطر العدو على جانبيه ، ومن ثم فانه كان بمثابة فخ للموت ، وأنه فقط بعد تأمين احد الجناحين ، اصبح من الممكن دفع القوات الاسرائيلية للوصول الى خليج العقبة ! ! » .

وفي الواقع فان هناك أهدافاً كثيرة اقتصادية وعسكرية واسطورية أيضاً وراء احتلال الاسرائيليين لأم الرشراش ، وتحويلها الى ما يسمى اليوم بميناء إيلات . وأول هذه الأهداف هو دق إسفين بين مصر والمشرق العربي ، وتأكيد دور « اسرائيل » كحاجز استعماري غربي بين المشرق والمغرب العربيين . أما الهدف الاقتصادي فيتمثل في التجارة مع شرق افريقيا ومحاولة النفاذ من خلال بعض هذه الدول (اثيوبيا) الى قلب القارة الافريقية وغربها ، ثم فتح ابواب المحيط الهندي أمام « اسرائيل » . وتأمين وارداتها من النفط الايراني في عهد الشاه السابق . وأما الهدف الاسطوري فقد أشار اليه « بن غوريون » بقوله في خطاب ألقاه أمام الكنيست في ١٥ نيسان (ابريل) : ١٩٥٦ « .. لقد بدأت ملاحتنا البحرية في البحر الأحمر منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، أثناء حكم « سليمان » ، وكانت « إيلات » المرفأ العبري الأول للملك « يودا » ، حتى أواسط القرن السادس ، أي حتى قبل أربعة عشر قرناً ، وكانت هناك جالية يهودية منتشرة على الجزيرة نفسها « يوتفات » في جنوبي خليج العقبة ، والتي « حررها » جيشنا أمس الأول ـ هذه الجزيرة تدعى اليوم « تيران) .

وبعد وصول « اسرائيل » الى احد المنافذ الرئيسية على البحر الأحمر ، تحركت مصر منذ ايلول (سبتمبر) من عام ١٩٥٥ ، وفرضت سياسة « الخنق الاستراتيجي » ضد اسرائيل في البحر الأحمر ، حيث اعلنت عن قوانين جديدة لتنظيم الملاحة عبر مضائق « تيران » المؤدية الى خليج العقبة ، والتي اعتبرتها جزءاً من المياه الاقليمية المصرية ، وقامت مصر لتنفيذ هذه الاستراتيجية بتركيز بطاريات مدفعية ساحلية ، ومدفعية مضادة للطائرات في كل من « رأس نصراني » و « شرم الشيخ » اضافة الى تركيز وحدات من سلاح الحدود في جزيرتي « تيران » و « صنافير » ، ونقاط مراقبة وانذار على ساحل خليج العقبة . وقد ترتبت على هذه الاجراءات المصرية ، وقف عملية الملاحة البحرية الاسرائيلية من « إيلات » واليها عبر البحر الأحمر ، لكن « اسرائيل » تمكنت في حرب عام ١٩٥٦ ، وبالتواطؤ مع كل من بريطانيا وفرنسا ، فيما عرف بالعدوان الثلاثي على مصر ، تمكنت من كسر نظرية « الخنق الاستراتيجي » ضدها في البحر الإحمر ، وكانت احدى نتائج تلك الحرب تسمية خليج العقبة ومضائق تيران ، ممرات مائية دولية مفتوحة لكل الدول بما فيها « اسرائيل » ، في مقابل انسحاب « اسرائيل » من شبه جزيرة سيناء .

وفي أعقاب حرب عام ١٩٥٦ ، اخذ الصهاينة في تطوير قوتهم البحرية في خليج العقبة باضافة العديد من الزوارق الحربية ، كما اخذوا في النظر الى « ملاحتهم » في البحر الأحمر من زاوية استراتيجية ، وقد عبر العميد احتياط « شلومو أريئيل » عن هذه النظرة ، في مقال كتبه بصحيفة معاريف بتاريخ ٢٦ ـ ٤ ـ ١٩٧٤ أوضح فيه الأهمية الإستراتيجية للبحر الأحمر بالنسبة « لاسرائيل » فقال : « لا مبرر للاسهاب في الحديث عن ضرورة الحفاظ على حرية الملاحة في منطقة البحر الأحمر ، التي يمر فيها خط انابيب البترول من الخليج « الفارسي » الى « إيلات » ، والتي يتوقف عليها تصدير المعادن والاسمدة وتجارتنا الخارجية مع الشرق الاقصى واستراليا وشرق أفريقيا ... وتنطوي التطورات المتوقعة في البحر الأحمر ، بعد استئناف الملاحة في قناة السويس ، على مخاطر تصادم مع مصالحنا الحيوية ، ومحاولات زيادةعزلتنا في هذه المنطقة ... ونحن نملك القدرة التكنولوجيةوالبشرية كي نكون عنصراً بحرياً مسيطراً في منطقة البحر الأحمر الحيوية ، ونأمل أن تكون سفينتنا الصواريخ « رشاف » و « كيشيت » المحاولة الأولى نحو مثل هذا التطور ... ان هذا البحر الذي كان في الماضي نقطة ضعف

سواحل البحر الاحمر موزعة بالاميال

المملكة العربية السعودية	١١٢٥
مصر	٨٩٨
اثيوبيا	٤٢٥
السودان	٣٠٩
الجمهورية العربية اليمنية	٢٧٥
جيبوتى	٢٥
الاردن	٥
الكيان الصهيونى	٧

« جزر البحر الاحمر »

المملكة العربية السعودية : ١٤٤ جزيرة اهمها جزيرة فرسان .

اثيوبيا : ١٢٦ جزيرة اهمها مجموعة جزر دهلك ، فاطمة ، حالب ودوميرا .

الجمهورية العربية اليمنية : ٣٩ جزيرة ، اهمها قمران تيران .

السودان : ٣٦ جزيرة اهمها سواكن .

مصر : ٢٦ جزيرة اهمها شدوان ، تيران وصنافير .

جيبوتى : ٦ جزر اهمها موليلة وسيبا .

جمهورية اليمن الديمقراطية : جزيرتان هما بريم وحنيش الكبرى .



بور سودان : ميناء هام للسودان على البحر الأحمر

لاسرائيل ، يمكن أن يتحول الى مجال مبادرة اسرائيلية وقت الحرب ، ولخلق تهديد لمؤخرة مصر ، وطرق ملاحتها ... إن سيطرة مصر على قناة السويس تضع في يدها ، مفتاحاً واحداً فقط لهذا الممر المائي ، أما المفتاح الثاني والأهم ، فبالامكان أن يوجد في يد اسرائيل ، اذا عرفت كيف تطور التفوق البحري في منطقة البحر الأحمر وتحافظ عليه ... ونظرة الى خريطة تلك المنطقة تشير دون الحاجة الى الدخول في التفاصيل ، الى أن مصر مكشوفة ومعرضة للضرب في هذه المنطقة ، أكثر من اسرائيل !! » .

لكن وعلى الرغم من كل ذلك ، فان الهجوم الفدائي ضد ناقلة نفط اسرائيلية في مضيق باب المندب واحراق الناقلة ، ثم اغلاق هذا المضيق في وجه السفن الاسرائيلية في عام ١٩٧٣ ، ما يزالان يلقيان بظلال من الشك حول مستقبل الملاحة الاسرائيلية في البحر الأحمر ، ويشكل مضيق باب المندب ، أحد أهم « الألغام » في الصراع العربي ـ الاسرائيلي في هذا البحر ، وقد قال مؤلف كتاب « النفط : السلطة والسياسة » مردخاي أبير : « أن الصراع العربي ـ الاسرائيلي في أي حال ، يمثل عاملاً مهماً في سياسات البحر الأحمر ، كما أن البحر الاحمر بدوره قد يمثل عاملاً رئيسياً في الحروب الاسرائيلية ـ المصرية في عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ » .

الأمن القومي العربي

في ضوء الاهمية البالغة للبحر الأحمر كشريان للتجارة الدولية والعربية ، وكمعبر للنفط العربي المتجه الى دول أوروبا الغربية ، وازاء المشاريع العربية المطروحة لنقل النفط الخليجي بما في ذلك نفط العراق عبر انابيب تصب في موانئ على البحر الأحمر ، فان هذا البحر قد اصبح اليوم أكثر من أي وقت مضى جزءاً لا يتجزأ من استراتيجية الأمن القومي للأمة العربية بأسرها ، وهذا الواقع يضاعف من حجم المسؤولية الملقاة على عاتق الدول العربية المطلة على البحر الأحمر ، لتحقيق استراتيجية الأمن القومي العربي ، عن طريق توحيد السياسات الحربية وخاصة البحرية والجوية منها ، لتكون درعاً لهذه الاستراتيجية الملحة ، ولاضفاء طابع السيادة العربية على البحر الأحمر بشكل شبه كامل إن لم يكن بصورة مطلقة ، وذلك يقتضي بالضرورة تجاوز الواقع الاقليمي لكل دولة عربية على حدة ، أو واقع التجزئة القائمة في الوطن العربي ، واعتبار

الاسلحة التي تمتلكها الدول المطلة على البحر الأحمر ، سلاحاً واحداً يقوم على اساس التنسيق والتوحيد العملي والعلمي والمدروس ، وتحويل جزر البحر الأحمر الى قواعد عسكرية عربية تخضع لقيادة عربية مشتركة .

(كما يقترح الوزير المصري الدكتور بطرس غالي) ، إقامة وضع تكاملي بين الموانئ العربية في البحر الأحمر ، اضافة الى خلق وضع مشابه لهذا في المياه الاقليمية العربية والسواحل العربية على الخليج العربي والبحر الأبيض المتوسط . وهذا التنسيق والتوحيد للقوة العربية في البحر الاحمر والبحار المجاورة ، ضروري ليس لردع « اسرائيل » ومنعها من الملاحة في بحارنا العربية ، وأخصها البحر الأحمر فحسب ، وانما لردع نفوذ الدولتين العظميين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في المنطقة كذلك ، والذي اخذ في التنامي في غياب قوة عربية رادعة في البحر الأحمر .

ميناء جدة في المملكة العربية السعودية

وعود على بدء... من هي الدولة أو الجهة التي تقف وراء عملية تلغيم البحر الأحمر؟! .. اعتقد أن جواباً محدداً بهذا



خليج العقبة الأردني .. واحد من ثلاثة خلجان هامة تقع على البحر الأحمر

الشأن ليس مهماً تماماً ، بقدر ما هو مهم أن يستوعب العرب الدرس المستخلص من وراء عملية التلغيم ، خاصة وأن « اسرائيل » هي اللغم الأكبر والحقيقي ليس في البحر الأحمر العربي فحسب ، وانما في قلب الوطن العربي بأكمله .

عصام شريح

حاشية : للاطلاع ولمزيد من المعلومات راجع الكتابين التاليين :

١) البحر الاحمر والصراع العربي ـ الاسرائيلي ـ التنافس بين استراتيجيتين للدكتور عبد الله عبد المحسن السلطان

اصدار : مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ ١٩٨٤

٢) اسرائيل والبحر الاحمر

محمود نعناعه القاهره ـ ١٩٧٤

أين يقف الأدب والفكر في فرنسا اليوم؟

الربيع الشتائي الذي عاشته باريس هذا العام ، كاد ينسحب على الحياة الثقافية والأدبية نفسها ، ان غيوم السماء تلتقي مع غيوم أخرى في الفكر ، ولا نجد إلا هذا التلبد الذي يختلط به من وقت الى وقت صحو عابر يتمثل في دور النشر التي لا تتوقف عن طبع الكتب ، اصدار الروايات ، والدراسات ، والمذكرات ، والى جانبها تتجمع المترجمات ، تقريباً ، من كل لغات العالم لرفد وإغناء الثقافة الفرنسية بما هي في أمس الحاجة إليه لتعميق منحاها النظري الفلسفي الذي ما يزال باحثاً عن العمق .

هذا الطابع التعددي ، المتنوع والمضطرب ، أحياناً ، في مجال النشر لا ينتج أو يغذي ، بالضرورة ، تيارات فكرية وأدبية ، بقدر ما يدعم الصرح الذي أقامه هذا المفكر أو الكاتب أو ذاك دعماً تتواصل فيه بلورة المفاهيم ، أو ترتيب البناءات المعمارية الروائية ، وبعبارة أخرى فقد بتنا نتحرك في محيط ثقافي يتميز بخاصتين اساسيتين :

أولاهما : التضاؤل التدريجي إن لم نقل شبه الغياب الكامل للمدارس والتيارات الفكرية ، والأدبية والفنية ، وحلول الظواهر والخصال والجهود الفردية محل المظاهر الكبيرة .

ثانيهما : غياب التصنيفات والتنسيبات المدارسية ، ومرة ثانية هيمنة التميزات الفردية ، الخصوصية ، لهذا الفنان والمفكر أو ذاك ، بما يكاد يجعل كل مبدع أو فيلسوف مؤسسة إبداعية ومعرفية ، وحده ، لا شك يلتقي معه آخرون ، ويجد له حواريين ، ولكن دون أن يكون لهذا الفعل واقع المدرسة المستقلة .

هاتان الخاصيتان ، معاً ، يمكن ارجاعهما إلى في الأسباب التالية :

اولاً : ان الثقافة الفرنسية ، ومن ضمنها النشاط الابداعي العام ، باتت مستقرة ، متراصة البنيان ، محددة الهياكل ، ومرتبة البنيان ، وان من خلفها ، اليوم رصيداً تاريخياً هاماً ، وتراكماً معرفياً بعيد المدى عميق الغور ، تسجله ترابطية تجديدية ، وتأسيسية متطورة تعود ، في أقل وآخر تقدير إلى نهايات الحرب العالمية الثانية . وفعل التراكم ذو حجم مادي - كمي ، كما هو ذو مظهر نوعي ، بحيث انه أنتج وينتج في نهاية مطاف كل عقد من السنين العطاء الذي بلور جملة المفاهيم والمقولات الفكرية وقرينتها من الرؤى والعطاءات الابداعية التي عبرت ، جميعها ، عن الحركة الذهنية والتخيلية لانسان العصر الجديد ، في أوربا الغربية بعد انهيار سلم القيم ، أو ذلك البحث الخصوصي عن الحقيقة المجردة ، أو العقلانية كما ساد في القرن التاسع عشر .

ثانيا : هذا التراكم ، وذلك الاستقرار النسبي ، بالطبع ، لظواهر ومحددات هذه الثقافة ، إنما جاء نتيجة عملية بل عمليات التأسيس واعادة التأسيس لأصول ومركبات الحضارة الغربية الطالعة من دمار حربين رهيبتين ، وبعد أن انهارت السلطة الكلاسيكية للعقل ، وتبعثر التماسك والمنطق المتوازن الذي كان يسود الفكر . هو أن عمليتي التأسيس وإعادة التأسيس طرحت على المثقف الغربي ، وعلى هذا الكاتب الأديب المشتعل بحساسية قرن ستسكنه الدهشة وتمزقه حيرة اللاإنتماء الذي سيصبح هو الانتماء في حد ذاته ، طرحت عليهما التوجه الى انتاج سنن مغايرة للمعرفة والابداع ، وعلاقة مركبة ، ثم أقرب ما تكون ، في ما بعد ، ضد الاشكالية مع السلطة الاجتماعية ، ومن هنا فعلى الصعيد المعرفي يمكن أن نعاين الانهيار التدريجي للقيم الشمولية والمفاهيم الاستقطابية ، وذلك ليس باللجوء إلى البحث عن قيم ومفاهيم أخرى ، ولكن باعتماد كسر منطق كل نظرية شموليه .. إننا نعني بالتحديد ، آخر مراحل الفكر الفلسفي السارتري ، إن فلسفتي الوجودية والعبث إنما كانتا في النهاية صدى لما قبلهما ، وهما تنضويان كرجع صدى في حطام الانهيار الشامل الذي تسببت فيه الحرب العالمية الثانية ، واستجابة لآثارها على صعيدي الذات والواقع ، وفي الوقت الذي كانت دار الآداب البيروتية ، منذ اواسط الستينات ، تقدم ترجمات الفكر الوجودي ، كان جان بول سارتر قد تجاوز نفسه ، أو راح يتجه بفكره وإرادته عبر ايديولوجيات أخرى في حمية التغيير السياسي الذي ستتفجر به فرنسا أو قل ستمهد له قبل أن ينفجر في آار ١٩٦٨ — التحول الفكري كان أكبر من الوجودية وحمله خطاب التعليل البنيوي ، في جميع مستويات الانتاج الثقافي : في الفلسفة وعلم الاجتماع ، والتحليل النفسي ، والعلوم الاقتصادية ، فهي العلوم الانسانية إجمالاً ، وفي النقد الأدبي الذي سينقض كل أركان بنائه الكلاسيكي ، القائم على التقنين

والتقويم على التجزيئية المفتعلة بين شكل ومضمون ، وبحث مفهومي الماهية والأسلوبية ، الى نقد جديد تماماً يعتبر مهمته القراءة داخل حدود النص المغلق ، ويركز شيئاً فشيئاً على مفهوم الأدبية في العملية الابداعية . انها حقبة نهاية الخمسينيات وانطلاق الستينات إذ تسمح لنا بالتعرف على جماعة من الأعلام الذين تقترن باسمائهم اليوم الثقافة الفرنسية الحديثة : كلود ليفي ستراوس ــ جاك لاكان ــ ميشيل فوكو ــ رولاند بارت ــ ريني جيرار ــ جوليا كرستيفا ، وهذا على سبيل الحصر الشديد وإلا فإن ذكر الأسماء يمكن أن يطول طولاً مفرطاً ، ولكن ليعبر عن الغنى والتنوع الشديدين لمجتمع كان ينتفض ضد مسلماته ، ويهتز تحت الزلزال الحضاري الجديد .

ثالثا : لقد أمكن للحركة الأدبية ، وفي جانبها النقدي ، على الخصوص ، أن تحدد لها ، منذ الستينات ، منطلقات مغايرة تماماً للسابق . والحقيقة أن النشاط النقدي المتجدد وجد ما يشجعه على تغيير مقولاته وممارساته في الفعالية المغايرة نفسها للنشاط الإبداعي ، واذا أخذنا الرواية وحدها فسنجد أن ما اصطلح على تسميته بمدرسة الرواية الجديدة كانت قد قطعت حبل السرة نهائياً مع المفاهيم النمطية والتسجيلية والاجتماعية النقدية ، بل وحتى الكافكاوية منها للمحكي الواقعي ، وانصرفت منذ الأربعينات تحتفل بالتبعثر الجموح للأشياء والكلمات ، تلغي التشكل المشخص .. والمعمارية الثابتة للفضاء ، زماناً ومكاناً ، متخذة من التجزيئ والعلاقات الصامتة التى تنبني بين الدال والمدلول مناط الفعل الدرامي ، إن نماذج لما كتبته ناتالي ساروت ، آلان روب غرييه ، ميشيل بوتور ، وأضرابهم تقدم لنا رؤيا عالم ينطق من خرسه ، ويؤكد على دلالية البنية المغلقة في حد ذاتها ــ لقد بات على الأدب أن يستقل بنفسه ويعكف على ادبه ، إذا صح التعبير ، ومن هنا ينبغي فهم النقاشات النظرية التي عاشتها فرنسا بين الحربين حول مفهوم الالتزام في



الكاتبة الفرنسية : نتالي ساروت



سارتر

جاك لانج

الأدب ، والدور الذي يمكن للأدب أن يقوم به في المجتمع . بيد أن أهمية هذا السؤال ، في هذا الحيز الجغرافي ، تكمن ، ومن خلال أهم التطورات التي لحقته فيما بعد ، أنه كان يطرح من ضمن النشاط الأدبي نفسه ، ومن قلب الاصطلاحية النقدية .

صحيح أن المثقفين والأدباء الفرنسيين خلال الاربعينات ثم الخمسينات لم يكونوا منفصلين عن الشروط الاجتماعية والسياسية لبلدهم ، وللغرب الأوربي عامة ، وكان قسم كبير منهم قد اتخذ مواقف مناهضة للاستعمار وموالية لحركة التحرر الوطني في العالم الثالث ، ولكن هذا الموقف أو المواقف المختلفة كانت ذات سمة اخلاقية وليست إبداعية بالضرورة ، في حين أن التساؤل عن « ما الأدب » ، وهو السؤال الشهير الذي طرحه سارتر في كتابه المشهور هذا اذ ينطلق من أرضية معرفية وأنطولوجية (متعلقة بالوجود) ، فانما ليأخذ عند نقاد وأدباء آخرين صيغة البحث ضمن الحدود وبالأدوات الجماليه التي ستتجه شيئاً فشيئاً في حقل النقد الأدبي الفرنسي لاستعادة ما سبق للشكلانيين الروس أن طرحوه منذ العشرينات (ياكبسون ، إخنباوم وآخرون) ، ثم اشتغلت به المدرسة الألمانية ، متعددة الفروع ، ولكن التي تصب جميعاً في مجرى نظرية الأدب العلمية (أجورنو ، ياوس ، على سبيل المثال فقط) ، وتلقفت كل ذلك ، بغير قليل من الارتباك ، الجامعة الفرنسية التي كان لها فضل تعميق التحليل الأدبي النظري ، والبلورة النظرية التطبيقية اكثر لمناهجه . وخاصة في ما أصبح يعرف بالشعرية ، ثم بالتحليل السيميائي ، الذي يعتبر الأدب نظاما من العلامات يقع بالضرورة ، بين حدي الدال والمدلول ، وتستثمر فيه المعرفة اللسانية ، في تنضيد بنيانه ولكن باجتهاد أكبر وهذا ماجعل رولاند بارت قادراً على توسيع حقل التحليل اللساني وتخطيه بأدواته نفسها ، وجعل « الكلام » هو ديدنة الناقد وليس اللغة وحدها . إن السيميائيات عندئذ مع بارت ثم مع غريماس ، وكل الحقل النظرى المتطور للنقد الأدبى الفرنسى الجديد ، تجعلنا نتعرف جيدا على الأدب ، ممنهجا ، من خلال الدراسات العديدة التى كتبها تزفتان تودوروف ، هذه الأداة هى التي ستستخدم لقراءة الأدب وفهمه ، ودائماً من داخله لاكتشاف ورصد أدبيته .

هذه الأسباب مجتمعة ، وأخرى مما لا نجد مجالا ، الآن ، لسردها تكمن وراء الفاعلية الخلاقة التي عاشها الأدب الفرنسي الحديث والمعاصر ، ومكنته من الاستقرار في مجمل أوضاع وظواهر ورؤى متصلة ومتفرقة ، ولكنها جميعاً منتجة للتنوع الذي يعرفه في مختلف الأجناس الأدبية ، وشتى المعالجات النقدية والفكرية خطوة خطوة .

إن هذه الرسالة الباريسية تعمدنا أن تكون على هذه الشاكلة من التشميل والتعميم في آن . لتسمح للقارئ غير المتصل بالأدب الفرنسي أن يكون على بينة من الخصوصيات والأدوات التي تسعفه معنا في قراءة وتفحص النشاط والنتاجات الأدبية التي تصدر في العاصمة الفرنسية ، والتي يصعب الاحاطة بها جميعاً ، وإن وجب التنبيه لأهمها في الأقل وما أكثره أيضاً .

في «الأيّام العشرة» يرسم بوكاتشيو

صورة فاتنة للفارس العربي صلاح الدين الأيوبي

بقلم: الدكتور علي الراعي

كتب جيوفاني بوكاتشيو مجموعته القصصية الأخاذة : «الأيام العشرة» فيما بين الأعوام ١٣٤٨ ــ ٥٣ ثم ندم من بعد على كتابتها ، وود لو استطاع أن يمحوها من الوجود . ربما كان الندم مبعثه معرفته اللاحقة بصديق النصف الثاني من عمره ، فرانشيسكو بترارك الذي دعاه الى أن يتجه بعقله الى الأشياء الباقية ، ويدع جانباً ما في الدنيا من متاع زائل . فامتثل بوكاتشيو لنصح صديقه ، وترك الكتابة بالايطالية الدارجة ، وجعل يستخدم اللاتينية في اعماله اللاحقة ، وتعلم اليونانية وترجم هومر . ثم أخذ ينسحب رويداً رويدا من الحياة العامة الى حياة التقوى والتقشف ، والبحث الأكاديمي في المخطوطات القديمة .

كان آخر ما قام به من عمل أكاديمي هو كتابته لأول سيرة لشاعر ايطاليا المرموق : دانتي ، بعد ان انفق سنوات طويلة في جمع تفاصيل هذه الحياة من المعاصرين . كذلك نسخ بوكاتشيو عمل دانتي الكبير : الكوميديا الالهية ، وأرسل المخطوط الى بترارك . ثم حدث أن دعته مدينة فلورنسا الى القاء سلسلة محاضرات عن شاعرها الكبير . فبدأها بوكاتشيو غير أن مرضه حال دون اتمامها ، فلم يبق لنا من هذه المحاضرات الا مخطوط عام . ثم مات بوكاتشيو عام ١٣٧٥ وهو في الثانية والستين من عمره .

ولد بوكاتشيو في باريس عام ١٣١٣ . لصرفي من فلورنسا ، وامرأة فرنسية . ومن يفاعته توجه به أبوه الى التجارة ، رغم ميل جيوفاني الواضح لدراسة الآداب



الكلاسيكية . قال الولد متبرماً : « لو أن أبي عطف على ميلي ذاك ، إذن لأصبحت واحداً من أعظم شعراء العالم . » غير أن أباه لم يظهر له هذا العطف أبداً . على النقيض . فقد أرسله ، وهو بعد حدث ، الى نابولي ليعمل في محيط مصرف باردي المشهور آنذاك وقضى جيوفاني سنوات الانطباع من ١٣٢٨ ــ ٤١ في نابلي . واعتبرها فيما بعد سنوات ضائعة ولم يمح الزمن أبداً شعوره بالمرارة ، لضياع تلك السنين من عمره .

على أنه عرف الحب في نابولي . وقع من « رأسه حتى القدمين » في غرام فتاة اسمها ماريا داكوينو ، غير أن الغيرة والشك سرعان ما أوديا بهذه العلاقة . هجرته الفتاة ، بعد أن ملت معشره . ويقال أن جيوفاني قد اخترع الفتاة اختراعاً . وانها لم توجد قط ، أو انها وجدت ولكن علاقة بوكاتشيو بها كانت عابرة ، وأنه لجأ الى بناء صرح عال من « الغرام الأدبي » جمله بالكناية والرمز والتزويق الشعري ، مسايرة لتقاليد الأدب الفرنسي . مثلما فعل كل من دانتي بصديقته الحقيقية أو المتوهمة بياتريشي وفرانشيسكو بترارك بصاحبته لورا ــ حبيبة أخرى ربما وجدت بالفعل ، أو ابتكرها بترارك ابتكاراً وجعلها رمزاً لطموحاته الى تاج الشعر .

مهما يكن من أمر ، فقد أصبح بوكاتشيو بفضل ماريا شاعراً . وتوالت أعماله الشعرية على شكل قصصيات فيما بين اواخر ثلاثينات القرن وأوائل أربعيناته . وبعض هذه القصصيات الهمت شاعراً بريطانيا مرموقا هو جيوفري تشوسر بعضاً من أعماله الباقية ، مثل حكاية « ترويلوس وكريسيدا » ، التي كان بوكاتشيو أول من جعلها حكاية قائمةبذاتها . وقد ترجم الشاعر البريطاني أكثر من نصفها وضمنها عمله الخاص الذي يحمل الاسم ذاته .

ثم عصف الزمن بآل بوكاتشيو عصفاً . استدعي جيوفاني عام ١٣٤١ الى فلورنسا ليواجه افلاس ابيه المالي ، واتصل العداء بين الشاب وأبيه ، وتفاقمت متاعب الإثنين المالية ، ثم جاء الطاعون المدمر الذي عرف باسم « الموت الأسود » في عام ١٣٤٨ فأراح بوكاتشيو من أبيه وسلبه ــ في الوقت ذاته ــ ملهمته ماريا .

على أنه فعل أكثر من هذا . ذلك الموت الأسود . لقد أعطانا المجموعة القصصية الفريدة التى عرفت باسم : « الأيام العشرة » . وفيها يدير بوكاتشيو ظهره للماضي كله ــ يودع غرامه وأحزانه ويصبح مراقباً محايداً لما يجري من البشر وللبشر من احداث . يسجل غفلتهم ومعايبهم ، ويصور أخطاءهم وما يأتون من شر وخير معاً بروح لا تخلو من سخرية وانتقاد ويحددها ــ مع ذلك ــ التسليم بأن هذا هو واقع البشر وتلك حدودهم .

وقد اعتمد بوكاتشيو لحكاياته هذه وعاء قصصيا اسمه في اللغات الأوروبية : Fabiau وهو حكاية قصيرة مسلية ، كثيرا ما تكون خارجة أو بذيئة ، هجائية . وعديمة الايمان بخيرية البشر . تنبع الفكاهة فيها من مؤامرة أو مقلب تجري احداثه سراعاً ، ولا تتعدى هذه الاحداث حدود الفقرة القصصية الواحدة . ومن شخوص ذلك الوعاء التقليديين : الزوج الغبي أو الغيور أو البخيل ، والوغد الواسع الحيلة ، والمتفاخر المتشدق بالالفاظ ، والزوجة غير الوفية ، والراهب الذي يسقط في الغواية وليس في الحكايات محاولة للتوسع في الوصف أو تحليل الشخصيات ، وانما العمدة على واقعية المكان وعصريته وعلى الكشف عن ينابيع السلوك البشري بطريقة يسهل التعرف عليها وقبول مصداقيتها . وقد تحوي الحكاية من هذا اللون مغزى أخلاقياً حين يفتضح المنافق أو يرتد الى الماكر مكره .

وقد عرفت الآداب الشرقية هذا اللون القصصي قبل ظهور المسيح كما عرفه الأدب اللاتيني ، وكان قصصاً محبوباً جداً في العصور الوسطى في فرنسا خاصة . وفي هذا اللون كتب تشوسر رائعته : « حكايات كانتربري » ، التي تحمل معها ، نقلاً من بوكاتشيو ، تأثرات شرقية واضحة ، في الشكل والمضمون معاً . ففي الشكل أخذ كل من تشوسر وبوكاتشيو عن آداب الشرق طريقة الحكاية الاطار ، التي تحوي بين دفتيها قصصا متعددة ، كما هو الحال في كليلة ودمنة ، والف ليلة وليلة .

وفي الموضوع وجد الباحثون بحق إن ليس ثمة حكاية في « الايام العشرة » تعتبر خلقاً خاصاً ببوكاتشيو . وانما ذهب الايطالي الكبير كل مذهب في اختيار موضوعات حكاياته فهي تتراوح بين الهزل ، والمأثورات الشعبية . وبعضها قبل الحكاية الحادية عشرة تقارب في موضوعها واحداثها حكاية مماثلة في الف ليلة هي حكاية الليلة الخمسمائة والاثنتين والسبعين . وموضوع الحكايتين واحد ، زوجة تلتقي بصديق ، وإذ هي معه يفاجئها صديق آخر ، فتضطر إلى اخفاء الأول عن الأنظار . وتتجه الى الثاني ، على أن الأمر لا يطول بها حتى يهبط عليها زوجها . وتحتار المرأة ماذا تفعل ، حتى يتفتق ذهنها عن حيلة ناجعة . تطلب إلى الصديق الثاني أن يغادر حجرتها شاهراً سيفه ، غاضبا ، متمتما بالتهديد لخصم يزعم أنه كان يطارده وأنه لجأ إلى بيت السيدة ، فجد في طلبه فلم يجده . وينفذ الصديق الثاني الخطة كاملة ، ويراه الزوج خارجاً شاهراً سيفه ويعجب لأمره ، غير ان الرجل ينصرف في أمان . ثم تحكي الزوجة لزوجها من بعد كيف أن رجلا لجأ الى منزلها ، فزعا ، طالباً الأمان من آخر يهدده بالقتل ، وأنها قد أمنته على نفسه وأخذته في مكان ما من البيت حتى انصرف عنه مطارده على الصورة التى رآها الزوج . ويعجب الزوج بأريحية زوجته ويؤمن الرجل المطارد على نفسه ، ويخرجه من بيته موفور السلامة .

وقد تسربت هذه الحكاية الى الف ليلة والايام العشرة على السواء من مجموعة قصصية قديمة اسمها : « الحكماء السبعة » . وهي قصص قصيرة ذات اصول هندية تحكي عن كيد النساء .

وفي حكاية أخرى عن صلاح الدين ، يفيد بوكاشيو مما تناقلته ألسنة جنود الحروب الصليبية من قصص شعبية ومأثورات ، فيرسم في الحكاية التاسعة من المجلد الثاني من مجموعة : « الأيام العشرة » صورة فاتنة لكرم الفارس العربي ، ونبل مقصده ،وأريحيته الكبرى .

وتروي الحكاية كيف أن صلاح الدين قد علم مسبقاً أن فريقاً من الجنود الصليبيين يعد العدة لاسترجاع الأراضي المقدسة ، فاراد أن يرقب عن كثب جهود عدوه حتى يستطيع ملاقاتهم بالخطة الناجحة ، فرتب أموره في مصر بما يكفل حسن ادارتها في غيابه ، وخرج ، وليس معه إلا اثنان من خيرة مستشاريه وبعض الخدم قائلا انه مسافر للحج ثم تنكر هو وصحبه في هيئة تجار ، وتوجه الى أوروبا ، ومر بعدد من اقطارها حتى وصل الى لومبارديا فقابل في طريقه ثريا ايطاليا اسمه توريللو دي استريا ، وكان هذا في طريقه الى بيته الريفي ، يصحبه خدمه وكلابه . سأل صلاح الدين رجال الثري عن أقصر الطرق الى « بافيا » ، وهل يمكن بلوغ أسوارها قبل أن تغلق الأبواب ؟ فتقدم الثري يقول : إن هذا مستحيل ، وأنه سيدل صلاح الدين وصحبه على خير مكان يمكن أن يؤويهم حتى الصباح . ثم اختار واحداً من أخلص اتباعه واتفق معه على أن يأخذ الفارس العربي وصحبه ، بطرق ملتوية حتى يصل بهم الى بيت الثري . ثم اسرع هو الى البيت حيث أقام للجميع على عجل وليمة فاخرة ،وأكرم وفادتهم من كل سبيل ، وقدم صلاح الدين وصاحبيه الى زوجته ، التي وهبتهم هدايا ثمينة من الملبس تليق بما حدست انه مقامهم الكبير .

ثم غادر صلاح الدين بافيا متوجهاً الى باقي دول أوربا ، مواصلاً رحلته الشاقة ، بعد أن وعد مضيفه أن يقدم له من الكرم ما يوازي ما بذل له ، لو أن الأيام سمحت بأن يلقى أحدهما الآخر من بعد . وتسمح الأيام بالفعل . فان توريللو دي استريا ينضم الى قوات الصليبيين في عكا ، ثم يقع اسيرا في ايدي القوات العربية . ويرحل الى الاسكندرية حيث يعمل ، في الاسر ، راعيا للصقور ، ويسمع صلاح الدين بحذقه في هذا المضمار ــ وكان يتقنه ــ فيطلقه من اساره ويعينه صاحباً لصقوره ثم يتعرف السلطان على حقيقة اسيره السابق ، فيعلن انه منذ تلك اللحظة ضيف عليه ، ويلبسه ملابس الملوك ويعلن أن ضيفه قد أصبح في مقام السلطان . ويطلب الى امرائه أن يعاملوا الضيف معاملة السلاطين .

وكان توريللو قد غادر بافيا ، رغم معارضة شديدة من زوجته ، طالباً اليها أن تظل تذكره ، فان لم يصل الى علمها يقينا انه على قيد الحياة فلتنتظره عاماً وشهراً ويوماًقبل أن ترضى بالزواج من غيره ، فانه يعلم أن الكثيرين يطمعون في وصالها ، فهي شابة وجميلة وكريمة المحتد . فلا أمل لها كبيراً في أن تصمد لضغوط أهلها عليها .

وتشاء الأقدار أن يموت في الحملة الصليبية إيطالي اسمه هو الآخر توريللو ، فيقر في وعي الكثيرين أن الزوج هو الذي مات ويصل الخبر الى بافيا وتتعرض الزوجة لضغوط أهلها ، ولا تشفع لها دموعها أبداً ، وتسوء حالها ، بعد أن انصرمت الأيام مسرعة ولم يعد باقياً منها الا ثمانية .

ويدرك الزوج أبعاد الموقف المحزن ، وتسوء حاله ويزهد الطعام ويتمنى لو مات . ثم يعلم صلاح الدين بما يجري لصديقه فيلومه كل اللوم اذ لم يطلب منه المساعدة . وفي الحال يأمر صلاح الدين ساحره بأن ينقل صديقه الى بافيا وهو على سريره في ظرف ليلة واحدة ويلبي الساحر طلب صلاح الدين ، ويأمر بتخدير توريللو ووضعه على الفراش . ويكون صلاح الدين قد وضع على الفراش وعلى رأس صديقه وفي يده أفخر الجوهر واندره ، وبينه تاج كتب عليه اهداء من الفارس العربي الى زوجة صديقه ، ثم يأمر الساحر فاذا بالفراش يرتفع ثم يغيب ، رويداً ، رويداً ، عن



صورة قاتمة للفارس العربي صلاح الدين الأيوبي

الأنظار ، ويحط فيما بعد في كنيسة سان بيترو في بافيا .

ويصل الزوج والاستعدادات لزواج زوجته من رجل آخر قد تمت ، فيطلب أن يحضر حفل الزواج ، وعلى المائدة يقدم له الشراب فيضع في الكوب خاتما كانت الزوجة قد اهدته اياه قبل الفراق ، كي يذكرها كلما وقع عليه بصره ، ويرسل توريللو الكوب بما فيها إلى الزوجة ولا تكاد هذه ترى الخاتم حتى تهرع من فورها الى حيث يجلس الزوج وترتمي على عنقه وهي تعلن مؤكدة : هذا زوجي هذا توريللو .

ويحكي الزوج ما جرى له ، ويعطف عليه الجميع ، وترد الزوجة التاج والخاتم اللذين قدمهما الزوج الجديد ، وتلبس خاتمها هي وتضع فوق رأسها تاج صلاح الدين . ثم يرسل الزوج من بعد رسلاً الى الفارس العربي يعلن فيه وصوله السعيد ويكرر انه سوف يبقى أبد الدهر صديقاً وخادماً للسلطان الفارس .

* * *

ماذا يهم القارئ العربي من بوكاتشيو ، وأيامه العشرة ؟ ينبغي أن يشوقه أمر القصص الكثيرة التي تحتويها هذه المجموعة ، التي تعتبر واحدة من اقدم القصص في الغرب . فهي ، الى جوار قيمتها الفنية ، توضح كيف امتزج الشرق والغرب يوما ما امتزاجا طيباً هيناً ، لا عقد فيه ، لم تكن في تلك الأيام حواجز ولا قيود تعوق الانتقال الحر للاعمال الأدبية والفنية ، كانت هذه تنتقل مع الرواة والرحالة ، عبر الكلمة المنطوقة ، وليس عن طريق الكتابة وحسب . ولم تكن فكرة « الأصالة » بالمعنى التجاري الذي نعرفه الآن متخيلة قط . لم تكن المسرحية أو الاغنية أو الحكاية تنسب الى شخص بعينه ، هوالوحيد الذي يملك حق التصرف فيها بمقتضى « براءة اختراع » ، بل كان كل ما ينتج البشر ملكا للبشر .

وبهذه الطريقة كان فن بوكاتشيو أحد الجسور القوية التي ربطت الشرق بالغرب . هو نفسه اغترف من ينابيع شرقية ، ثم اغترف من فنه كتاب مرموقون في الغرب من بريطانيا ، تشوسر ، الذي تقدم ذكره ، وشكسبير وسويفت وكيتس ، وليسنج الألماني .

وبهذا أصبح للشرق ، والعرب ضمناً ، الحق كل الحق في أن يسجلوا لأنفسهم ديناً على الآداب الغربية . كتاب : كليلة ودمنة وحده كان عاملا بالغ الأثر في الفن القصصي الغربي . كذلك كانت ألف ليلة . وبالمثل كانت المقامة العربية كما كتبها الحريري في المشرق ، وكما أنشأها كتاب عرب وغير عرب في اسبانيا واحداً من العوامل التي أدت الى قيام الفن الروائي المعروف باسم ال Picaresque ، أو ادب المحتالين والأوغاد والشطار . قام هذا الفن أول ما قام في أسبانيا حيث المؤثرات الثقافية العربية كانت زاخرة ، ومتعددة وفاعلة ، ثم انتقل من اسبانيا الى فرنسا والمانيا وانجلترا ، وانتج اعمالا لكتاب مرموقين في هذا الفن من امثال ديفو وديكنز في انجلترا ، وليساج في فرنسا بل وتوماس مان ، الألماني ، في عصرنا الحاضر . وما هذا — على الله — بالشيء القليل !

علي الراعي



وحدي... مع الذكريات

قصة بقلم: أمجاد محمود رضا



دق جرس الهاتف .. هرولت إليه مسرعة . رفعت السماعة .. وكانت المفاجأة .

إنه صوت لبنى . صديقة الطفولة ، جاءني صوتها بعد طول غياب . جاءني ـ كما عهدتها منذ الطفولة ـ وهو ملون بفرحة الحياة . فقط لأنه ينطلق من نفس ربيعية المشاعر . ولكنني في تلك اللحظة شعرت لأول مرة بأن صوتها يركض إلى أذني في ثوب حزين ليعلن الحقيقة التي يبدو أنها أتعبته كثيراً . فأراد أن يضع لهذه المعاناة حداً بالاعتراف بها . فلم يجد أحداً يحتضن ذلك الاعتراف إلا أرض الصداقة حتى يصل . فتتشبث أصابع الوجدان بمشارف الخلاص !

جاءتني تقول : « حياة » لقد استطعت ان أتخلص من حب سمير . تحدثت كثيراً وانساب صوتها في ضلوعي فحركت ما هو راكد في عمري . حركت كل الماضي بكل نسمة حرف انطلقت من أعماقها . واسترسلت في حديثها حتى سمعتها تقول لي : وداعاً . فأفاقتني من دوامة الذكريات وأغلقت الهاتف وأنا أحسدها ! لقد استطاعت لبنى أن تجعل من عقلها سيداً على قلبها .

لا .. ليست هذه هي الحقيقة . فاليوم تأكد لي أن القلب أصبح سيد الموقف ، وذلك لأن الخفقة تصمد طويلا ، أما قسوة العقل فتصدأ مع توالي انهمار الخفقات على السطح . فالعقل يلين أما القلب المجروح فلا يلين ، بل يزداد تمرداً ، وعنفواناً ، وثورة عند أي محاولة للاقتراب منه !

هكذا جاءني صوتها عبر الاسلاك ، فأحسست بومضة الماضي تضئ كياني ، وبنداء محبب الى نفسي . انها ذكريات الجامعة ، وأحلامنا التى إرتسمت في شكل

قوس قزح . إنني أضحك كثيراً .. لأننا كنا نعيش في حدود الحروف والكلمات والاحلام ! لم نكن قد اصطدمنا بعد بالواقع ، كان وجه الواقع مشرقا ، ولم نكن نسرف في تعاطي الاحلام حتى تخدر أنفسنا فلا تشعر بالالم !

هكذا كنا نمضي .. تتسابق خطواتنا الى المقاعد الأمامية ، نحجز الصفوف الاولى .. حتى تكون أكثر استيعاباً للدروس ، لنفاجأ بأننا نبدأ بعد ذلك المشوار .. مشواراً آخر ! لابد منه ، أن ننجح في البحث عن مقعد ما في هذه الحياة ، قريب ، بعيد ، ليس مهماً ! فذلك أفضل كثيراً من أن نقف طول الطريق ، فلا نجد لنا مكاناً داخل أنفسنا أو في داخل الآخرين فنفقد الشعور بالحياة !

لازلت أحرص في رؤية شريط الذكريات .. أن اجمع ضحكتي المنثورة على صفحات ذلك الماضي ، أسترجع شكل الفرحة المنتعشة بصفاء الروح وارتياح الضمير ! كل يوم يقتحم عمري .. يجعلني اكثر تشبثاً بطفولتي ، وأكثر خوفاً من فتح صفحات ذلك الماضي .. فأزداد ركضا الى أرض المستقبل لعلني أعثر على أرض صلبة . فأنا تعذبت كثيراً في حاضر ، كانت ارضه رملية ، فكادت تبتلعني ، إلا أنني كنت أركض الى المستقبل مدفوعة بالأمل ، وان كنت خائفة من أن تكون أرضه شمعية .. لا تحتمل احتراق عمري ، فتذوب من تحتي وتتلاشى .. فأسقط !

أشعر بموجة برد تجتاحني ، أشعر بأصابع اليأس تمتد لتنهب عمري ، وإن كنت لا زلت أنسج بأصابع عقلي ونفسي ووجداني خيوط الأمل ، وهي في الغالب خيوط سراب ! يالها من كارثة .. عندما يعرف الانسان ، أنه يدخل في لعبة إسمها المستحيل .. تكلفه كل العمر ! وعندما يعرف بأن اللعبة خاسرة .. ويقامر بعمره ليكسب اللعبة فقط في عالم الاحلام !

هكذا كنا في طفولتنا .. لا نضيق بالأحلام . حتى جاء اليوم الذي ضاقت فيه الأحلام بنا .. فالأحلام لا تعيش ولا تحيا الا في نفوس الأقوياء ، ويذوي بريقها اذا هبت رياح اليأس في أرض خذلها المطر وجفت من وديانها الأنهار !

كنا نحلم .. واليوم تحصد الأحلام أعمارنا ، أو يدفعنا الواقع لأن نجهض في ذاكرتنا كل الأحلام ! كم هي جميلة أيام الجامعة ، وكم هو جميل الوقوف في طوابير المدرسة .. نضحك مع نسمات الصباح ، لا زالت تنتعش نفسي من نسمة الصباح تلك ونحن واقفات نصفنا نيام ، ونصفنا متيقظ .. نحاول أن نطرح الكسل لنستقبل يوماً جديداً !

* * *

أتذكر الآن أعز صديقاتي في المدرسة : هيام ، سعاد ، مروة ، وأكاد أرى مروة أمامي . كانت تغار مني كثيراً ، وتأخذ كراستي لتنقل كل ما بها .. لم يكن يهمني تصرفها هذا ، لأنني كنت أشعر بقدرتي وبتفوقي عليها ، وأنها رغم تفوقها بالعلامات على كل الفصل إلا أنها كانت تحتاج الى كل ما أكتبه ، فهي لم تستطع أن تحاربني بجدها .. فاختارت أن تحاربني بجهدي .. كانت انسانةضعيفة ذات قدرات محدودة ، ولكن طموحها دفعها حتى لحرب صديقة ، وإن كنت أنا تنازلت عن الحرب من أجل الصداقة !

يا ترى ما هي أخبارها ؟ لا أدري سوى أنها تزوجت وأنجبت ، وأصبحت كل أحلامها التي نسجتها في المدرسة مقتصرة داخل جدران البيت . واصبحت تحارب الوقت من أجل الأولاد !

تحولت احلامها من استاذة في الجامعة الى استاذة طهي ، وانقطعت أخبارها عني !

و« هيام » .. أعز صديقاتي بالمدرسة : انقطعت رسائلها عني منذ فترة طويلة . كانت فتاة طيبة ، تفيض حزناً ، وإن كانت تلبس ثوب الفرحة ولكنه كان مزيفاً . لقد أرادت أن تخدع الآخرين بضحكاتها وهي تقطر حزناً ! كانت تريد أن تدفن في تلك الضحكات كل أحزانها . أتذكر الآن يوم زرتها لأول مرة كيف أهينت من أمها ! وكيف كانت تسقط عليها نظرات الاستهزاء تكوي ضلوعها من اخوتها ! لقد حزنت كثيراً من أجلها ، وكدت أذوب داخل نفسي أمامها ! احببتها كثيراً .. ففاضت بأحزانها وانسكبت نفسها بين يدي ، وحكت لي قصة حبها التي استمرت لثلاث سنوات ، وكان أول حب مع ابن الجيران الذي ما أن بادرها بالحب ، حتى بادلته اياه . وعندما حان قطف ثمرة الحب .. تلقت بطاقة فرحه على إمرأة أخرى ، فذهبت اليه ، لا لتصفع وجه الحب ، وانما لتودعه حتى اللحظة الأخيرة !! فالكبرياء .. لم تدفنه في ضلوع النسيان بعد !

أتذكر كلماتها عندما قالت لي : ياله من عذاب .. أن يظل الحب يخفق في كيان انسان كبرياؤه مجروح ، ويقف الكبرياء عاجزاً عن تضميد جراح الحب وتغيير دفة المركب .. !!

راسلتها بعد ذلك ، سمعت أنها مريضة ، سافرت الى الخارج وتلقت العلاج الطويل . ولكني تساءلت : أي علاج يجدي ويطيب النفس وكبرياؤها تنزف . والحب يزيد من النزف ؟ لانه حب بلي بذاكرة لا تنسى ! طلبت منهم أن تحادثني هاتفياً . أجابوني بأنها فقدت القدرة على النطق . والحب في داخلها لم يعجز عن الصراخ بعد !

آه يا حبيبتي كم تمنيت أن احتضنك .. أحتضن وجهك الطفولي بين يدي ، وأن كنت لا أقوى على رؤية عينيك حتى لا أشهد سقوط الاحلام وقسوة الواقع !انني خائفة من عينيك يا حبيبتي !

واستمرت مراسلاتي لها .. حتى جاءتني حروفها مرتعشة ، تطلب الانقاذ ، ترسل آخر استغاثة ، فجاءت كلماتها وحروفها الأولى ، لا لتعلن عن بداية حياة ، وانما لتكون أشبه بصحوة الموت في كيان انسان !

إنها خطبت لشخص لا ترغبه ، بل وترفضه .. ولكنها استسلمت لقرار الأهل بعد أن خذلها الحب ، وخذلتها الظروف والحياة ! فجاءت الهزيمة متتالية ، والصفعة قوية بددت معها وجه الحلم الذي طالما حكت لي عنه ! فلم تحتمل ، فانحسرت الأحلام في نفسها .. لتعيش كيانها مهدماً ، ثوب فرح مزيفاً للمرة

الثانية . كأنما ذلك الثوب لا يريد أن يرحل عن جسدها ، وما عليها إلا أن تعتاد العيش في داخله !

عاودت الرسائل مرة أخرى .. ولكنها لم تجب . لا أدري ماذا حدث لها . هل سافرت ! تزوجت أم ! لا أدري . لا أعلم عنها شيئاً . ورغم الصداقة التي ضربت في أرضي إلا أن الثمار سقطت على أرض أخرى لا أعلمها ولم يعد أمامي سوى صفحات الماضي .. اتصفح أوراق الذاكرة لأقرأ البراءة في وجهها فاطمئن عليها . ! !

وتهب نسمة ريح قوية .. تتبعثر معها صفحات الماضي . وتستقر على صفحة أخرى . أطالع الآن وجوهاً متعددة ، وأتساءل : يا ترى .. أي الأيام كانت أجمل ؟ .. أيام المدرسة أم أيام الجامعة ؟؟

أذكر وقتها أن الجامعة كانت منتهى أحلامنا . فأحلامنا كانت محدودة بواقع يتمدد أمام أعيننا .. فلم نكن نعرف بعد ما هو شكل القهر ، قهر الظروف ، وقسوة الواقع . ولم نعرف الجبن ، ولكن كشفت لنا الأيام أنه لا يكفي أن يكون الانسان وحده أجمل ، ووفياً ، ومحباً ، حتى لا تنهزم الأحلام في أعماقه !

يشدني الآن صوت « نادية » ، كانت من أجمل فتيات الكلية وأكثرهن نبوغاً .

آه .. لقد اجتمع الجمال مع رجاحة العقل ، ولكن لم ينجح في تحقيق ما يريد ، فقد استطاعت أن تجني الحب من قلوب كل من عرفها .. فكانت حلم كل شاب ، ولكن كان هناك شاب واحد تتطلع اليه ، تسكن وجهه ، تهدأ نفسها الصاخبة في حديثه . كان استاذها بالجامعة ، وكانت « أشطر » تلميذة . هكذا كان يقول لها . جذبته بتفوقها وذكائها ، ولكنها لم تدخل قلبه ، فقلبه فتح ذراعيه لأخرى دخلته واستوطنته ، ولكنها لم تكن تعرف شيئاً عن هذا القلب ، فهي لم تدر بأن اصابع وجدانه ستصفع كل أحلامها . في ذات يوم .. جاء ذلك الشاب ليعلن عن زواجه بزميلة أخرى .. ولم يقع اختياره عليها ، وكان عليها أن تبتسم ، وهي تكاد تسقط من الذهول ! ..

وسافر « عادل » الى الخارج ليستكمل دراسته والحصول على الدكتوراه ، وظلت هي في وطنها كالمغتربة .. تقرأ في كل يوم أخبار الاستاذ من عيني الفتاة التي أحبها .

هكذا كانت تطمئن عليه .. ويالها من قسوة ترتكبها في حق النفس باسم الحب !

وظلت صامدة .. بل ومتفوقة على كل زميلاتها سنين الدراسة ، وعاد الاستاذ الى الوطن ، والجرح في قلبها قد بدأ يندمل ، ولكنها تفاجأ .. بخبر انفصال الاستاذ عن تلميذته ! فاتسع الأمل في عينيها ، ولكن الحب كان قد ترك في قلبه جرحاً كبيراً . كان عليها أن تحتويه ، فبدأت تقترب منه حتى تتحسس حجم الجرح فتداويه ، ولكنه لم يعطها الفرصة ... فلقد قرر السفر الى الخارج ، ليتركها مرة أخرى الى الضياع والخوف والحزن ، إلا أنه بدأ يراسلها كتلميذة .. يبث لها معاناته وألمه طوال سنة بأكملها . ولكنه لم يقل لها شيئاً . تتحسس من خلاله بأنها قد تكون يوماً سيدة هذا القلب : قلبه الذي عذبها كثيراً ! فظنت بأن الحب الأول الذي طرق بابه . لم يترك ثغرة واحدة تدخل منها الى هذا القلب . وتقدم « لنادية » في تلك الفترة شاب وسيم



يخطبها . وافق عليه الأهل وتم عقد القران ، وانطلقت الزغاريد .. لتفاجأ في نفس اليوم برسالة من الاستاذ يسألها فيها : عما اذا كانت موافقة بالزواج منه .. فيأتي اليها ليأخذها . ويسافرا معاً الى الخارج .. حيث وطن الحب ، ونفي مشاعر الاغتراب ؟!

رأيتها في تلك اللحظة .. كانت تضحك بدموعها ، وتبكي حتى أغرقت الابتسامة عمرها .

انتابتها حالة هذيان وهستريا ، ولكنها عادت الى الصمود وابتلعت الدموع ، لترتدي ثوب الفرح .. فاليوم زفافها على رجل آخر ، نبت خارج حدود أحلامها لتشهد على يديه سقوط وموات كل أحلامها !

ولكنها تفوقت على الألم ، واغتالت الحزن في عمرها بابتسامة واهنة !

لا أدري هل هو تفوق الذات على نفسها .. أم جاءت لتغتال شفافية الصدق والروح فيها ! !

صوت « نادية » المشروخ بالحزن ، المغلق بالصمود .. بدأ يتلاشى في سمعي . لا ، لا يانادية لا ترحلي ، وتتركيني وحدي مع الذكريات . ولكن الصورة اخذت تتموج ولا تتضح في دوامة الذكريات .

وترحل نادية بعبق الطفولة من ذاكرتي ، فهكذا تمضي دون اعلان أو انذار . دون أن تعطيني فرصة لكي أتشبث بها ، فتبقى !

أتعبتني الذكريات ، وتعددت الصور ، واختلطت الاصوات .

ويبقى صوت الرحيل هو الأعمق في تلك الرحلة .. ولم يبق أمامي سوى صور وأرقام هاتفيةوعناوين مسجلة في أوراق تركها وهجرها اصحابها .. الى أماكن وعناوين أخرى لا أعرفها !

أصبح الماضي كله بمثابة الضحكة التي تهرع اليها نفوسنا .. عندما تتكشف الأحزان . أما اليوم .. فلم يبق لي فيه سوى أن أحصد الذكريات !

أمجاد محمد رضا

السعودية ــ جدة

سبع قصائد لزهرة عباد الشمس

شعر: محمد آدم

— ١ —

كيفَ كانت مياه الجزيرة تلتف حولكَ

والعشب

هل يستريح اليكَ

الغزالات

تركض في الأفق نحوَ البحار التى تستحيل

ورودا وعشبا

له من نقا الرمل خبز وماء

وأنتَ تكاشف بعضَ الذينَ اصطفوكَ

ولكننى مفعم

بالنهار الذى يتوالد بين العشيبات

والشجيرات العرايا

أفكر كيفَ التقينا على نبعة لم يخنا

اسمهـــا

رملة لا تفاجئنا بالرحيل

على نخلة لم يكن قلبها غيرَ متكئات لنا

وحشايـــا

آه

على وردة نتعلم فيها انفتاحَ

البرارى

ونركض نحوَ الخليج صبايا

آه

أفكـــر

كيفَ ابتدأتَ رحيلكَ نحوَ مدائنـــىَ المغلقة

افكر !!

— ٢ —

من هذه السيدة ؟

كانت

تشير إلى النخل كيفَ يكون وحيداً

إلى البحر

هذا الذى لاتغيبُ النوارس عنه

الأيائلُ

وهى تفر إلى عشبها تحتَ شمس

النهار المضىّ

وكانتْ

تساكننى غرفتى

ثم تسكن قلبى

آه

من هذه السيدة ؟

— ٣ —

ربما

دقت الريح فوقَ نوافذها المغلقة

فتاة الفراش الملون

والاوجه المستعارة

والدكنة الغامقة !!

ربما ...

نازلتها طقوس الغرام المجنح

وهى تحاول أن تستعيد ملامحَ كل الرفاق

الذينَ أتوا يعشقون

براءاتها الأولية

ثم تفر إلى ركنها فى الفراش

المضئ

تفتش عن أوجه فائقة !!

ربمـــا

أو ربمـــا

تستعين على الصمت بالصمت

والوقت بالوقت

فى الغرف الضيقة

آه

يا أمرأة خارقـــة

— ٤ —

الطيور الأليفة

ترشق منقارها فى الندى

تحتَ ضوء الصباح النبيل

ثم ترسم وجهاً لعينيك

إذ

ترقدان جوار اليمامات

تلكَ التى تتقافز فى رحلها

نحوَ غور المياه الدفيئة

والخطوات التى تتهادى

على ورقات الشجر

كنتَ

تنقر قلبى

بينما

اتبلل تحت رذاذ المطر.

آه

ثم تتركنى

فى المدى

قربَ ظلى النحيل

واقفاً أستعر.

— ٥ —

ببابل كنت أرى فى العيون استضافات عينيكَ

والبحر

إذ يستحم على شرفات المنازل

ينشر أسماكه فى العيون العميقة

كالشهوات الحريقة

هل كنتَ وحدكَ والريح تأخذ عنا المعاطفَ

والبحر يركض فينا ويتعب

يركض يتعب

يتعب يركض

هل كنتَ وحدكَ ياسيدى

إن أسماءنا لا تدل علينا

ولا تشترينا سوى للصوص

المتاجر

والنار تلكَ التى نستعير انتماءاتها

ليلةً

أحرقتنا

فغبنا عن العشب

والورقات الصغيرة

إذ تتوالد فينا وتنمو
وتنمو وتزهر
كم كنتَ وحدكَ ياسيدى
قربَ باب المعظم
كانت تحاورنى
ثم تشعل فيّ دمائى .
مرةً
كنت ساءلتها
لماذا تموت الزهور صغيرة ؟
ويكبر حزن القرنفل فينا ،
يصير
امتداداً لحزن البلاد التى لم تزرها
الثغور
التى شغلتنا باوجاعها
والعيون التى تتكسر كاللؤلؤات
المضيئة
فوقَ صخور الجبال البعيدة
تضحك
تتركنى قربَ باب المعظم
مشتعلاً فى دمائى
(وردةً حمراء)
رغم أن الجسور ،
الجسورَ التى قربَ باب المعظم
كانت
تمر عليها الزهور .
آه
كم كنتَ وحدكَ
ياسيـــدى ! !

— ٦ —

لماذا
تفاجئنى بالرحيـــل
وأنتَ تقيم بقلبـــى ؟
الموانئُ مفتوحـــة
والبلاد بعيـــدة .
وها أنتَ ترسل عينيكَ لـــى
نجمتين
اثنتين
تحطان قربَ النوارس
والبحر أخضـــر
والغيم أخضـــر
والنجم أخضـــر
والشمس تنسج أعراسَها ،
وتخيط قميصى .
لماذا
إذا جئتكَ الآنَ تهرب
مثلَ الفراشات حينَ تغادر
أحراشَها فى الزمان البخيل
الزمان
الذى لايجئ اليمام به
أو
تستطيل الزهور
لماذا
تفاجئنى كل يوم فراشة .. وتسهر
قرب رحيلى ؟ .. البلاد التى كنت
قد جئتها ،
مرةً
أوصلتنى لعينيكَ
أوصلنى نبضها المتدفق
نحوكَ
إذ كنتَ تعبر كالريح
بينَ الغصون
التى تتساقط فى آخر الصيف
أوراقها .
كانت الشمس حمراءً
والريح دكناءً
والبحر يركض صوبَ الشواطئ
والقبرات التى تفشت
وجهَها
فوقَ تاج الرمال الملون
تهجر
صوبَ الشمال
لماذا
تفاجئنى بالرحيل
لماذا ؟ !

— ٧ —

ها أنتَ مسترسل فى النعاس
أو
ربما
تشرب الشاىَ فى دفعة واحدة
غيرَ أن البلاد ،
البلادَ التى علمتنا الرحيل
كشفت نفَسها مرةً
ثم راحت تطوقنا بالزهور .
والمقاهى التى قد مررنا بها
اسلمتنا لأصحابها
غيرَ أنَ الحجارة كانت تجاوبنا وحدَها
ما بها ؟
كنت أبنى لها
مرفئاً
به تستريح الغزالات
والسنبلات
التى برقت لحظةً تحتَ وهج الزمان الضليل
آه
ها أنتَ مسترسل فى النعاس
أو
ربما
تشرب الشاىَ فى دفعة واحدة
غيرَ أن البلادَ التى علمتنا
الرحيـــل
كشفت نفَسها
مرةً
ثم راحت تطوقنا بالزهور .

سلمان

إيف مونتان بعد ريجان

هل ينجح مونتان في الوصول إلى رئاسة فرنسا؟

بقلم: محمود قاسم

من المحتمل أن يضمن الرئيس الأمريكي « رونالد ريجان » لنفسه قضاء اربع سنوات أخرى في البيت الأبيض رئيساًللولايات المتحدة الأمريكية وذلك خلال الشهر القادم . وقد استطاع الرئيس ريجان أن ينجح في كسب ثقة الشعب الأمريكي في الثمانينات كرئيس دولة ، مثلما نجح في الأربعينات والخمسينات في جذب أنظاره الى دوره كراعي بقر في العديد من الأفلام التي اشترك في بطولتها .

واذا كانت لعبة السياسة قد استهوت الممثل رونالد ريجان منذ بداية الستينات ، فان هذه اللعبة قد تخمرت ـ أخيراً ـ في رأس نجم آخر هو أكثر شهرة وجاذبية ـ كفنان ـ من زميله الأمريكي ويحظى بأكبر شعبية لدى الشعب الفرنسي سواء كمطرب أو ممثل وأخيراً كسياسي ، الاوهو ايف مونتان .

وقبل أن نتحدث عن مونتان في عالم الفن والسياسة نحب أن نشير أن لعبة السياسة قد استهوت العديد من نجوم السينما في السنوات الأخيرة ، فالنجمة الطفلة المعجزة شيرلي تمبل التي سحرتنا في الثلاثينات والأربعينات قد تحولت الى سفيرة لبلادها منذ سنوات في غانا . والممثل جون جافن ـــ بطل فيلم الشارع الخلفي وسبارتكوس ـــ قد أصبح في السنوات الأخيرة سفيراً للولايات المتحدة في المكسيك . ومنذ سنوات انضم جون واين الى نفس اللعبة واستهوت التجربة بول نيومان . وفي مصر تحولت المطربة فايدة كامل الى عضو في مجلس الشعب منذ سنوات ، كما تم اختيار الفنان الراحل محمود المليجي عضواً في مجلس الشورى . وفي اليونان تعود ميلينا ميركوري من المنفى بعد عشرين عاماً كي تتولى منصب وزيرة الثقافة في حكومة بابا ندريوس .

حكومة مونتان

أما مجلة « باري ماتش » فانها تبدي دهشتها من موقف مونتان قائلة : « إنه الحدث المفاجيء ، أن يدخل مونتان دنيا السياسة » . فقد تحول فجأة من نجم تتطلع اليه كل عيون باريس وفرنسا الى رجل سياسة . والطريف أن مونتان قد لفت اليه الأنظار منذ عامين حين عاد يقدم استعراضه الرائع فوق مسرح الأولمبيك بعد طول انقطاع ، وفي العام الماضي أدى دوراً عادياً في فيلم بعنوان « الغلام » وقد عرض قبل أيام من ظهوره كضيف في البرنامج الشهير « سبعة على سبعة » كي يفجر قضايا سياسية خطيرة ويعلن مواقفه السياسية الحادة وهو الذي كان لا يدلي بمثل هذهالأحاديث من قبل . إنه يتحدث عن الموقف الإقتصادي لبلاده ، وعن سياسة ميتران ، وموقف الحكومة الإشتراكية من



ايف مونتان .. الفنان الذي لعب أدوارا هامة في حياته السينمائية ويستعد الآن لأن يلعب الدور الأهم في الحياة السياسية !

قضايا عديدة . « لست اقتصادياً ولست مرشحاً لرئاسة الجمهورية . تبقى المشكلة . لماذا لا نتكلم عنها في عبارات محددة الى الفرنسيين ، وهكذا حاولت في التليفزيون » . وبعد هذا الحديث قامت فرنسا كلها وتناثرت الأقاويل حول التحول في حياة الفنان الكبير . وكان اطرف ما كتب عن هذا الموضوع التحقيق الذي قدمته مجلة « ماري كلير » النسائية بعنوان « أول حكومة برئاسة ايف مونتان » . وكان هذا التحقيق يختلف كثيراً عن العديد من التحقيقات التي أجراها الفرنسيون عام ١٩٨١ عندما رشح الممثل الكوميدي « كلوسن » نفسه رئيساً لفرنسا ولم يفز بالطبع الا بتلك الدعاية التي لحقت به .. أما حكومة مونتان كما قدمتها المجلة في سيناريو كتبته في فترة سابقة ، فهي كلها من الفنانين والفنانات . وسوف تكون برئاسة الوزارة الممثلة « ماري كرستين باروو » التي لم تعمل قط مع مونتان .. واختارت المجلة « الان ديلون » وزيراً للداخلية « وجان بول بلموندو » للرياضة وايزابيل اوجاني للهجرة وبرجيت باردو للبيئة وكاترين دونوف للعلاقات الخارجية . اما سيمون سينيوريه زوجة الرئيس المقترح منذ عام ١٩٤٩ فلم تشر المجلة اليها من قريب أو بعيد ، ويبدو انها ستكتفي بمنصب السيدة الأولى .

وايف مونتان هو أبرز فنان فرنسي على مدى الأربعين عاماً الماضية . فاذا كانت الأوساط الفنية قد احتفلت بعيد ميلاده الستين منذ عامين حينما ظهر على مسرح الأولمبيك ، ففي هذا العام تحتفل نفس الأوساط بذكرى أربعين عاماً على ارتباطه بالفن ، حيث ظهر في أول فيلم سينمائي في عام ١٩٤٤ أمام المطربة اديف بياف بعنوان « نجوم بلا أضواء » . وقد قدم مونتان خلال حياته مجموعة من الأفلام السينمائية ذات الطابع السياسي أدى فيها



سيمون سينيوريه زوجة الرئيس المقترح ، وقد تزوجته منذ ٣٥ عاما !

جميعاً دور المناضل السياسي الشريف الذي يدافع عن قضايا الحرية في جميع انحاء العالم . وهو في هذه الأفلام المضطهد من السلطات الديكتاتورية . فيغتال مرة في فيلم « زد » . ويتم القبض عليه في « الاعتراف » و « حالة حصار » ويتم تعذيبه . ولهذا فان صورته الجديدة ليست غريبة على الشعب الفرنسي . فهي ماثلة في الأذهان . وصوره التي تنشرها الصحف يلتقي فيها بالسياسيين والمناضلين في العالم جاءت متلازمة مع هذه الأفلام ومع تصريحاته التي ادلى بها في برنامج « سبعة على سبعة » .

وفي السنوات الأخيرة قام مونتان ببطولة فيلم « ايكاروس » من اخراج هنري فرنوي يؤدي فيه دور رجل المباحث الشريف الذي يتولى التحقيق في جريمة اغتيال رئيس احدى الدول . وعندما يكاد يصل الى الحقيقة تغتاله رصاصة مجهولة . وقد لفت هذا الفيلم الأنظار مرة أخرى الى جريمة اغتيال الرئيس الأمريكي جون كيندي ، فالفيلم يدور في دولة غنية كأمريكا والرئيس يتم اغتياله بنفس الاسلوب الذي مات به كنيدي .

كما أدى مونتان في عام ١٩٧٨ أيضاً دور الكاتب الأسباني المنفي الى فرنسا . هذا الكاتب الذي يناضل طيلة حياته ضد الديكتاتورية الأسبانية متمثلة في الجنرال فرانكو . وهو دور مكمل لدوره في فيلم « انتهت الحرب » لألان رينيه عام ١٩٦٥ عن سيناريو لنفس الكاتب جورج سمبران ، وفي كلا الفيلمين جسد مونتان شخصية



الممثلة اليونانية ميلينا ميركوري .. جاءت من المنفى ــ مباشرة ــ إلى الوزارة !

صديقه الذي ظل يهاجم فرانكو في افلامه ورواياته حتى بعد أن مات . وفي عام ١٩٨٣ قدم عن صديقه كتاباً بعنوان « مونتان وتستمر الحياة » .

أفلامه من نوع خاص

وايف مونتان هو الفنان الفرنسي الذي تهتم السينما بأن تقدمه في أجود أفلامها ، كما أنه صاحب بليارات الكلمات والصفحات التي كتبت عنه في الصحف ، فبعد العديد من التحقيقات الصحفية قدمت المطابع مجموعة من كتب عن الفنان مثل الكتاب الذي قدمه ألان ريمون . ومذكرات زوجته سيمون سينيوريه التي نشرتها بعنوان « الحنين » .

وقد ارتبط مونتان المولود في مدينة موسمانو في الثالث عشر من اكتوبر عام ١٩٢١ بالعديد من الظواهر الفنية والاجتماعية التي جعلته ينال كل هذا الحب والشهرة ليس في فرنسا ، بل في العالم كله . فقد بدأ شهرته مع اديث بياف ، وفي ليالي الحرب الحالكة تبث الأذاعات صوته ينادي الفرنسيين ويحثهم الى البحث عن الحرية . وفي سنوات الأربعينات تظل شهرته كمطرب أكثر منها كممثل . وفي عام ١٩٤٩ يتزوج من سيمون سينيوريه التي لعبت معه نفس لعانه . ومع هذا فلم يرتبطا معاً بثنائي مثلما حدث في السينما العالمية بين كثير من الأزواج .

وتأتي الشهرة واسعة لمونتان مع فيلم « ثمن الخوف » الذي اخرجه هنري جورج كلوزو عن رواية لجورج ارنو . وهو أول فيلم لا يغني فيه النجم الوسيم . وفي هذا الفيلم تخلى مونتان عن وسامته ، ونراه غارقاً في قار أسود يقود سيارة شاحنة كبيرة محملة بالنتروجلسرين الشديد الإنفجار في طريق وعرة ، فيرسخ مكانه كممثل . وتتخاطفه السينما الأمريكية كي يعمل أمام أشهر نجومها ، فهو المليونير أمام مارلين مونرو في « دعنا نحب » . وهو الزوج في « هل تحبين برامز » أمام انجريد برجمان . والسائح الغربي في اليابان في « فتاة الجيشا » . ونجم السباق في « السباق العظيم » .

ومع ذلك فان السينما الأمريكية لا تستهويه مثلما نفر منها العديد من النجوم الفرنسيين ، فيؤدي أبرز أدواره في سينما بلاده . « انتهت الحرب » و « الحياة للحيـاة » و « زد » و « الإعتراف » و « حالة حصار » وفيها كلها أدى دور السياسي صاحب الموقف والمناضل الذي يدفع الثمن .

ولا يظل مونتان صاحب الوجه العبوس ابداً .. فهو يؤدي أدوار كوميديا تفجر القاعات ضحكاً في « المتوحشة » أمام كاترين دونوف . و « الشيطان من ذيله » مع ماريا شل .. وهو العاشق الملتهب في « ضياء امرأة » امام رومي شنايدر .

وقد عمل ايف مونتان خلال حياته الفنية ــ وخاصة في السنوات الأخيرة ــ مع مجموعة من الفنانين فقد كتب له جورج سمبران أربعة افلام هي « انتهت الحرب » ، « زد » ، « الاعتراف » و « طرق الجنوب » . أما كلود سوتيه فقد اخرج له خمسة أفلام « سيزار وروزالي » و « فانسان » ، « فرانسوا » ، « بول » . و « الآخرون » ثم « النوم » آخر أفلامه التي عرضت في العام الماضي . وقد كتب هذه الأفلام كاتب السيناريو المعروف جان لودابادي . أما كوستاجافراس فقد أخرج له عدة افلام هي : « عربة القتلى » و « زد » و « حالة حصار » و « ضياء امرأة » .

ومونتان هو الذي هاجم بلاده في حربها ضد الاستقلال الجزائري .

الفنان السياسي

ورغم ميول مونتان السياسة المعروفة ، فهل هو منافس للرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران ، أم أنه امتداد له . يقول في اجابة حول هذا السؤال : « أنا لا أؤدي دوري من اجل هذا . أو ذاك . ولكني ارفض أن يعتقد البعض انني أساند شيراك أو ميتران . المشكلة هي أنني يجب ألا أكون جانب الاتجاه السلبي . وعلي أن أكون ايجابياً . لنتكلم بصراحة . لماذا اتخذ اليوم هذا الموقف الهام ؟ لقد قدم رئيس الجمهورية فكرته عني . قال انني ممثل جيد والمهم هو مهنتي . وفي الواقع فانه عندما تطرح علي فكرة لائقة فانني امعن الفكر فيها . والممثلون الممتازون ليسوا قليلين في فرنسا . ومنهم صديقي ميشيل بيكولي . لقد تحدث الرئيس وحاول أن يعارضني قائلا أنني يجب الا اتكلم أمام الفرنسيين ولكن أغني . واني لست شخصية سياسية وليس لدى مواجهة مع اليمين أو اليسار . وهذا يعني أن أكون بينوكين اليسار » .


ايف مونتان



لوى ارجون .. صديق الفنان



إيف مونتان كما رسمه الفنان أندريه ماليتوسكي

إيف مونتان أثناء نزهة في قارب مع زوجته سيمون سينوريه التى لم تمثل مطلقا فى أى فيلم من أفلامه !

أما الوزيرة السابقة والكاتبة المعروفة فرانسوازجيرو فتقول في مجلة لونوفيل اوبزرفاتور — ٣ اكتوبر ١٩٨١ — في حديثها الطويل عن مونتان : إنه رجل سياسي منذ أن كان في بطن أمه ، وأن أباه كان مناهضاً للفاشية الأيطالية ، ولذا هاجر من ايطاليا . وتقول أن مونتان قد ارتبط في أذهان الفرنسيين ليس بالأغنيات التي شدا بها على خشبة المسرح ولا بالشخصيات العديدة التي جسدها في افلامه ، ولكن في صداقاته لرجال الفكر في فرنسا والعالم ، فقد صادق كل من الشاعرين جاك بريفيه ولوي اراجون . والفيلسوف جان بول سارتر والبير كامي ، والفنان بابلو بيكاسو والروائي ارثر كوستلر ، والزعيم البولندي ليش فاليسا .

ويحظى مونتان باحترام كل الأجيال . فهو لا يحظى فقط باحترام أبناء الجيل السابق من رجال الفكر ، بل إن أصحاب الفلسفة الجديدة في فرنسا قد عبروا عن اعجابهم بمواقف مونتان أكثر من مرة .. ومن المعروف أن هؤلاء المفكرين من اعمدة الفكر الاشتراكي في فرنسا . يقول زعيمهم الشاب برنار هنري ليفي : مونتان هو آخر رجل في جيل العظماء . انه يملأ مهمته الفكرية : يقول الحقيقة مهما كانت مخاطرها . وهذا أمر نادر الحدوث في هذه الأزمنة المجنونة الصوتية . أو التي تتساءل أولاً عن النتائج الدائمة للأشياء قبل الدخول فيها . أما مونتان فانه يخاطر بحثاً عن الحقيقة » . أما أندريه جلوكسمان الفيلسوف الشاب الآخر فيقول « ان مونتان يلعب الدور الذي يجب أن يلعبه المفكرون : أن يشير باصبعه الى مخاطر الطبقة السياسية التي لا ترى عيوبها ، إنه يواجه المخاطر ويقول الحقيقة ويخاطر بألا يفهم خطأ . وهذا أمر هام » .

محمود قاسم



الطبيب الآلي وهو عبارة عن جهاز آلي مجهز بمجموعة من الموجات الكهروالكترونية

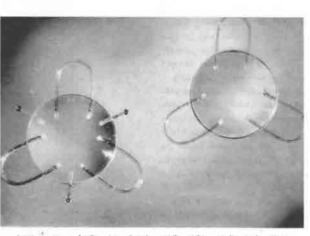
اطباء عصر الفضاء

بقلم: الدكتور نبيل سليم

- العلماء يرسلون طبيبًا للفضاء على شكل قمر صناعي لاكتشاف الأمراض في المناطق النائية!
- جهاز جديد لاكتشاف الالتهابات والأورام بطريقة أفضل من الأشعة التقليدية!
- طبيب آلي يحدد عيوب القلب ويصف العلاج للمرضى!

جهاز « السكانر » الذى يفحص الجسم بـواسطـة الرسم الطبقى

طبيب فضائي يقوم بإجراء اتصالات طبية للكشف عن الأمراض



جهاز يلمس العين ويقوم بقياس الضغط بها والكشف عن أمراضها

اذا كانت الطرق الرياضية تستطيع ان تصنع آلة تعطي نسبة نجاح في التشخيص الطبي أعلى من الطبيب فهل يتم عزل الاطباء وتكليف علماء الرياضيات القيام بالتشخيص الطبي ؟

مما لا شك فيه ان على الاطباء ان يطمئنوا .. فان دورهم ليس مجرد تشخيص المرض ، ولكن مشاكل علاج المرضى والوقاية والعمليات وغير ذلك هي المهام الأصعب بكثير من التشخيص وهي التي تؤكد ضرورة بقائهم .

علاوة على انه ، في كل يوم ، تكتشف أمراض جديدة بأعراض جديدة ، فلابد من اخذ التشخيص من الاطباء ، وتسليمه الى الالات لتسهل لهم العمل وترفع فعاليته ،

والمفروض ان استخدامهما معا هو ارقى الحلول .

ولعل عصر الفضاء الذي نعيشه الآن جعل العلماء من رياضيين وفلكيين ومهندسين يستحدثون طبيبا في الفضاء على شكل قمر صناعي يقوم بكشف الأمراض على الأرض خصوصا في المناطق النائية التي يصعب ايضا إيصال الخدمات الطبية الوفيرة اليها .

والاقمار الصناعية التي تستخدم في هذه الاغراض كثيرة اشهرها (A.T.S. 6) وهو يزن (١٤٠٠) كجم ويدور على ارتفاع (٣٥٦٨٠) كيلومترا فوق جزر كالا باجوس على الساحل الباسفيكي في امريكا الجنوبية ، وهدف هذا القمر هو إجراء الاتصالات للكشف عن الامراض في تلك المناطق ، ويدور هذا القمر في مداره خمس سنوات تنتهي عام ١٩٨٥ م حيث تتم استعادته لاعادة برمجة الحاسب الالكتروني به ، ليعطي تسهيلات العناية الطبية كاحدث ما تكون .

وفي الاسكا ــ وبواسطة قمر آخر ــ يقومون بتقديم الخدمات الطبية للمناطق النائية ، بتشغيل عيادات صغيرة يديرها مساعدون او ممرضات ترتبط بالمستشفيات الاقليمية وهذه العيادات يتم تجهيزها بمعدات طبية تقوم بارسال المعلومات النفسية والطبية . وايضا تسجيلات مصورة الى المستشفى الأم حيث يقوم الأخصائيون بوصف العلاج وارساله كتعليمات الى المريض .

تشريح الانسان حياً

ومنذ عام ١٩٧٣ انقلبت اوضاع التشخيص الطبي عن طريق التصوير باشعة اكس وذلك نتيجة ادخال تكنيك جديد هو (الرسم الطبقي) بمساعدة منظم يسمى (سكانر) ويقوم بفحص الجسم بواسطة اشعة اكس وذلك بتصوير اوضاعه من زوايا مختلفة والصور التي يتم الحصول عليها تركب جميعها عن طريق الكمبيوتر (العقل الالكتروني) لتعطي صورة تجميعية لمقطع من الجسم ، وبمعنى اخر فان (السكانر) يبين في مقطع افقي من الجسم خريطة تحديد الاعضاء وكشف الالتهابات والأورام .

وجهاز (السكانر) هذا يستعمله بصفة خاصة اطباء الامراض العصبية ، حيث يمكنه استكشاف المخ دون حاجة الى حقنه بمستحضرات ملونة قد تكون احيانا خطرة وغالبا مؤذية .

وجميع اجزاء الجسم من الممكن استكشافها بهذه الطريقة وذلك بفضل الحساسية العالية للجهاز ، وبذلك يمكن الوصول الى نتائج افضل بكثير مما نحصل عليها عن طريق الاشعة التقليدية .

إن (السكانر) يتيح ما قد يسمى بتشريح حقيقي للانسان حيا .

الأصم يسمع بنظارة

وهناك اختراع ياباني سوف يمكن الاصم من السمع !! ولن تنحصر فعالية هذا الاختراع على حالات محدودة بل انه سوف يمكن كل من ثقبت (طبلة) أذنه من السمع !!

إن البديل السمعي خادع في مظهره ، ذلك انه ظاهريا يشبه النظارة ولكن في واقع الامر فان ذراعيها صنعا خصيصا لالتقاط الاصوات والمحادثات وتحويلها الى ذبذبات ميكانيكية وتوصيلها الى الاذن الداخلية عن طريق الجدار العظمي .

وهذه الاجهزة التعويضية سوف تزيل عقبة من اهم العقبات في اجهزة السمع الحالية التي تسبب مضايقات كثيرة على الاخص في الاماكن الصاخبة .

اما في الجهاز الجديد ، فيوجد (ميكرفون) مصغر وحيد الاتجاه ، يمكن الأصم من الاستماع الى الاصوات بوضوح خصوصا التشويشات اذا كانت مرتفعة !!

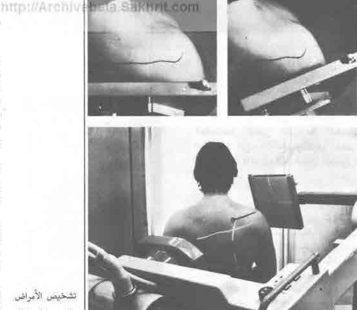
تصوير القلب سينمائيا

هذا وقد طور فريق من العلماء في الولايات المتحدة الامريكية طريقة جديدة لتصوير القلب بصورة سينمائية ، وما يميز الطريقة الجديدة امكان التصوير بواسطتها في اثناء ممارسة الرياضة والنشاط البدني على عكس ما هو متبع في رسم القلب الكهربي او التصوير الاشعاعي حيث يتطلب الأمر وجود الجسم في حالة ثبات إما نائما او واقفا .

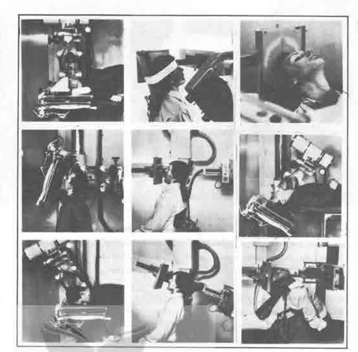
والهدف من طريقة التصوير السينمائي للقلب هو الكشف عن عيوب قد تكون موجودة بالقلب ولا يمكن الكشف عنها بطريق اخر وعندما يكون الشخص في حالة الراحة .

واعلنت الجمعية الأمريكية لامراض القلب بان الطريقة الجديدة هي اكثر ضمانا واقل تكلفة وانها لا تسبب للمريض اي الم كغيرها من وسائل أو طرق تصوير القلب عن طريق الوريد .

ويقول د . جاكي بورير رئيس علماء القلب في المعهد القومي لامراض القلب والرئة والدم في واشنطن ان الطريقة الجديدة ستحل بديلا للطرق القديمة لتصوير القلب . ويتم فيها



تشخيص الأمراض
بالتصوير السينمائي



هكذا يتم تشريح الجسم حيا عن طريق أحدث الأجهزة التي كشفت عنها أبحاث الفضاء

اضجاع المريض على ظهره وتصوير قلبه عندما يقوم بتحريك جهاز يشبه الدراجة برجليه فيقوم الجهاز بتصوير قلبه اثناء الجهد .

ويقول د . بوربر ان الشخص يمكن ان يعاني من عاهة خطيرة في القلب ولا يمكن تشخيصها الا بواسطة الحركة . وقال د . بوربر انه تم حتى الآن فحص ٢٠٠ حالة بالطريقة الجديدة فثبت حساسيتها ودقتها .

المذاكرة اثناء النوم

كما كشف فريق من العلماء في الولايات المتحدة ايضا ان وقوع اعصاب معينة في الجسم تحت تاثير كهربائي يمكن ان يسكن الالام ، الامر الذي يمكن من اعاقة وصول الاشارات العصبية الحاملة للألم الى مراكز الاحساس في الجسم .. ويامل العلماء في ان تحل هذه الطريقة كبديل للادوية المسكنة للآلام وما يصاحبها من اثار جانبية .

ومن ناحية اخرى اعلن نفس هذا الفريق العلمي ان البحوث الحديثة عن فسيولوجية الجهاز العصبي للنوم والذاكرة تخلص الى انه إذا كان النوم يدخل في نشاط الاستذكار .. فان ذلك يتم بطريقة مختلفة تماما عنها بفهمه . فطبيعة النوم ومدته واللتان هما متداخلتان بعد التدريب ـ تبدوان وكانهما تتحكمان في عملية الاستذكار ..

وبايضاح اوفى فان فعالية الاستذكار تبدو مرتبطة بمرحلة معينة من مراحل النوم تسمى (بارادوكسال) اي التناقض إذ انه في هذه الاثناء يعتري المخ نشاط شديد بينما يظل الجسم في ثبات عميق !!

ولاشك ان كل شخص منا يتمنى ان تقوى ذاكرته ، وليس الطلاب فحسب وخصوصا في فترة الامتحانات !!

ان الروايات الطريفة عن التخيلات العلمية (أدب الخيال العلمي) قد عودتنا ان نتتبع اخبار كل جديد في هذا المجال من (حبوب سحرية) وايضا ما يسمى بالهيبوبيديا اي الاستذكار اثناء النوم دون بذل اي مجهود ، وذلك بفضل جهاز تسجيل يوضع تحت الوسادة ويذيع الدروس . فيحدث الاتحاد الذبذبي الكهروكيميائي بين ذبذبات الجهاز وذبذبات المخ التي يحويها جسدك بما فيه من مواد .

وقد اثبت احد الكيميائيين الالمان ان جسم الانسان العادي يحتوي كميات كبيرة من المواد التي تتفاعل مع بعضها لتتيح للانسان عملية التفكير العقلي فمثلا نجد في جسدك من الحديد ما يكفي لصنع سبعة مسامير كبيرة ، ومن الشحوم ما يكفي لصنع خمسة كيلوجرامات من الشموع الجيدة ومن الفحم ما يكفي لصنع خمسة وخمسين دستة اقلام رصاص ، ومن الفسفور ما يكفي لصنع ٨٢٠ الف عود كبريت (من النوع الممتاز) يضاف الى ذلك تسع عشرة ملعقة صغيرة من الملح ، وخمسمائة قطعة سكر واثنين واربعين لترا من الماء !

ومهمة الطبيب الباحث او المعالج هي كشف النقص الذي يطرا على احد هذه العناصر وكيفية تعويض هذا النقص او اي اختلال يؤدي الى اعتلال الجسد او قصور الحركة الفكرية في المخ .

والحقيقة ان تشخيص المرض يعد عملية معقدة للغاية ، بل من اعقد عمليات التفكير العقلي فالطبيب يجب ان يتخيل مجموعة الامراض المحتملة بناء على شكوى المريض واستجوابه وفحصه ، ثم عليه بعد ذلك ان يقوم باجراء ابحاث اضافية تساعده على إدراك الصورة واختيار العلاج ، ثم بمتابعة المريض عليه تعديل العلاج احيانا للاتجاه به في المسار المطلوب اثناء تطور المرض .

والاطباء عادة يقسمون الامراض المختلفة الى عدد من المجموعات التي تختلف عن بعضها البعض بوضوح ، وتتكون كل مجموعة من عدد من الامراض المتشابهة الاعراض .

التشخيص التفاضلي

ثم يجيء بعد ذلك تحديد احد الامراض بدقة ـ اي المفاضلة ـ التي نسميها التشخيص التفاضلي الذي قد يكون صعبا ـ فيشكل (الكونسلتو) اي اطباء من تخصصات مختلفة ـ وهي بلاشك عملية معقدة تعتبر الخبرة والعامل البشري هما اهم مقوماتها .

ولكن .. لماذا لا تجمع الاعراض المختلفة وتعطى للالات الحاسبة ويوضع لها برامج خاصة لتشخيص الامراض بعد اعطائها البيانات الابتدائية ؟ .

رغم ان الالات الطبية كانت حتى وقت قريب من العوامل المساعدة فقط ، فهي تقيس الضغوط والحرارة ، وعموما تقيس البيانات الظاهرة ويمكنها ان تصور احيانا ـ بواسطة الاشعة ـ بعض الاجزاء الداخلية ، غير ان المطلوب ليس ذلك ـ لكنه طريقة فذة للتشخيص ـ ليس مجرد تجميع الاعراض وتصنيفها ، بل دراسة هذه البيانات رياضيا .. ببساطة حساب المرض .. وليس استنتاجه .. وهذا ما سنتحدث عنه .



أحدث تجربة فى الطب البشرى : المشارط الضوئية التى تستعمل أثناء اجراء العمليات الجراحية دون أن تراق نقطة دم واحدة

في المانيا الغربية ـ بالمستشفى الجامعي الملحق بكلية طب هانوفر ـ تم تركيب عقل الكتروني تكلف أربعة ملايين من الدولارات ، يمكنه تسجيل اهم المعلومات عن حياة ٢٥ الف مريض ، ويستقبل يوميا مائة مريض بالمستشفى . ويطرح على كل منهم ٧٢ سؤالا من خلال شاشة تليفزيونية ، وتختزن اجاباتهم ، ويؤكد الاطباء ان هذا الطبيب الالكتروني اثبت كفاءة فائقة في تناول التاريخ الطبي في تقرير العلاج اللازم في الوقت المناسب .

وفي جامعة ميامي في امريكا قام د . مايكل جوردون بتكوين طبيب الي اسماه (هارفي) وهو جهاز ناطق مجهز بمجموعة كبيرة من الموجات الكهربائية والالكترونية . وذلك كجهاز عصبي متكامل ، ويقوم طبيب الي اخر بمراقبة هارفي حتى لا يخطيء .

وعندما يدير المريض القرص على حالة مرضية معينة ، من امراض القلب مثلا ، يرغب في دراستها ، ويضع سماعة هارفي على صدره .. عندئذ تنبعث نفس الاصوات الصادرة من المريض الحقيقي بنفس حالة المرض من هارفي . وتاتي اهمية هذه الآلة في ان الاطباء يمكنهم من خلالها دراسة المضاعفات القلبية النادرة والمتشعبة وتصحيح الاخطاء وتقديم العلاج في وقت مبكر نسبيا .

وفي الاتحاد السوفيتي فان (يورال الاول) طبيبهم الآلي يشخص المرض فيما لا يزيد على ساعتين ونصف ـ اما (يورال الثاني) في (كييف) فيقوم بالتشخيص في دقيقتين وقد قام بتحديد ١٥٦ عيبا من عيوب القلب في مرضى مختلفين بنسبة نجاح زادت على ٩٠ ٪ ، ويورال الثاني يقوم بحساب الأمراض طبقا لمعادلات رياضية وضعها صفوة علماء البيونيكا والطبيعة والرياضة .

ولقد حقق اول الاعراض وهو تشخيص امراض القلب آليا ، علاوة على قيامه بتكبير وقراءة رسوم القلب ، وملاحظة اعراض قد لا يشعر بها المريض نفسه ، كما حقق هدفا ثانيا هو وصف العلاج ، ولا زال العلماء مستمرون في دراساتهم لتحقيق هدف ثالث هو اختيار رد فعل القلب للعلاج ، وتقديم الاقتراحات المناسبة قبل حدوث المضاعفات :

ولم يقتصر التقدم على تشخيص امراض القلب فقط .. لكن الاطباء وضعوا النظريات ، ونظم التشخيص الطبي الذي يستطيع الاطباء بواسطتها تشخيص ـ امراض الكبد والمعدة والاورام ـ وحتى أمراض المخ .

وسوف تكون الاستفادة كبيرة جدا من وجود نظام مركزي للمعلومات يقوم بتجميعها ، وتحليلها رياضيا ، وايجاد الحالات الشبيهة وهي ذاكرة بلاشك ضخمة تتجمع فيها الخبرات لمئات الاطباء في عشرات البلدان .

تطعيم خلايا المخ

وفي السويد تمكن بعض جراحي الاعصاب لأول مرة في تاريخ الجراحة الحديث ، من اجراء اول عملية تطعيم للخلايا في المخ البشري ، وكان الهدف من ذلك انقاذ مريض مصاب بمرض الشلل الرعاش المعروف باسم (بركنسون) والذي اخفقت حيال مرضه جميع العلاجات المعروفة ، وذلك بادخال خلايا في مخه لها القدرة على انتاج مادة كيميائية ترسل النبضات العصبية من خليه عصبية الى اخرى كانت تنقص المريض ويطلق على هذه المادة اسم (دوبامين) وهي امينات أساسية لنشاط الاعصاب في المخ ويبدو ان النتائج كانت عادية في البداية ، ولأول مرة اتضح ان التشوهات في انسجة المخ اصبح في الامكان شفاؤها بطريقة التطعيم ، وذلك خلافا للفكرة السائدة ، وبمقتضاها كان يستحيل ذلك ، وكان الاخصائيون في علوم الاحياء والعلوم العصبية على السواء مقتنعين بذلك منذ عقدين من الزمن .

ان هذا الانجاز لتلك المجموعة من الباحثين السويديين لهو مثير حقا ، ويبدو ببريقه الاخاذ امام العيون المتلهفة لاي جديد في هذا الميدان كسلسلة مدهشة للاعمال التجريبية التي مهما كانت نتائجها جزئية في البداية ، فانها لن تكون معدمة الاثر على العواطف الانسانية ..

ان هذه الابحاث التجريبية ترسم في الواقع الطريق الواجبة الاتباع من اجل المزيد من البحوث العلمية عن علاج للأمراض الخطيرة المتنوعة ، واهمها الشلل النصفي ، وتصلب الشرايين والشلل الرعاش ، التي كانت تعتبر حتى الأمس القريب امراضا مستعصية .

وقد كان بعض هذه التجارب يقوم على استخدام خلايا وانسجة جديدة تحل محل الخلايا او الأنسجة التالفة .

والحقيقة انه سبقت هذه البحوث ، محاولات بحثية اخرى قام بها العالم الفرنسي ميشيل راؤول على زرع نسيج عصبي في عيون فئة من الفئران المتوسطة الاعمار ، وكان ذلك منذ خمسين سنة تقريبا .

لكن تطعيم العناصر العصبية في الجهاز العصبي المركزي قد قطع شوطا ممتازا منذ حوالي عام ١٩٧٤ اي منذ عشر سنوات فقط .

اختفاء شيخوخة المخ

منذ اسابيع قليلة ، اعلن الباحثون في جامعة لوند بالتعاون مع علماء جامعة كمبريدج الامريكية نتائج تجارب جديدة ، فقد اجرى

هؤلاء العلماء الباحثون عملية تطعيم في مخ الفئران عن طريق زرع انسجة لها القدرة على انتاج مادة (استيل كولين) وهي مادة تتكون في انسجة الجسم وتساعد على تنشيط النبضات العصبية استطاعوا بنتيجتها اعادة القدرة على التذكر نسبيـــا الى هذه الحيوانـــات ، وقد اتضح بان الفئران بعد ان عانت من مرض في قطاع من المخ يعرف بمرض Hippocoh فانها لم تكن لديها القدرة على أن تجد طريقها في شبكة الممرات المعقدة التي نصبت لها فعقدت الذاكرة لاجل قصير .

وقد قام العالمان السويديان (بيجوذ كليوند وستينفي) بتطعيم الفئران بفيروسات المرض المذكور ، وبانسجة اخذت من جزء من المخ اهمها الغشاء الفاصل الغني بالخلايا العصبية وقد ادخل هذا التطعيم في الانسجة المستقبلة فتشكلت توصيلات بين (الكروموسومات) وجـــدت الحيوانات بنتيجتها قدرة ملحوظة على سلوك الطريق الصحيح في شبكة الممرات المعقدة .

ولا شك أن هذه النتائج تعتبر انتصاراً علمياً كبيراً وهاماً جداً في الوقت الذي اكتشف فيه ان فقدان الذاكرة له علاقة وثيقة بالمادة المساعدة على تنشيط النبضات العصبية .

ويقول العالمان السويديان ان تحسن ذاكرة الفئران وبالتالي اتباعها الطريق الصحيح في الممرات المعقدة يعود الى حقنها بمادة قلوية سامة تمنع تدمير المادة المساعدة على تنشيط النبضات العصبية والمسماه (استيل كولين) ومن جهة اخرى ، فان مراكز طبية كثيرة ، وكذا بعض الجامعات الأمريكية ، بدات بتجارب علاجية تستعمل فيها المواد القلوية شبه السامة لمحاولة تحسين حالة الاشخاص المسنين الذين يشكون من فقدان ذاكرتهم ، او المصابين بمرض انعدام اتزان التفكير الذي يصاب به المسنون عادة في سن متقدمة جداً . وقد ثبت أن بعض المواد الكيماوية المنشطة للنبضات العصبية تكون ضرورية ايضا عندما يتعلق الموضوع باصلاح العاهات التي سببتها بعض انواع الامراض المشابهة .

وهكذا يثبت البحث العلمي في كل يوم باستمراريته انه الطريق الوحيد لاي حضـــارة صحية ومقياس تقدم اي شعب من الشعوب وبالبحث العلمي والتفكير العلمي تضع الأمم حضارتها وتاريخها عبر الاجيال ، ولا شك ان عصر الفضـــاء قد قدم لنا عـــلامات بحثيـــة للتفكير العلمي من اجل خدمة انسان العصر ومن اجل بناء اجيال شابة قادرة وعلى مستوى من الوعي والرقي الفكري والنضج الحضاري تتعاقب فيما بينها رافعة راية التقدم ومضيئة مشعل الحضارة .

نبيل سليم

من يسمعني

محـــمود صقـــر

توشوشنى كلماتك الليلة
المنسوجة الايقاع
من يسمعنى
وانا اقرأ وقع الأقدام
باسم الهم المتبعثر فى الشوق المحزون
فى بحر الضوء جنونا
من مجرى عينيك يتدفق
اشتالا .. تنسدل الشفة الرملية
مغترب وفصول اللحظة رعب
يأكلنى ذباب السيف
من يسمعنى
لا يفقه وجه (محمد) (١)
استنجد من يبقى الشريان المتفجر
هل يتداعى اسم الحب ؟
لكى نعبر سرداب الموت
وغابات النخل
شفيفا تشحذ صهوة البحر
من يسمعنى
اكون انا
من لحظة توديعى
من موتى
اكون انا
زهرة عباد الشمس
وهجى دنيا واطفال
وعيون تغزل الصمت
واسفار ترصد الفجر ـــ تغنى
ونهر فى المحراب يصلى
من يسمعنى
والشارع يحلم بان تأخذنى
ذراعان التف بهما
واندس بالوله الشمسي
المغمور فى (محار) الجفن الطيب
من يسمعنى
اشيد اساي المتبقى
عمرا : وجعا
تتوالد فيه اخبار الوجد
أمد جسورا من قلبى
يا جرحى ، ... ابتسم الأن
وقبل تاريخ العشق الأبدي .

هامش :

١ ـــ ابن الشاعر

هؤلاء العلماء الباحثون عملية تطعيم في مخ الفئران عن طريق زرع انسجة لها القدرة على انتاج مادة (استيل كولين) وهي مادة تتكون في انسجة الجسم وتساعد على تنشيط النبضات العصبية استطاعوا بنتيجتها اعادة القدرة على التذكر نسبيـــا الى هذه الحيوانـــات ، وقد اتضح بان الفئران بعد ان عانت من مرض في قطاع من المخ يعرف بمرض Hippocoh فانها لم تكن لديها القدرة على ان تجد طريقها في شبكة الممرات المعقدة التي نصبت لها فعقدت الذاكرة لاجل قصير .

وقد قام العالمان السويديان (بيجوذ كليوند وستينفي) بتطعيم الفئران بفيروسات المرض المذكور ، وبانسجة اخذت من جزء من المخ اهمها الغشاء الفاصل الغني بالخلايا العصبية وقد ادخل هذا التطعيم في الانسجة المستقبلة فتشكلت توصيلات بين (الكروموسومات) وجـــدت الحيوانات بنتيجتها قدرة ملحوظة على سلوك الطريق الصحيح في شبكة الممرات المعقدة .

ولا شك أن هذه النتائج تعتبر انتصارا علمياً كبيراً وهاما جدا في الوقت الذي اكتشف فيه ان فقدان الذاكرة له علاقة وثيقة بالمادة المساعدة على تنشيط النبضات العصبية .

ويقول العالمان السويديان ان تحسن ذاكرة الفئران وبالتالي اتباعها الطريق الصحيح في الممرات المعقدة يعود الى حقنها بمادة قلوية سامة تمنع تدمير المادة المساعدة على تنشيط النبضات العصبية والمسماه (استيل كولين) ومن جهة اخرى ، فان مراكز طبية كثيرة ، وكذا بعض الجامعات الامريكية ، بدات بتجارب علاجية تستعمل فيها المواد القلوية شبه السامة لمحاولة تحسين حالة الاشخاص المسنين الذين يشكون من فقدان ذاكرتهم ، او المصابين بمرض انعدام اتزان التفكير الذي يصاب به المسنون عادة في سن متقدمة جداً . وقد ثبت أن بعض المواد الكيماوية المنشطة للنبضات العصبية تكون ضرورية ايضا عندما يتعلق الموضوع باصلاح العاهات التي سببتها بعض انواع الامراض المشابهة .

وهكذا يثبت البحث العلمي في كل يوم باستمراريته انه الطريق الوحيد لاي حضـــارة صحية ومقياس تقدم اي شعب من الشعوب وبالبحث العلمي والتفكير العلمي تضع الأمم حضارتها وتاريخها عبر الاجيال ، ولا شك أن عصر الفضـــاء قد قدم لنا عـــلامات بحثيـــة للتفكير العلمي من اجل خدمة انسان العصر ومن اجل بناء اجيال شابة قادرة وعلى مستوى من الوعي والرقي الفكري والنضج الحضاري تتعاقب فيما بينها رافعة راية التقدم ومضيئة مشعل الحضارة .

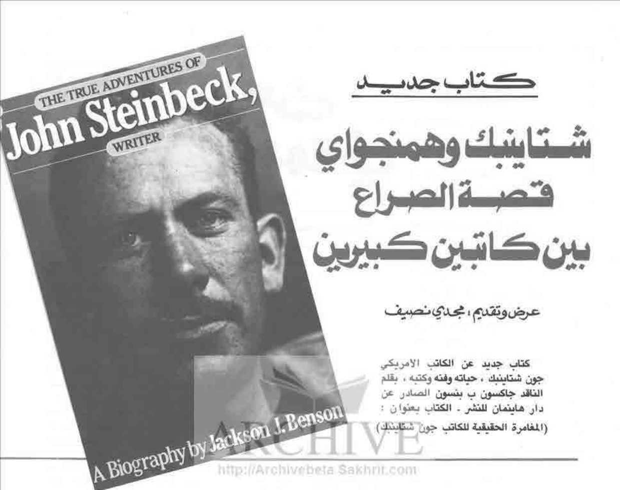
نبيل سليم



محمود صفر

توشوشني كلماتك الليلة
المنسوجة الايقاع
من يسمعني
وانا اقرأ وقع الأقدام
باسم الهم المتبعثر فى الشوق المحزون
فى بحر الضوء جنونا
من مجرى عينيك يتدفق
اشتالا .. تنسدل الشفة الرملية
مغترب وفصول اللحظة رعب
يأكلنى ذباب السيف
من يسمعنى
لا يفقه وجه (محمد) (١)
استنجد من يبقى الشريان المتفجر
هل يتداعى اسم الحب ؟
لكى نعبر سرداب الموت
وغابات النخل
شفيفا تشحذ صهوة البحر
من يسمعنى
اكون انا
من لحظة توديعى
من موتى
اكون انا
زهرة عباد الشمس
وهجى دنيا واطفال
وعيون تغزل الصمت
واسفار ترصد الفجر ـــ تغنى
ونهر فى المحراب يصلى
من يسمعنى
والشارع يحلم بان تأخذنى
ذراعان التف بهما
واندس بالوله الشمسي
المغمور فى (محار) الجفن الطيب
من يسمعنى
اشيد اساي المتبقى
عمرا : وجعا
تتوالد فيه اخبار الوجد
أمد جسورا من قلبى
يا جرحى ، ... ابتسم الأن
وقبل تاريخ العشق الأبدي .

هامش :
١ ـــ ابن الشاعر



كتاب جديد

شتاينبك وهمنجواي قصة الصراع بين كاتبين كبيرين

عرض وتقديم: مجدي نصيف

كتاب جديد عن الكاتب الامريكي جون شتاينبك ، حياته وفنه وكتبه ، بقلم الناقد جاكسون ب بنسون الصادر عن دار هاينمان للنشر . الكتاب بعنوان : (المغامرة الحقيقية للكاتب جون شتاينبك)

كان ارنست هيمنجواي هو مشكلة الروائي الامريكي جون شتاينبك . فعندما كان شتاينبك يكافح ليصبح كاتبا روائيا ، نصحه البعض بان يقرأ هيمنجواي ، وعلى وجه الخصوص قصصه القصيرة . فبدأ بان قرأ رواية (القتلة) وذهل عندما قرأها ، حينئذ قال عن هيمنجواي : انه افضل كاتب قصصي حي .. لقد ذهل شتاينبك لدرجة انه لم يجرؤ على قراءة كتب هيمنجواي الاخرى .. ، إلا بعد أن رسخت اقدامه في عالم الأدب بصدور روايته العظيمة (اعناب الغضب) ، بعدها احس أن بامكانه قراءة بقية كتب هيمنجواى . وزيادة على ذلك طلب أن يوافق هيمنجواي على ان يقابله مقابلة شخصية فيما بعد . لكن هيمنجواي تصرف – كعادته – دون لياقة . فخلال المقابلة الاولى بينهما ، انكر هيمنجواي ان العصا الخشب الثمينة التي اهداها شتاينبك لجون اوهارا ، من الخشب النادر ، رغم انها كانت متوارثة في عائلة شتاينبك ، وزيادة على ذلك امسك بها هيمنجواي وكسرها على رأسه كاثباب انه ليس لها قيمة تذكر .

لقد استغرق كتاب جاكسون بنسون ١١٠٠ صفحة (من القطع المتوسط) ليدخل في التفصيلات الدقيقة عن كل شيء في حياة شتاينبك ، فهو – على سبيل المثال – يصف مشاعره تجاه هيمنجواي بعد هذه المقابلة فيقول : كان شتاينبك يحب أن يجهز بنفسه حساءه المفضل ، فامسك بكتاب هيمنجواي ... (والشمس تشرق ايضا) واخذ يقلب صفحاته ويسخر من الحوار في الرواية .

يقول مؤلف الكتاب عن شتاينبك (انه رغم نيل جون شتاينبك لجائزة نوبل ، تلك الجائزة التي رفعته الى مستوى هيمنجواي وجالزورثي وبيرل باك إلا ان النقاد ما زالوا يعتبرونه كاتبا كفؤا فحسب (شاطرا في صناعته) اكثر منه كاتبا هاما) . فهو ليس مثل الكاتب هيمنجواي مثلا الذي طوع اللغة وعراها حتى النخاع ، وخلق فلسفة جديدة معاصرة للقرن العشرين ، ودخل بتيار المدنية الأوربية ليجعلها امريكية .

يقول بنسون عن محاولات شتاينبك الأولى : (لقد كان مهتما في كتاباته الأولى بمحاكاة بعض بنية وحركة بعض القطع الموسيقية ، الى جانب محاولته محاكاة بعض الاشكال الموسيقية) .

ومهما كانت طموحات جون شتاينبك وتطلعاته الاولى ، فانه يدين بنجاحه الى اسلوبه الروائي التقليدي ، وايقاعه النثري . وهذان تكمن قوتهما في العاطفية وفي الموضوع المثير الذي تتناوله رواياته .

يقول بنسون : انني اعتقد أن روايته (فئران ورجال) ، هي من نوع الرواية القصيرة وهي رائعة (او قل هي مسرحية ذات اخراج مسرحي مطول) . وسبب نجاحها هو عاطفيتها الجريئة . وربما تذكرناها اكثر كفيلم بطولة برجس موريث ولون شاني ، والذي اطلق عليه اسم (إحك لنا عن الأرانب يا جورج) ، تماما كما تذكر روايته الطويلة (اعناب الغضب) التي مثلها على الشاشة هنري فوندا والتي تحكي عن المزارعين الأمريكيين المضطهدين المشردين في ولاية اوكلاهوما ! وتماما كما نذكر روايته (شرق عدن) التي قام ببطولتها الممثل الامريكي جيمس دين فاظهرت عبقريته ،

أرنست همنجواي


جيمس جويس

وكانت السبب في شهرته وفي هوس الشباب الامريكي والاوربي ، بل وشباب العالم به ، قبل أن ينتهي نهايته المروعة .

كان شتاينبك اوفر حظا من هيمنجواي في تحويل رواياته وقصصه الى افلام سينمائية ، فقد احب السينما والوسط السينمائي ، واخذ يعطيها افلاما سينمائية جيدة سيظل تاريخ السينما يذكرها ، مثل فيلم (فيفا زاباتا) !! الذي دل على براعة فائقة في حبه للسينما لانه كان موهوبا في كتابة الحوار ، ولكنه كان يفتقد الى موهبة مماثلة في (السرد) . ففي السينما كانت الكاميرا هي التي تقوم بعملية (السرد) .

كان سبب نجاح (اعناب الغضب) هو كونها صرخة الم صادرة من هؤلاء المهاجرين البائسين القادمين من (دست باول) ، الذين استغلهم مزارعو الفاكهة في ولاية كاليفورنيا ، فكبلوهم بالاغلال في مخازن الشركة ، وتركوهم بالكاد احياء ليعيشوا معيشة الحيوانات .

دفاع شديد

بدأ الكتاب كدعاية متطرفة من النوع الذي كان هيمنجواي يرفض دائما ان يكتبه لترضى عنه (الجماهير الجديدة) ! التي اقبلت على هذا النوع من الكتابة .

وحقيقة الأمر ان كتاب الناقد جاكسون بنسون يدافع عن مواقف شتاينبك بحرارة ، ويمجد تلك المواقف التي تمثلت في تصوير حياة الكادحين عموما ، والوقوف الى جانب قضايا المضطهدين في المجتمع الامريكي . ولقد كانت مواقف شتاينبك في بداية حياته جريئة مؤيدة للديموقراطية ، وهكذا وقف مثله مثل مئات من المثقفين الامريكيين ضد (فاشية لجنة مكارثي) ، لكنه في نهاية حياته سقط هذا الكاتب الكبير في مستنقع تاييد الحرب الامريكية الرهيبة في فيتنام ، عندما عمل كمراسل حرب لصحيفة الواشنطن بوست في فيتنام واخذ يدبج المقالات دفاعا عن تلك الحرب الامريكية .

يقول بنسون في هذا المجال :

(لقد اكد شتاينبك بجراة وشجاعة انه ديموقراطي يقف الى جانب مبادىء الرئيس جيفرسون ، وانه معاد للشيوعية . ففي زيارته للاتحاد السوفييتي لم يتوان عن نقد النظام السوفييتي ، ولكنه واجه صراعا شديدا بين وفائه لرئيس دولته وكرهه الشديد للحرب ، حينما عمل كمراسل حربي يرسل الاخبار الحربية من فيتنام) .

وبعد جائزة نوبل !

يقول مؤلف الكتاب انه بعد أن اكد نيله جائزة نوبل للآداب انه قد كتب افضل اعماله ، وانه بدأ ينظر الى نفسه على انه وقف طيلة حياته الى جانب قيم وتقاليد بالية . وانه رجل من طراز عتيق ، فقضى ايامه الاخيرة في عبث عنيد ، واغرق نفسه في الاساطير القديمة . وكان غالبا ما يقضي وقته في كادبرى مع البروفيسور فينافار الذي ساعده في محاولة اعادة كتابة هذه الاساطير وربطها بالحياة المعاصرة . لكن شتاينبك فشل رغم محاولاته المتكررة .

كان جون شتاينبك كاتبا متفانيا ، وقد آلمه ان صورة ارنست هيمنجواي (الخسيس الذي يهوى تمجيد نفسه) قد بدات تطارده . كانوا يعتقدون انه سكير ، لكنه لم يكن يشرب الا القليل ، ولم يتزوج الا ثلاث مرات فقط ! لم يهو الشهرة وبالمقارنة بهيمنجواي كانت مغامراته قليلة للغاية ، حتى ليبدو عنوان قصة حياته (في هذا الكتاب) شيئا يبعث على السخرية (المغامرة الحقيقية الخ ..) .

وكان هيمنجواي يحتمي بنسبه الانجلو ـ ساكسوني ، فكان يسمى نفسه هيمنجستاين من باب السخرية .. اما جون شتاينبك فقد زعم النازيون انه يهودي ، وخاصة بعد ان كتب روايته المعادية للشمولية : (افول القمر) ، التي كان مجرد وجود نسخة منها في احد بيوت اوربا التي احتلتها النازية ، يعني موتا محققا .

وكان جون شتاينبك في واقع الامر خليطا من الايرلندي الاصيل والالماني اللوثري ، وقد اخذ اسلافه من دوسلدورف على عاتقهم مهمة تحويل اليهود الى المذهب البروتستانتي . ،لقد استقرت عائلته في ساليناس بولاية كاليفورنيا .

ومن الافضل ان نعتبر شتاينبك روائيا (اقليميا) ذلك ان افضل اعماله هي تلك التي كتبها عن كاليفورنيا : فزارعو الفاكهة والعمال المهاجرون الماجورون الذيذ يعملون في مزارعهم ، لقد قربته كاليفورنيا من المكسيكيين ، وفي النهاية من (زباتا) .

لم يشعر شتاينبك ابدا بالرغبة في أن يشرب من النهر الاوربي ، مثلما فعل ارنست هيمنجواي . ولم يستهوه جويس على الاطلاق . فالحنين الى الريف في (مشرق عدن) يتميز بتعبير تقليدي .

يقول ادربي وقد ذكر واقعة بالمصادفة السعيدة جاء فيها ذكر جون شتاينبك : (قابلت شتاينبك بعد حصوله على جائزة نوبل التي نالها في رايي الشخصي دون استحقاق . اقام الناشر هاينمان حفل تكريم له في لندن ، وكنت حاضرا . وعندما سالته عما ينوي عمله بالجائزة المالية كان رده وقحا . (....) . يقول انطوني بيرجر ناقد الاوبزيرفر ان هذا الحفل لم يذكر جاكسون بنسون عنه كلمة واحدة ، ولم يذكر مادار فيه من نقاش مع شتاينبك ، رغم انه ذكر تفصيلات تافهة اخرى كثيرة .

كان شتاينبك مرهقا للغاية ، ويبدو انه بدا يشعر انه بلغ نهاية الطريق ، كان قبلها كاتبا لا يكل ولا يتعب . لذا ختم بنسون كتابه عن شتاينبك بقوله : (انه لامر عظيم ان يقال عن كاتب انه كان يحيا للكتابة ، وهكذا كان جون شتاينبك) .

بقلم: الدكتور علي الدين هلال

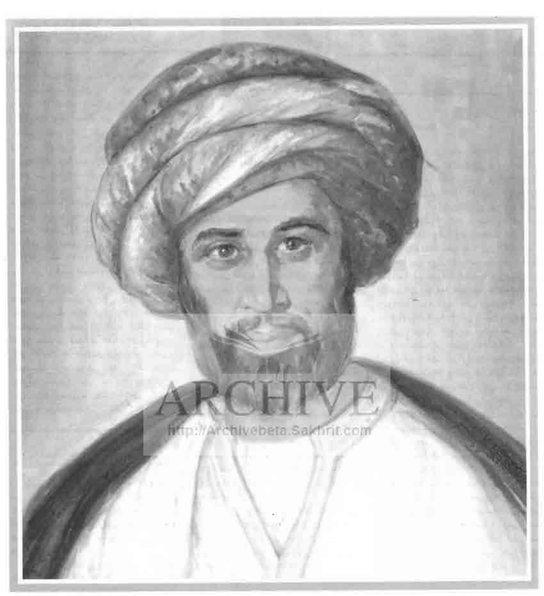


يمثل النصف الأول من القرن التاسع عشر مرحلة هامة من تطور الفكر السياسي والاجتماعي العربي فخلال هذه السنوات بدأ تعرف عدد من شوامخ المفكرين العرب على واقع وتراث النهضة الأوربية وسعوا الى الاستفادة منها وتحديد اسبابها وبواعثها ، وكتبوا الى بني اوطانهم ينبهونهم الى ذلك العالم الجديد الذي كان يبزغ في اوربا ، وضرورة تطوير المؤسسات والنظم والعلاقات الاجتماعية في بلادنا حتى تساير هذا التطور وتشارك في صنعه . وفي هذا السياق كتب هؤلاء الشوامخ عددا من امهات الكتب التي ما زالت تثير الذهن وتشحذ التفكير وتبعث على التساؤل في اوضاعنا ، وما زال ما ورد فيها من قضايا وموضوعات من تلك التي ما زلنا نتجادل فيها حتى الآن رغم مرور ما يقرب على قرن من صدورها .

وهناك اتفاق بين مؤرخي الفكر العربي ان القمم الثلاث التي شهدها النصف الاول من القرن التاسع عشر هم رفاعة رافع الطهطاوي ، وخير الدين التونسي ، وعبدالرحمن الكواكبي . ومن الضروري ان تطلع الاجيال الجديدة من شباب العرب على تراث هؤلاء ، وان يتاملوا في سيرهم وكفاحهم وان يتدبروا فيما قدموه من افكار وآراء . وسوف نبدأ في هذا المقال بالطهطاوي .

من طهطا الى الأزهر

ولد رجلنا في مدينة طهطا في اكتوبر ١٨٠١ م وهو رفاعة بن بدوي بن علي بن محمد علي بن رافع . انتقل به والده من طهطا الى قنا ثم الى فرشوط واثناء ذلك بدأ في حفظ القرآن ثم عاد الى طهطا فاتم حفظه ، واخذ يتلقى مبادىء العلوم الفقهية فقرأ المتون المتداولة في ذلك العصر على اخواله من الانصار الشيخ فرج الانصاري والشيخ عبدالصمد الانصاري ولما توفى والده نزح الى القاهرة وانتظم في



رفاعة الطهطاوى .. بريشة الفنان الكبير صلاح طاهر

سلك طلاب الأزهر سنة ١٨١٧ م .

هناك في صحن الأزهر الشريف التقى برجل من رواد النهضة العلمية والاصلاح والذي كان له اكبر الاثر في حياته وهو الشيخ حسن العطار الذي كان الى جانب إلمامه بعلوم الدين شديد الشغف والاهتمام بالعلوم العصرية . وقد اثر هذا الشيخ على رفاعة بالغ الاثر ، ففتحت محاضراته امامه افاقا جديدة للبحث والتامل والتفكير .

ويصف رفاعة استاذه بقوله : (انه كان له حظ وافر في العلوم العصرية حتى العلوم الجغرافية وانه وجد بخطه هوامش جليلة على كتاب تقويم البلدان لأبي الفداء وهوامش اخرى على اكثر كتب التاريخ وطبقات الاطباء وغيرها . وكان يطلع على الكتب المعربة وله شديد الولع بسائر المعارف البشرية ، وله بعض تاليف في الطب وغيره .

ولم يمض على رفاعة بالازهر بضع سنوات حتى صار من العلماء وتولى التدريس فيه سنتين . وامتازت دروسه والطريقة التي كان يلقي بها محاضراته بجاذبية كانت تحببه الى المستمعين . فيقول صالح مجدي احد طلبته في كتاب يؤرخ

رفاعة رافع الطهطاوي



لسيرة الطهطاوي بعنوان (حلية الزمن بمناقب خادم الوطن) : (كان رحمه الله حسن الالقاء بحيث ينتفع بتدريسه كل من اخذ عنه وقد اشتغل في الجامع الازهر بتدريس كتب شتى في الحديث والمنطق والبيان ، وكان درسه غاصاً بالجم الغفير من الطلبة ، وما منهم إلا من استفاد منه ، وبرع في جميع ما اخذه عنه ، لما علمت من انه كان حسن الاسلوب ، سهل التعبير مدققا محققا قادراً على الافصاح عن المعنى الواحد بطرق مختلفة بحيث يفهم درسه الصغير والكبير بلا مشقة ولا تعب ولا كدر ولا نصب) .

وفي سنة ١٨٢٤ م عين الطهطاوي ، بناء على ترشيح استاذه واعظا واماما في الجيش المصري النظامي الذي اسسه محمد علي ، فعين اولا في إلاي حسن بك المناسترلي ثم انتقل الى إلاي حسن بك المنكلي . ولا شك ان هذه النقلة مثلت تطوراً هاماً وجديداً في حياة الطهطاوي ، فقد اتاحت له فرصة الاحتكاك باحدى المؤسسات الرئيسية في بناء الدولة الحديثة وتعرف مباشرة على مشاكل بناء هذه المؤسسات وضرورة الانفتاح على العلوم العصرية لمواجهة هذه المشاكل وحلها .

الرحلة الى فرنسا

وفي عام ١٨٢٦ طلب محمد علي باشا من الشيخ حسن العطار ان ينتخب من علماء الازهر اماما لأول بعثة كبيرة للطلبة المسافرين الى فرنسا لتلقي العلم ، ويرى فيه الأهلية واللياقة ، فاختار الشيخ رفاعة لتلك الوظيفة .

وهنا بدأ فصل جديد من حياة الطهطاوي فقد انفتح باب العلم والمعرفة امامه واسعاً ، ونهل منه مؤلفنا بلا حدود ، واستثمر مواهبه المتعددة من ذكاء متوقد وعزيمة وضاءة ، ومنطق سليم ، ومثابرة في طلب العلم وجلد عليه ، حتى وصل الى مرتبة عالية من المعرفة والثقافة . وكان يمكن للطهطاوي ان يكون إماما للبعثة وحسب لكنه تجاوز هذه المهمة ، وعكف على طلب العلم حتى اصيبت عينه اليسرى بضعف ، ونصحه الطبيب بالراحة ، وطلب منه عدم القراءة بالليل .

ومن طرائف التاريخ ان الرجل الذي ذهب واعظا لهذه المجموعة من الطلبة ربما كان اكثرهم استفادة من البعثة ، وكان اكثرهم تاثيرا على مجتمعه بعد عودتهم .

بدأ الطهطاوي في تعلم الفرنسية ، ثم اطلع على العلوم والمعارف المختلفة ، وعلى الخصوص – كما يقول علي مبارك – في مجال الترجمة من سائر العلوم على اختلاف مصطلحاتها من حيث الاستعمال والمفردات . واتجه رفاعة الى دراسة الفلسفة والتاريخ والجغرافية والآداب الفرنسية ، فقرأ مؤلفات فولتير وجان جاك روسو ، ومونتسيكو وراسين . ومما ذكره عن مونتسيكو قوله : (وقرأت ايضــا مـع مسيو شوالييه جزاين في كتاب (روح الشرائع) مؤلفه شهير بين الفرنساوية يقال له مونتسكيو وهو اشبه بميزان بين المذاهب الشرعية والسياسية ، ومبني على التحسين والتقبيح المعقولين ويلقب عندهم بابن خلدون الافرنجي ، كما أن ابن خلدون يقال عندهم ايضا مونتسكيو الشرق اي مونتسكيو الاسلام) .

وقرأ في باريس ايضا بعض الكتب في علم المعادن وفن العسكرية والرياضيات ، ومالت نفسه اثناء دراسته الى التدوين والتعريب ، فوضع رحلتــه في كتاب اسماه (تخليص الابريز في تلخيص باريز) وعرب اثنتى عشرة رسالة منها نبذة في تاريخ الاسكندر الأكبر ماخوذة من تاريخ القدماء وكتاب دائرة العلوم في اخلاق الامم وعوائدها ، ومقدمة جغرافية طبيعية ، وقطعة من كتاب العلامة ملسطبرون في الجغرافية ، وثلاث مقالات من كتاب لجندر في علم الهندسة ، واصول الحقوق الطبيعية التي يعتبرها الافرنج اصلا لاحكامهم ، وفيه مباحث عن الدستور ، وكتاب مونتسكيو (روح الشرائع) ، ونبذة عن الميثولوجيا وحديث عن افكار ارسطو وافلاطون ، ونبذة في علم سياسات الصحة

خبرته العملية

عاد رفاعة الى مصر سنة ١٨٣١ بعد ست سنوات من الاقامة في فرنسا عاقداً العزم على ان يعرف اهل وطنه بالعلوم الجديدة التي يتداولها الغربيون . وبمجرد عودته الى الاسكندرية قابل ابراهيم باشا ابن محمد علي ، وقائد جيوشه وسافر الى القاهرة وقابل والي مصر محمد علي .

وتقلب رفاعة على عدد من المناصب ، فاشتغل في مجال الترجمة وتدريس اللغة الفرنسية في مدرسة الطب بابي زعبل ، ثم انتقل الى مدرسة المدفعية ، وبناء على اقتراحه قام محمد علي بانشاء مدرسة للترجمة تعلم فيها الالسن الشرقية والغربية وبعض المواد الاخرى ليقوم خريجوها بترجمة الكتب في العلوم المختلفة وفي هذه الفترة ايضا عهد الى رفاعة بتنظيم جريدة (الوقائع المصرية) والاشراف على تحريرها

ظل الطهطاوي ناظراً لمدرسة الالسن الى ان اغلقت على يد عباس باشا الذي اتسم عهده بالجمود ، ونفى رفاعة الى الخرطوم بحجة توليه نظارة مدرسة ابتدائية هناك . وفي الخرطوم قام الطهطاوي بتعريب كتاب تلماك بعنوان (مواقع الافلاك في اخبار تلماك) .

ولما توفى عباس وتولى سعيد باشا في عام ١٨٥٤ عاد رفاعه الى مصر وتولى مناصب عديدة من اهمها نظارة المدرسة الحربية في القلعة ونظارة قلم الترجمة ، وفي سنة ١٨٦٠ الغيت هذه المدارس كما الغي قلم الترجمة فظل بغير منصب الى عهد اسماعيل ، فاعيد قلم الترجمة الذي رأسه رفاعه ، وكان له فضل طبع طائفة من امهات الكتب كتفسير الفخر الرازي وخزانة الادب والمقامات الحريرية وغير ذلك .

ثم عهدت اليه الدولة بتعريب القوانين الفرنسية (قانون نابليون) لاصلاح النظام القضائي ، وفي عام ١٨٧٠ انشا علي باشا مبارك مجلة (روضة المدارس) فتولاها رفاعه وباشر تحريرها مع ابنه علي فهمي رفاعه . وفي سنة ١٨٧٣ كتب نجله (انه ليحزنني ان انقل من عدد الوقائع المصرية الاخير ما كتبه حضرة محررها الاستاذ الشهير (يشير الى الشيخ احمد عبد

الرحيم) ايذانا بوفاة والدي رفاعة بك رافع طاب ثراه وجعل الجنة مثواه) وكانت المجلة تنشر تباعا اخر مؤلفات المترجم والمفكر ورائد النهضة الفكرية الحديثة ، رفاعة الطهطاوي وهو كتابه (نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز) .

مؤلفاته

وحتى نتعرف على اثر الرائد العظيم من رواد الفكر العربي نورد فيما يلي ثبتا بمؤلفاته وهي : انوار توفيق الخليل فى اخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل لم يطبع منه غير الجزء الاول (في تاريخ مصر القديم حتى الفتح العربي) ، بداية القدماء وهداية الحكماء (تاريخ الشرق القديم) ، تاريخ قدماء المصريين ، التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية ، تخليص الابريز في تلخيص باريز او (الديوان النفيس بايوان باريس) (ضمنها اخبار رحلته ومشاهداته واختباراته في باريس) ، تعريب القانون المدني الفرنسي (جزان) ، التعريبات الشافية لمريد الجغرافية (منقول عن جغرافية ملطبون) ، جغرافية صغيرة (معرب) ، الجغرافية العمومية الجزء الاول والثالث (تعريب جغرافية ملطبون الموسعة) حبال الاجرومية ، قلائد المفاخر في غريب عوائد الاوائل والاواخر . جزان . الأول في اخلاق اوروبا وسكانها والثاني معجم الاصطلاحات الجغرافية والتاريخية ، رسالة المعادن ، المرشد الامين للبنات والبنين ، القول السديد في الاجتهاد والتقليد ، الكنز المختار في كشف الأراضي والبحار (مختصر في الجغرافية) ، كتاب قدماء الفلاسفة ، الكواكب النيرة في ليالي افراح العزيز المقمرة (مجموعة تهانى الخديوي توفيق باشا) ، مبادىء الهندسة (معرب) ، المرشد الامين للبنات والبنين ، المعادن النافعة لتدبير معايش الخلايق (تعريب لمؤلف فرارد) ، مقدمة وطنية مصرية ، مناهج الالباب المصرية في مباهج الاداب العصرية (وصف لحال مصر وتاريخها وعلومها وحكومتها واحوالها العامة) ، المنطق (معرب عن كتاب دومارسيس) ، مواقع الافلاك في اخبار تليماك (تعريب عن فنيلون) ، نظم العقود في نظم العود (ترجمة قصيرة) ، نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز (سيرة الرسول ﷺ). فماذا قال لنا الطهطاوي وما هي اهم افكاره؟

رائد الفكر الاجتماعي الحديث

ان مراجعة سيرة حياة رفاعة رافع الطهطاوي ونظرة سريعة على مؤلفاته تكشف لنا عن ثلاث سمات لهذا المفكر العظيم : اولها شمولية النظرة والاحاطة بالظواهر الاجتماعية والسياسية من مختلف جوانبها ، وثانيها الجمع بين النظر والعمل ، وبين الفكر والخبرة الواقعية ، الأمر الذي اضفى على فكره صفة الارتباط بالواقع ، وثالثها الجمع بين ارضية التراث الاسلامي والتعرف على العلوم العصرية الحديثة . ومن خلال هذه السمات الثلاث قدمت كتابات رفاعه منهجا في الاقتراب من مشاكلنا ما احوجنا اليوم ان نتذكره ونتمثله.

التراث والعقل والمدنية

انطلق الطهطاوي في تفكيره الاجتماعي والسياسي من احترام العقل كاداة لحل مشاكل المجتمع ، فيقول في كتاب المرشد الامين (الباب الثالث - الفصل الخامس) (ان الله قد اكرم الانسان وزينه بالعقل الذي يميز بين الحسن والقبيح ، والضار والنافع والخطا والصواب) ويستطيع الانسان (بالادراك ان يرتب المقدمات لاستخراج النتائج وان ينسب الماضي للحال، ويتبصر في عواقب المستقبل ، ويتصور اسباب الظواهر الجوية والحوادث السماوية ويميز الحسن من القبيح والضار من النافع . وبالادراك والفهم يصلح الانسان والاشياء ويشكلها على الوجه المطلوب) .

وتاسيسا على احترام العقل والمنهج العقلي في التفكير يتامل الطهطاوي في ظواهر المجتمع المختلفة ويسعى للكشف عن اسبابها وبواعثها ، اي (النواميس الطبيعية) التي تحكم حركة المجتمع وسلوك الانسان ولكن يبقى هذا الاعتماد على العقل في اطار الدين والشرع .

في هذا الاطار ووفقاً لهذا التصور عبرت كتابات الطهطاوى عن فهم مستنير للحضارة الأوروبية فهو لا يسارع بلفظها ورفضها . ولا بقبولها والانصياع لمقولاتها دون تمحيص . فهو يدعو للتفاعل مع الحضارة الأوروبية والأخذ عنها فيما لا يتعارض مع القيم والثوابت . وان (مخالطة الأغراب لا سيما اذا كانوا من اولى الالباب تجلب للاوطان من المنافع العمومية العجاب) (مناهج الألباب) .

وهدفه من ذلك واضح وهو بعباراته (ان يوقظ سائر بلاد الاسلام ... كي يبحثوا عن العلوم البرانية والفنون والصنائع وهي التي كمالها ببلاد الافرنج ثابت شائع والحق احق ان يتبع (تخليص الابريز) . ويدعو الأزهر الى ان يضيف في دروسه الى علوم الشريعة سائر المعارف البشرية المدنية .

اما الذين يرفضون اقتباس العلوم الاجنبية عن اوربا فهو يصفهم في مناهج الالباب بانهم (واهمون ، لان الحضارة دورات واطوار وهذه العلوم قد كانت اسلامية عندما كنا نعيش عصر نهضتنا فاخذتها عنا اوربا وطورتها) .

السياسة والديمقراطية

واستخدم رفاعه في عرض افكاره التاريخ وتحليل الاحداث التاريخية التي عاصرها او قرا عنها ، ففي مجال السياسة مثلا شهد رفاعه اثناء إقامته في باريس ثورة الشعب الفرنسي عام ١٨٣٠ التي انتهت بعزل شارل العاشر ، وتولية لويس فيليب . فقام بترجمة مواد الدستور الجديد ١٨٣١ . وشرح معاني التعديلات واهدافها السياسية والاجتماعية ، وقصد من ذلك ان يضع امام المصريين نموذجا لكفاح الشعوب فى سبيل الديمقراطية .

وقد قام رفاعة بشرح اسباب ثورة ١٨٣٠ ووصف حالة الراي العام شارحا علة خروج الفرنساوية عن طاعة ملكهم ، وكان هذا العرض التاريخي بمثابة درس في النظم السياسية الحديثة ولعرض بعض المبادىء التي تحكمها مثل ان الرعية يمكن ان تتكتل حول مبادىء اقتصادية وسياسية عامة ، ويمكن ان تنقسم الى احزاب متضاربة رايا وعملا حول هذه المبادىء السياسية والاقتصادية العامة . فيكتب الطهطاوي انه (في اوربا ينقسم الناس الى اقلية هم

الملكيون المؤمنون بالملكية المطلقة واكثرهم القسوس واتباعهم اي من رجال الكنيسة والمواطنين الخاضعين لنفوذ الكهنوت ، والى اغلبية هم الاحرار) او من يسمون في تاريخ الفكر السياسي بالليبراليين ، وهؤلاء من انصار الملكية المقيدة التي تتوج القانون مكان الملك وتجعل من الملك الة تطبق القانون على حد تعبير الطهطاوي .

ويربط الطهطاوي بين المفاهيم الحديثة والاصول الاسلامية ويقول في كتاب المرشد الامين : ان ما يسمونه بالحقوق والاحكام المدنية هو ما نعرفه باسم فروع الفقه ، وما نسميه نحن بالعدل والاحسان يلقبونه بالحرية والمساواة .

الاقتصاد والتمدن والمنافع العمومية

وفي مجال الاقتصاد كانت للطهطاوي اراء ثابتة بلورها في كتاب (مناهج الالباب) الذي نشره قبل وفاته بثلاث سنوات ، ولخص فيه اراءه حول مشاكل التغير والتقدم في مصر حتى ان البعض مثل الاستاذ جمال محمد احمد المفكر والاديب السوداني الكبير يعتبره في كتابه عن (الاصول الثقافية للوطنية المصرية) من اكبر المؤثرات على تطور الفكر المصري في القرن التاسع عشر ، ويعتبره اخرون بمثابة برنامج للتحديث السياسي والاجتماعي .

يناقش هذا الكتاب دائرة متسعة من القضايا والمشاكل التي تشمل موضوعات مثل ضرورة التمييز بين الاخوة في الوطن والاخوة في الدين ، وضرورة تنمية الروح العامة والمواطنة السليمة ، ودور الراي العام . وفي نظر الطهطاوي فان للتمدن اصلان : اما الاصل المعنوي فهو ما يتصل بتهذيب الاخلاق بالاداب الدينية والفضائل الانسانية ، واما الاصل المادي فهو ما يتصل بالمنافع العمومية التي تعود بالثروة والغنى وتحسين الحال على الهيئة الاجتماعية .

وفي المجال الاقتصادي فان الفكرة المحورية لدى الطهطاوي هي ما يسميه (بالمنافع العمومية) ويقصد بذلك التقدم في الزراعة والصناعة والتجارة ، وخلال الكتاب يعالج الطهطاوي الامور الاقتصادية في هذا الاطار ويحلل مصادر الثروة ويرى انه من بينها فان المصدر الاساسي هو العمل ، فالعمل هو مصدر الثروة واساس كل الغنى والسعادة ، بل ان السلع المتوفرة كالماء مثلا يصبح لها قيمة عندما ترتبط بعنصر العمل الذي ينقلها الى من هو في حاجة اليها . ويضرب الطهطاوي مثلا بالقوات الفرنسية التي كانت تؤجر عمالا لنقل الماء من النيل الى معسكراتهم .

ان تحليل الطهطاوي لطبيعة الثروة ومصدرها قاده الى عدد من النتائج الهامة عن العمل ، ومكنه من ان ينتقد كبار ملاك الاراضي واثرياء الصناعيين الذين يحتكرون الارباح على حساب اولئك الذين عملوا حقا ولكنهم لم يحصلوا إلا على اجر بسيط ، فيقول الطهطاوي : ان الفلاح يجب ان يحصل على ثمار عمله وان الربح لا يجب ان يذهب باكمله الى ملاك الارض ، ورفض الحجة التي تبرر للملاك ذلك على اساس انهم استثمروا راس مالهم في الارض ، مؤكدا ان العمل هو المصدر الاساسي للثروة ، وان راس المال ثانوي بالمقارنة له . وبعد معالجة موسعة لاوضاع العمال الزراعيين يحذر الطهطاوي من ان استغلالهم ودفع اجور بسيطة لهم سوف يؤدي الى الحقد والكراهية بين الناس . وقام بتحليل مماثل عن علاقة راس المال والعمل في مجال الصناعة .

واخيرا فان الطهطاوي يتنبا بان استمرار هذه الممارسات الاستغلالية يقود الى مزيد من التوتر الاجتماعي وان (من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا) .

والارجح ان الطهطاوي كان يقصد بهذه الآراء ضرورة تدخل الدولة لحماية العمال وتحديد اجورهم وتنظيم الحياة الاقتصادية.

الصحافة والراي العام

وكان للطهطاوي دوره في بلورة راي عام مثقف وناهض من خلال الصحافة . فبعد صدور اول صحيفة في مصر على يد نابليون بونابرت في ٢٩ اغسطس ١٧٩٨ باللغة الفرنسية باسم Courier d'Egypt لكي يقراها الجنود الفرنسيون ، بعد ربع قرن من هذا التاريخ اصدر محمد علي (الوقائع المصرية) وكانت باللغتين التركية والعربية ، وموضوعها الاخبار الرسمية للحكومة ، فلما تولى تحريرها رفاعه جعل اخبار مصر تتقدم كل الاخبار . وتضمنت مقالاته الافتتاحية تحليلات اجتماعية وسياسية ، واعلى من شان استخدام اللغة العربية فيها وجعلها موازية ومساوية للغة التركية . وعندما راس (روضة المدارس) لفترة اهتم بشئون المراة ودعا القراء الى المشاركة في تحرير المجلة .

ماذا يبقى منه للتاريخ ؟

هذه الآراء هي قليل من كثير . فقد تعرض الطهطاوي في كتاباته لمجمل قضايا المجتمع ابتداء من شكل النظام السياسي ، الى الاوضاع الاقتصادية ، الى اصول التربية والتعليم وضرورة تدريس السياسة (او البوليتيقه) في المدارس لكي يتعلم النشء **حقوقهم وواجباتهم كمواطنين ، لذلك ليس من الغريب أن يلقب رفاعه رافع الطهطاوي بابي الفكر** السياسي والاجتماعي المصري الحديث ، وان يعتبر احد الرواد الثلاثة العظام للفكر العربي في النصف الاول من القرن التاسع عشر . فهو الذي بذر بذور الفكرة الديمقراطية في اول كتاب له (تخليص الابريز) في عام ١٨٣٤ ، وهو الذي دعا الى تدخل الدولة وتحقيق العدالة الاجتماعية في اخر كتاب له (مناهج الالباب) في عام ١٨٦٩ ، وهو الذي كتب عن الوطنية المصرية في عهد السادة الاتراك ، ودعا المصريين الى الاعتزاز بماضيهم وتاريخهم ، وهو الذي ميز بين الاخوة في الدين والاخوة في الوطن ، وهو الذي حرض على التعرف على الحضارة الاوربية الجديدة والاستفادة منها ، وهو الذي انتقد الاوهام والبدع الفاسدة في رسالته بعنوان (البدع المتقررة) .

لقد قدم الطهطاوي نظرة وطنية ترتكز الى التراث دون تعصب ، والاخذ من الخارج دون تبعية ، ووضع الاساس لمنهج في العلاقة بين التراث والمعاصرة يمكن لنا ان نتمثله ونطوره على واقعنا المعاصر .

علي الدين هلال

الطائران والجزيرة الفريدة

شعر: حسن توفيق

كلّمها .... وكانت الشمس تطلُّ من خلال بابها الشرقيّ كي توزع النورَ المباحْ
حدّثها عما رآه في المنام ... كان صوتُه يفيضُ بالاضواء والظلال والعذوبه
وانسكبتْ في سمعها أمواجُه الطروبه
فاستسلمتْ للرحلة التي اغوتْهَا في الصباح

★ ★ ★

الطائران انطلقَا
حطّا على جزيرةٍ مسكونةٍ بالطيب والاطفال والخصوبه
جزيرةٍ يولدُ من شطآنها البيضاء ما يشفُّ من صفاءْ
والجوهرُ المكنونُ في أعماقها ... مِنْ حسنِه يكادُ يُغوى الأفُقَا
فلا يغيمُ لحظةً ... او يحبسُ النسائمَ الرخيّةَ اللعوبه
يا للجزيرةِ التي تقصدها طيورُ البحر ... حينما تشتاقُ للتلاقى والغناءْ

★ ★ ★

الطائران انطلقَا
حطّا هُنا .. واعتنقَا
كلمها في شغفٍ .. قالَ لها ما قالتِ النحلةُ للوردةِ والغيمةُ للأرضِ الظميه
قال لها ما قالتِ الاشياءُ للأشياءِ في انبثاقة التواصلِ الجامحِ كالريح الفتيه
وكنتُ وحدي صامتاً وضائعاً ... اكاد من تكدُّسِ الغربة فوق القلبِ أن أختنِقَا
فرحتُ أشكو الحرَقَا ...

★ ★ ★

كانتْ خيولُ الشمسِ في السماءِ تطوِي الأفُقَا
ممعنةً في السيرِ ... كي ترحلَ للبوابة الغربية البعيده
واغفت الطيورُ في أعشاشها سعيده
من بعدِ رحلة إلى الجزيرةِ الفريده
والطائران اعتنقَا
وخلّفا لي ريشةً مندوفةً ... وخلّفاني – دونَ قصدٍ – مِزَقَا

★ ★ ★

تفتحتْ في عالمى براعمُ الاسى ... واقبلَ الظلامُ قبل موعدِهْ
واخترقَ الظلامُ في إقباله جدارَ روحى حاملاً حقيبةَ الفراغِ والضياعِ في يدِهْ
وانفتحتْ حقيبةُ الفراغِ والضياعْ
تبعثرتْ اشياؤُهَا ... واينَ منيَّ الآنَ مَنْ تُؤنسُ روحي المثقله
يا ليتها الآنَ هنا .. تُوقد قربي شمعةً ... فيولدُ الأنسُ على خُطى الضياءِ المقبله
وتستعيدُ الروحُ – من طلعَتِهَا – صفاءها المحجَّبَ المضاعْ

★ ★ ★

ايتها الجزيرةُ الساحرةُ المسحوره
حتّى متى أظلُّ وحدى صامتاً أبثُّ ما أبثُّ للاوراقْ
تلفحني الأشواقْ
وترقدُ الأميرةُ الضاحكةُ العينينِ طولَ ليلها مسروره
وبيننا تُشْهرُ أبحرُ الظلامِ واللظى سيوفَها الصمَّاء من غياهبِ الأعماقْ
حتى متى أظلُّ وحدى صامتا ... وتنعمُ الطيورُ بالطيورِ والعشاقُ بالعشاقْ ؟ !

....

الطائران اعتنقَا
وخلّفا لي ريشةً مندوفةً ... وخلّفاني – دونَ قصدٍ – مِزَقَا !!!



حلمي الزواتي



حوار مع :

شاعر الأرض المحتلة

حلمي الزواتي

● أنا مازلت تلميذاً أحمل قلمي وأتعلم

● اصطدمت بتماثيل الرماد ، فصادروا قلبي وفتشوه

● التناقض في الوطن العربي يقع بين رفض العقل والعجز عن تأسيس البديل

فلاح عربي عشق الأرض حتى التوحد والاندماج ، وجواد عربي جامح أدمى قدميه الترحال ، فغرس فينا دماءه الخضراء عشقا حتى الموت ، ناضل فجلد وصلب حتى النخاع ، وكثيرا ماكان صوته يختصر المسافات ويختزل الأحلام ، فيأتي مجلجلا عبر شقوق الزنزانة متحديا الأسلاك الشائكة . وعندما حملته رياح الظلم والغدر خارج حدود فلسطين ، وجدوه متلبسا في حب الوطن ، فحاكموه وجلدوه ونفوه حتى الغربة . وبينما هو كذلك كان هذا اللقاء :

• لو فتحنا بطاقتيك الشخصية والأدبية ، وطلبنا منك أن تعرفنا على حلمي الزواتي ، فماذا تقول ؟

ــ هذا سؤال محرج يجعلني أصاب بالخجل لعدة أسباب منها :

اننا شعراء المقاومة سواء في الوطن المحتل داخل أسوار الاحتلال الصهيوني ، او خارجها تحت الاغتراب النفسي ، لم نفكر يوما فيما كتبناه وأنتجناه ؛ ومن جهة أخرى أن الأدب بعامة والشعر بخاصة عندما يرتقي الى مستوى الثورة فانه يصبح جزءا لايتجزأ منها ، وهو مستمر باستمرار هذه الثورة . ولذا كانت الصعوبة في الحديث حتى تنجلي الأمور وتتضح الرؤية . والأقسى من هذا وذاك أنك تدعوني للحديث عن النفس ، والحديث عن النفس لايقل صعوبة عن تحليل الناقد لشخصية مفكر أو فنان ما ، دون معرفة مسبقة . وليس أكثر سهولة من كتابة الناقد عن شخصية زميل له . فق الأولى الظلم والاجحاف وفي الثانية الأنانية والتحيز . على أية حال سأحاول أن أكون بعيدا عن شرك الأولى والثانية :

لقد ولدت في مدينة نابلس ، مدينة الكفاح والبطولة ، ونشأت وترعرعت في قريتي « زواتا » المنتصبة على جبل أشم من جبال النار يسمى « أبو عجرم » لقد أحببت « زواتا » أكثر من نفسي وحبها سرى في عروقي كما سرى حب ليلى في ضلوع قيس .

ولدت في أسرة كادحة أقرب الى الفقر من قربها الى الغنى ، في أسرة تضم شيخا طاعنا ، وأما جلدة مناضلة . ومن هنا فقد جمعت بين الكتاب والقلم والمحراث والمنجل .

صدر لي حتى الآن تسع مجموعات شعرية على التوالي : « أناشيد الجراح » ، « عبير الدماء » ، « بالحراب على وجه الضياع » ، « فاتحة الصوت والغضب » ، « ثلاثية الموت والارتحال » ، « قبلة على جبين الشمس » ، « قصائد ممنوعة التجوال » ، « ترفض السرج الجياد » ، « آتون من مدن الرماد » .

وفي المسرح : « لهب الجراح » ، « الرقص على حد السكين » ، « عناق الموت » .

وفي النقد : « في ربوع الشمس » ، « الفن والطفولة والاحتلال » ، « الوجه النضالي للأغنية الشعبية الفلسطينية في الكويت » .

وفي الرواية : « الابحار في ذاكرة الوطن » .

وفي الحقوق : « حقوق الفلسطينيين بين الواقع النظري والتطبيق العملي في الأرض المحتلة » .

باختصار شديد : حلمي الزواتي تلميذ في الصف الأول الابتدائي ، يحمل قلمه ودفتره ويتعلم بصمت . انه في بداية الطريق وليس سوى ربع قطرة من محيط .

• التجربة والمعاناة لهما علاقة وطيدة بالحدث الفني ، حدثنا عن تجربتك في الوطن المحتل شخصيا وفنيا .

ــ أرى وكأن لديك اصرارا على إعادتي الى داخل الجرح ، على أية حال لا ضير في ذلك فنحن دائما داخل الجراح نفتقها ... نتزلج عليها ... ونعصبها مرة اخرى ...

عندما كنت في فلسطين لم أكن فيها ، بل كانت تسكن في سويداء قلبي ، أحضنها وتحضنني ، تنتقل معي من زنزانة الى اخرى ومن سجن الى آخر تشهد وتستشهد ولكنها لاتموت .

عبر هذا الواقع ، وعبر المواجهة المجسدة يوميا مع سلطات الاحتلال ولدت قصائدنا ، وكثيرا ماتمت الولادة داخل اسوار الزنزانات بعيدا عن الرعاية والزرابي المخملية والوجوه العاجية .

لقد كانت قصائدنا ثورية ، تعبر عن واقع ثوري تلازمه وتعيش معه حتى التوحد والاندماج ، ولذا فانها كانت الخبز والماء والهواء في لحظات الهدوء ، والحجارة المسنونة والرصاص في عام الانتفاضة .

ومن هنا ... أدرك عدونا الخطر المحدق ، فعمل على اخراج السمك من الماء ، ولم يكن يعلم أن السمك الفلسطيني برمائي . وبرماجوي . أيضا .

• بعد الاحتلال مباشرة ، حاول العدو الصهيوني ممارسة الارهاب الفكري على حملة الأقلام الواعية وكذلك على المناهج الدراسية ، هل لديكم تعليق على ذلك ؟

ــ الارهاب الفكري والمادي من سمات الاحتلال ، أي احتلال ، ولكن الصهيوني تميز بالحقد والشوفينية عندما مارس ارهابه علينا .

لقد حاول الصهاينة في البداية أن يمارسوا علانية ما مارسوه على أهلنا وحملة الفكر في الأرض المحتلة بعد عام ١٩٤٨ وقبل ١٩٦٧ . ولعل من أبرز محاولاته مصادرة الكتب والنشرات التي تدعو الى الثورة وتحرض عليها ، وعلى زج أصحاب الأقلام الواعية الثورية داخل السجون والمعتقلات . وزيادة في الارهاب عمل على ممارسة العقاب الجماعي بحيث لايقتصر على المناضل نفسه ، بل يتعداه ليصل الى جميع أفراد أسرته وعشيرته ولربما أهل بلدته أجمعين . وهذا العمل يتنافى مع أبسط

القوانين والمواثيق الدولية .

لقد حاول العدو الصهيونى اذابة الشخصية العربية واذابة الأدب والفكر العربى فى بوتقة الأدب الصهيونى ، ولكننا ، فعلا ، كنا بمستوى الحدث : فقد انتقلنا من مرحلة الدفاع عن النفس الى مرحلة المواجهة ، وبذلك أبطلنا خططه ومشاريعه وأهدافه . وأذكر أن « موشيه دايان » قال ذات مرة للأخت فدوى طوقان : « ان كل كلمة يقولها شعراء المقاومة كافية لخلق عشرة مقاتلين » .

• قال أحدهم عندما أبعدته سلطات الاحتلال الصهيونى الى خارج فلسطين : « لقد خرجت الى دخول » ماهى مشاعركم عندما حدث لكم ذلك ؟

ـ لا أدرى ... ان الاجابة على هذا السؤال محزنة ومخجلة فى آن واحد ، لا لأنها قاسية وتفترض حالة من الاغتراب النفسى ، ولكن لأنها ترتبط عضويا بخيبة أمل واحباط قسريين .

عندما أبعدتنى سلطات الاحتلال الصهيونى خارج فلسطين لم تكن تعلم أن فلسطين فى مفهومى ليست من النهر الى البحر فحسب ، وانما هى من المحيط الى الخليج . ولكن المفاجأة الحادة بعد اسبوع فقط من ابعادى ، وجدت أن نابلس وحيفا والقدس وغزة لسن المحتلات فقط ، وانما تعداهن الاحتلال الى كل عواصم ومدن الوطن العربى ، ومن هنا ابتدأت الفجيعة .

لقد اصطدمت بتماثيل الرماد ، فصادروا قلبى وفتشوه فوجدونى متلبسا فى حب الوطن ، وهذا الحب فى رأيهم من نوع الجريمة مع سبق الاصرار والترصد ، لذلك عذبونى حتى النخاع ونفونى حتى الغربة .

ما أجمل الوطن العربى عندما كنا بعيدين عنه ! كنا نزهو بالانتماء اليه ونفخر ، كنا نحس بعروبتنا ونتلذذ بها ، ولكن بعد دخول هذا الوطن ، فقد تنكرت لنا العروبة فى شخصية شرطى وجلاد ، فألهبت ظهورنا بسياطها وحاكمتنا على حبنا لها وافترضت علينا حالة من التفسخ والضياع . على أية حال ، انه وطننا ...

• الوطن العربى يمر هذه الأيام بعدة اشكالات : ماهو دور المثقف العربى فى مواجهة هذه الأزمات وايجاد الحلول الناجعة والناجحة لها ؟

ـ ان الوطن العربى يعانى صراعا ثقافيا عنيفا اشتدت وطأته بعد الحرب العالمية الثانية ، لدرجة انه أصبح يبحث عن هوية ينتمى اليها . كما أن كثرة التيارات السياسية سبب فى هذه الأزمة ، وان أى طرف فى أحد هذه التيارات يؤثر سلبيا على اية ظاهرة نقية فى هذا الوطن .

من خلال هذا كله ، يتضح لنا أن أزمتنا فى أوضاعنا الحالية مرتبطة بأزمة المثقفين العرب وما يطرحون ، فى الغالب ، من نتاج ثقافى سطحى يتميز بالأمية الثقافية وضحالة الفكر .

ان المثقفين ضمير المجتمع ، وهم بصفة عامة ضمير طبقاتهم ، انهم يحملون الوعى الأجتماعى لهذه الطبقات ، ومهمتهم التوجيه بدءا من اعلان الحقيقة وانتهاء بالالتزام الجماعى ، والثقافة المكونة اجتماعيا وطبقيا تعنى مراتب متصاعدة من الالتزام ، فمرتبة الوصف تعنى بالاعلان عن الحقيقة الاجتماعية ، ومرتبة التغيير تعنى بالشرح والتحليل لتلك الحقيقة ، ومرتبة التفكير تعنى بالتطابق بين جوهر الابداع الثقافى وجوهر حركة المجتمع .

ان أوضاعنا الحالية البائسة لن تجد لها حلا الا بحل المشكلين الاجتماعى والثقافى .

فاجتماعيا تعانى من أزمة تغيير اجتماعى ، والأزمة تعنى اشكالية ، والاشكالية تعنى التناقض ، والتناقض فى الوطن العربى يقع بين رفض العقل والعجز عن تأسيس البديل . وثقافيا فنحن نعانى من الأمية الثقافية والسطحية الفكرية ، وعندما يصاب المجتمع بأزمتنا ، عليه أن يبحث ذلك بين الثقافة والمثقفين .

• شعر المقاومة فى الوطن المحتل اصبح له صيغة مميزة عن حركة الشعر العربى المعاصر ، ما رأيكم

ـ قبل الاجابة على هذا السؤال أود أن اقول :

ان التجزئة العضوية لأى كائن ، سواء كان ماديا أو معنويا ، مرتبطة بنية عدوانية هدفها الاضعاف ومن ثم السيطرة ولربما الأذابة والانهاء .

وان محاولة ايجاد أسماء وسمات للشخص الواحد بعد تفتيته مرفوضة جملة وتفصيلا . واذا كنا نرفض أن يكون هناك ادب كويتى وأدب أردنى وأدب جزائرى ، فاننا بلا شك نرفض بشدة أن يكون هناك ادب فلسطينى مقاوم وأدب غير مقاوم ، ادب سجون وأدب قصور ، أدب الأرض المحتلة وأدب المخيم .

ان هذه التجزئة تنطلق من نية لئيمة فى تجزئة الوطن العربى ثقافيا بعدما مزقوه اربا ، وعندما يكون هناك أدب مميز فى العراق عنه فى سوريا ، فهذا تمهيد أكيد لايجاد قومية فى العراق وقومية أخرى فى سوريا وثالثة فى تونس .

باختصار شديد ، ان التجارب الانسانية واحدة على مر العصور والسنين ، ما يمارسه الجلاد فى سجن الرملة ، هو

ما يمارسه فى بقية سجون العالم ، ومادام الوجع الانسانى واحدا ، فلا داعى للتلوين والتلويث .

اننى أذكر تماما أننا رفضنا فى عدة مقالات نشرت داخل الوطن المحتل وخارجه وأخص بالذات مقالة محمود درويش فى مجلة الآداب البيروتية فى عام ١٩٦٩ ، فقد اعتبرنا الحركة الأدبية فى الوطن المحتل جزءا من حركة الشعر المعاصر فى كل العواصم العربية ، ولكن الذى بهر الأنظار هو أن حركتنا الشعرية بخاصة والأدبية بعامة انطلقت وتأججت نارها مع انطلاقة بندقية الثائر فى النصف الاخير من الستينات .

• فى الوطن المحتل أقلام وأدمغة يهودية تقف الى جانب الحق العربى ، هل لك تعليق على ذلك ؟

ـــ هناك شعراء يهود ، سمت بهم قرائحهم عن التدنى الى مستوى الطائفية ، فسخروا أقلامهم للدفاع عن حرية الفكر من باب الانسانية ، ولكنهم لم يتخلوا عن ايمانهم بأن فلسطين هى « أرض الميعاد » ، ولا يرون ضيرا فى أن تكون « اسرائيل » بحجم الكرة الأرضية وليس من الفرات الى النيل فحسب .

من هؤلاء الأديب المعروف (عاموس كينان) الذى ترجم مع راشد حسين مجموعة من الأغانى الشعبية الفلسطينية الى اللغة العبرية .

لقد وصل الحد بأن هاجم أحدهم الكيان الصهيونى ، ولاغرو ، فقد سمعت ذلك من اديب وعالم يهودى كبير اسمه « اسرائيل ولفنستون » ، استاذ التاريخ والأدب العربى فى دار العلوم سابقا ، وعندما سألته عن حقيقة الكيان الصهيونى قال :

« كل بناء يقوم على غير أساس مصيره الدمار والخراب » . وهناك من يقف مدافعا أمام المحاكم الصهيونية عن المعتقلين العرب وأخص بالذكر المحامية اليهودية « فلنيسيا لانجر » .

كما أن هناك المتعصبين وهم كثر ، وأخص بالذكر « حاييم غورى » و « أهارون ميغد » و « يعقوب اوتنشتاين » .

• هناك بعض الوجوه التقليدية فى حركة الشعر المقاوم فى الأرض المحتلة ظهرت فى الستينات ومازالت مهيمنة على الوجه الاعلامى للحركة . أين جيل السبعينات ؟

ـــ ان السبب فى استمرارية ظهور هذه الوجوه ، واختفاء سواها من الجيل الثانى من شعراء المقاومة راجع لعدة أسباب منها :

ان بروز هذه الوجوه اعلاميا صاحب انطلاق الرصاصة الأولى لانطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة فى عام ١٩٦٥ وهذا الانطلاق المصحوب بتوقيت زمنى محدود ومحسوب جعل هناك تلاحما عضويا بين البندقية الثائرة والكلمة الصادقة المعبرة عن آمال وآلام وأحاسيس الناس سواء تحت الاحتلال الصهيونى أو تحت أجهزة القمع الأخرى .

والسبب الآخر ، ان التعتيم الاعلامى الذى يمارسه العدو الصهيونى على نتاج الاقلام الواعية الشجاعة وعزوف الاعلام العربى بما فيه دور النشر والتوزيع عن طبع وتوزيع هذا النتاج ، جعل فرصة ناجحة لعمل نوع من الانفصال بين هؤلاء الأدباء الشباب وزملائهم خارج أسوار الاحتلال الصهيونى .

على أية حال : هناك مجموعة من الشعراء الشباب الذين انتقلوا من المهد والقماط الى المعركة فورا وقست أظفارهم وأصبحت جارحة قبل أن يقسو الشعر فى وجوههم ومن هؤلاء الشعراء : عبد اللطيف عقل ، أسعد الأسعد ، على الخليلى ، خليل توما ، أديب رفيق محمود ، ليلى علوش ، سهام داود وسميرة الخطيب .

• حدثنا عن مشاريعك للمستقبل علميا وثقافيا وفكريا .

ـــ لا أحب أن أستبق الأحداث ، وهذا لا يعنى اننى لا أرسم خططى بدقة ، فالزمن كما قيل كالسيف ان لم تقطعه قطعك . على اية حال لدى تحت الطبع مايلى :

• « نقوش بالدم على جدران زنزانة » . مذكرات

• « اختزال الزمن والحلم الآتى » رواية .

• « الوجدان القومى لدى شعراء الارض المحتلة » . دراسة

• « المقاومة فى شعر الصحراء العربية » . دراسة

• « الفكر الصهيونى فى الصحافة العربية » . دراسة

الياس خليل الزين

البصمة الالكترونيه لتحديد الهوية

تعتبر بصمة الانسان منذ أقدم العصور أفضل طريقة لتحديد هويته ، فلا يوجد اثنان لهما نفس البصمة ، كما لايمكن تقليدها أو سرقتها كما يحدث بالنسبة لبطاقات الهوية .

ولذلك بدأت البنوك والشركات التى تختزن فى ذاكرة أجهزة الكمبيوتر معلومات هامه وسريه فى التفكير باستخدام بصمة الإصبع كوسيلة أمنية لضمان ألا يتعامل مع أجهزة الكمبيوتر والوحدات الطرفيه المتصله بها سوى الشخص المسموح له بذلك .

ولقد تحقق ذلك بالفعل بابتكار جهاز الكترونى يحدد هوية الأشخاص تبعا لبصمات أصابعهم ، ويتخذ الجهاز شكل وحدة طرفية صغيرة متصلة بذاكرة مركزية يمكنها اختزان صور آلاف البصمات .



وتتلخص خطوات النظام الأمنى الإلكتروني الجديد فى تسجيل بصمات اصابع الأشخاص المسموح لهم بالدخول الى مبنى أو غرفة معينة أو استخدام الكمبيوتر والوحدات الطرفية التابعة له . ويتم هذا التسجيل الالكترونى بأن يضع الشخص اصبعه فى وحدة طرفية حيث تصور بصمته بواسطة أداة ضوئية أوتوماتيكية فاحصة تقوم بمسح كل جزيئات الإصبع لتعطى صورة شديدة الوضوح والنقاء للبصمة . ويتم تحويل هذه الصورة الى شفرة رياضية تختزن فى الذاكرة المركزية ، كما يعطى الشخص رقم هوية خاص به .

وعندما يريد هذا الشخص التعامل مع المعلومات السرية يضرب رقم هويته على الوحدة الطرفية الخاصة بالتعرف على البصمات ويضع إصبعه فى تجويف خاص بذلك فاذا كانت البصمة مطابقة للبصمة المختزنة فى الذاكرة المركزية سمح له بدخول المنطقة المحظورة أو باستخدام الكمبيوتر ، ويستطيع جهاز واحد خدمة مبنى ضخم أو نظام كمبيوتر متكامل .

ولقد تم تجربة هذا النظام مؤخرا فى أحد بنوك كاليفورنيا ، ويعمل المهندسون حاليا فى تصميم وحدة طرفية مستقلة تستطيع الاحتفاظ بصور البصمات فى ذاكرتها .

مكبر صوت مختلف

ابتكر باحث فرنسى مكبر الصوت لأجهزة « الهاى فاى » يختلف تماما عن كل ماهو معروف حتى الآن فى هذا المجال . اذ يعتمد عمله على تأمين كرة صغيرة من الهواء تقوم بنشر الذبذبات فى جميع الاتجاهات .

من المعروف أن عمل مكبر الصوت يرتكز عادة على نظام ميكانيكى يعمل على اهتزاز بعض مكوناته قبل الحاجز والغشاء والمكبس . ولكن كل من هذه المكونات يهتز تبعا لتردد خاص به ، وبالتالى تضاف هذه الترددات الى الأصوات التى ينقلها مكبر الصوت مما يؤثر على درجة نقائها .

أما الجهاز الجديد الذى يتكون من صندوق صغير يعلوه قطب كهربى على شكل كرة فيخلو من أى غشاء . ويضم الصندوق مولدا للذبذبات يعمل بالترانزستور وملفا يولد تياراً ذا تردد عال . وعندما يسلط هذا التيار على القطب المركزى فى منتصف الكرة المعدنية يحدث تفريغ ايونى حول هذا القطب .

وينتج عن هذا التفريغ تغيرات فى درجة حرارة وضغط جزيئات الهواء المحيطة بالكرة المعدنية . وتتولد نتيجة لذلك موجات صوتية تنتشر فى جميع الاتجاهات ، وبالاضافة الى ذلك فإن عمليات التفريغ المتتالية تحدث تأينا للهواء ويحول كرة الهواء الى كرة نابضة بحيث يتوزع الصوت بشكل منتظم وبنفس الشدة فى جميع الاتجاهات .



الكمبيوتر ـــ الفيديو

تحققت خطوة جديدة في سبيل التزاوج بين الفيديو والاعلاماتية . فلقد تمكن اليابانيون من انتاج جهاز جديد يطلق عليه كمبيوتر ـ فيديو .

وهو أول جهاز يستطيع التزامن مباشرة مع كل انواع اجهزة الفيديو : من كاميرا الى جهاز تسجيل وجهاز قراءة « الفيديو ديسك » بل وجهاز التلفزيون ايضا . وذلك

دون الحاجة الى استخدام جهاز وسيط لاحداث التزامن المطلوب بين الكمبيوتر من جهة وأجهزة الفيديو المختلفة من جهة أخرى .

ويتيح الميكرو كمبيوتر الجديد اضافة نصوص أو رسوم أو مناظر الى الصورة التي تظهر على شاشة التلفزيون ، كما يمكنه تحريك هذه الرسومات والمناظر ، وبالتالي



يمكن تسجيل تراكب نوعي الصور مباشرة على شريط فيديو .

ويتمتع الجهاز الجديد بامكانيات واسعة فيالضرب على لوحة مفاتيح متصلة به تضم ٧٢ مفتاحا تظهر نصوص ورسوم ملونة ، كما يمكنه استخدام لوحة رسم الكترونية صغيرة . ويتم تسجيل المعطيات المبرمجة اللازمة لتشغيل الميكرو كمبيوتر على اسطوانات صغيرة .

ويزن هذا الجهاز ٩،٣ كيلو جرام ، ولا يزيد حجمه عن ٣٩ / ١٥ / ٤٨ سم ، وهو مزود بذاكرة مركزية ، بالاضافة الى ذاكرة خاصة بشاشة الفيديو ، ويستطيع الاحتفاظ في ذاكرته بأربع صفحات فيديو وبستة عشر لونا ، كما يمكنه تكوين صور أبيض واسود فقط .

مكتب المستقبل

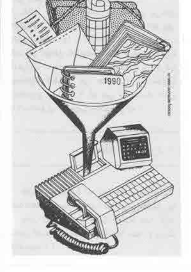
آخر الابتكارات التكنولوجية في عالم الادارة جهاز بريطاني يقوم بالعديد من العمليات اليومية التي يحتاجها أي مدير .

يضم الجهاز شاشة وهاتفا ولوحة مفاتيح بالاضافة الى ذاكرة يمكنها تخزين المواعيد وجداول الأعمال لمدة عشرين عاما قادمة .

ويستطيع هذا الجهاز الاتصال بعدد كبير من بنوك المعلومات واجراء كل أنواع الحسابات ، يقوم بوظيفة جهاز التلكس والبريد الالكتروني ، وتتسع ذاكرة الجهاز لتسجيل دليل كامل لأرقام الهاتف .

ومن ناحية أخرى يستطيع المدير استخدامه كمفكرة مكتب لحفظ البيانات الهامة الكترونيا ، بحيث لا يمكن لأي شخص آخر الاطلاع على هذه المعلومات لأنها لن تظهر على الشاشة الا بعد كتابة كلمة سر لا يعرفها سوى صاحب المفكرة فقط .

وتعتبر هذه المحطة الادارية المتكاملة والمتعددة الوظائف أحد اشكال مكتب المستقبل . ولكن بالرغم من كل هذه الامكانيات التي يتيحها التقدم العلمي تظل مسئولية التفكير واتخاذ القرار مسئولية الانسان وحده .





الثورة العرابية المفترى عليها

● عرابي لم يكن صهيونيًا والسلطان العثماني أخطأ في تكفيره

بقلم : سعد التائه

لم يعد التاريخ مجموعة قصص وحكايات يرويها الرواة .. او مجموعة احداث ينسج منهاالمؤرخون مؤلفاتهم ومذكراتهم ..

فمنذ منتصف القرن التاسع عشر ، اصبح التاريخ علما له مقوماته واسســـه العلميـــة .. لا يختلف في ذلك المثاليون او الماديون ، وان اختلفت اتجاهتهم ..

فلم يعد نابليون او هانيبال او الاسكندر الاكبر .. ومن قبلهم ملوك الفراعنة هم صانعو التاريخ بل اصبحوا رمزا لمراحل مرت بها شعوبهم . ولم يعد دور الفرد سوى عامل مؤثر في دفع عجلة التاريخ او تاخرها ..

فاذا اردنا ان نقيم مرحلة من مراحل التاريخ ، لابد ان نضعها في اطار الظروف التي احاطت بها .. الداخلية والخارجيـــة .. فما هو الواقع التاريخي الذي واجهته الثورة العرابية .. هل هو مقاومة السلطان في تركيا ومحاولة الخروج عن طاعته ؟ ام مقاومة الخديوي ومباذله ؟ ام هي مرحلـــة الغزو الاستعماري للشعوب والتصدي له ؟ .

المرحلة .. والثورة ؟ !

هل كانت الثورة العرابية مجرد (هوجة) ، كما اطلقوا عليها ، تحقيرا لها ، واستخفافا بها .. وهل كانت مجرد (فتنة خبيثة) كما اراد بعض الدعاة ان يصفوها تنصلا منها او تبرئة لانفسهم ؟ ! .

فلننظر الى المرحلة التي قامت فيها الثورة العرابية .

اولا : من الناحية القومية .

في عام ١٨٣٠ بدا الغزو الفرنسي للجزائر ، اي قبل قيام الثورة العرابية بخمسين عاما .

وتحولت تونس الى مستعمرة فرنسية عام ١٨٨١ اي قبل غزو الانجليز لمصر بعام واحد .

وكانت انجلترا تعربد في الخليج العربي تفرض الاتاوات وتحصل على الامتيازات ..

ففي اواخر القرن السابع عشر دخلت الامبراطورية العثمانية ازمتها الخطيرة التى تردد صداها في كافة الميـادين الاجتماعية والاقتصادية .. ودب الفساد في جهاز الدولة ، وفقد الجيش المتفسخ قدرته القتالية وانحطت الثقافة .. وكان ذلك نتيجة تفسخ النظام الاقطاعي العثمانى وتخلفه عن التطور الصناعى الذي بدا يسود اوربـــا في ذلك الوقت ..

واعاق النظام الاقطاعي العثماني تطور البلاد العربية .. فظلت متخلفة بدرجة كبيرة بالنسبة الى الاقطار الأوروبية .. ولم يكن يهم الباب العالي او سلطان تركيا سوى السيادة الاسمية وجباية الاموال من الشعب العربي الذي قام بانتفاضات متتالية في العراق واليمن وسوريا ولبنان ..

وفي عام ١٨٣٨ ، وقعت المعاهدة التركية الانجليزية التي كانت في صالح انجلترا تماما . وادت هذه المعاهدة الى تحويل الامبراطورية العثمانية الى مصدر تابع للدول الاجنبية يزودها بالمواد الأولية ويجعلها سوقا مفتوحا امام البضائع الاجنبية .

ورفض محمد علي باشا رفضا تاما ان تشمل هذه المعاهدة الاراضي التي كان يسيطر عليها ، وعملت انجلترا على اقصاء محمد علي كما عارضت بحزم الاعتراف باستقلال مصر ، ودخلت كضامن لحماية كامل الأراضي العثمانية مع دول معاهدة (هنكار اسكلسي) التي وقعتها كل من النمسا وبروسيا وروسيا وتعهدت الدول الاربع بارسال قواتها لمعاونة السلطان ضد محمد علي باشا ! !

ومن الافتراء ان نقول ان الدول الاوروبية بتوقيعها معاهدة (هنكار اسكلسي) ، كانت تعمل على الحفاظ على الرابطة الاسلامية او الجامعة الاسلامية ..

فلم يكن دفاع الشعوب العربية عن استقلالها ، وحقها في الحياة امام النهب التركي والغزو المالي الأوروبي ، هو الذي ادى الى فرط عقد الرابطة الاسلامية ، بل ان انهيار الدولة العثمانية وتخلفها هو الذي ادى الى ذلك المصير ..

ومن المؤلم حقا ، ان نذكر انه في اللحظة التي كانت فيها الشعوب العربية والاسلامية تجند شبابها للحرب مع الثورة العرابية ، كما حدث في سوريا والعراق ، وفي اللحظة التي كانت المآذن تدعو الى انتصار عرابي ورفاقه ، كما حدث في تونس .. وفي اللحظة الحرجة التي كان عرابي يقاتل العدو الزاحف ضد المصريين والمسلمين ، اصدر السلطان منشورا يعلن فيه بان عرابي وقد خرج على خليفة المسلمين يعد كافرا ومن يقاتل معه لا يعد



احمد عرابي

شهيدا ولا يدخل الجنة .. وقام الانجليز والخونة بتوزيع هذا المنشور بين المقاتلين من جنود عرابي !

وهكذا انحاز خليفة المسلمين ، سلطان تركيا الى جانب الانجليز صراحة ودون مواربة ، فلم يكن يعنيه سوى الحفاظ على كرسي الخلافة وما يجنيه من اموال المسلمين الفقراء .

فلم تكن تحذيرات السلطان عبدالحميد من القضاء على الرابطة الاسلامية سوى صرخات غريق ظل يسبح ضد التيار بمركب ذات اشرعة ومجاديف في عصر البخار ، وعصر الثورة الصناعية .

ولم تكن الدول العربية ، وسعيها الى الاستقلال هو السبب في هدم الدولة العثمانية بل العكس صحيح . فان انهيار الدولة العثمانية وتحللها مع تمسكها بالسيادة على الشعب العربي هو الذي اضاع الوطن العربي وسهل وجود اسرائيل .

ثانيا : الموقف الدولي والثورة العرابيــة .

هل كان غزو انجلترا لمصر وفلسطين نهاية الحروب الصليبية ؟ وهل غزو فرنسا لسوريا انتصار على صلاح الدين ؟

وهل كانت الثورة العرابية هي المقدمة لهذه المأساة ؟

إنّ هذه الكلمات واشباهها ترددت في اعقاب حرب ١٩٦٧ .. ومن المؤلم حقا ان نصدقها وان نرددها ..

إنها تعني ببساطة اهدار كل انتصاراتنا ضد الغزو الصليبي الذي انتهى باسر ملك فرنسا لويس التاسع في مدينة المنصورة شمال دلتا النيل . إنها تعني ببساطة اننا ما زلنا نعيش بعقول القرن التاسع عشر وليس بفكر القرن العشرين ويعني ببساطة اننا نخلط بين مرحلة الغزو التجاري باسم الدين ، وبين مرحلة الاستعمار والامبريالية الحالية .

ان التغني بامجاد انتصارات الحرب الصليبية يريد ان يخفي عن اعيننا حقيقة التخلف الذي نعيشه والذي جعل الوطن العربي يدخل ضمن نطاق (البلاد النامية) ، وهو اسم مخفف للتخلف والتبعية .

ان العالم اليوم دخـل مرحلــة (الطاقــة النووية) و (الالكترونات) ومع ذلك يريدون لنا ان نعيش مرحلــة السيف والغاب .. انهــا لمأســاة !

ففي المرحلة الممتدة من عام ١٨٧٦ الى عام ١٩١٤ إزدادت الممتلكات الاستعمارية لست دول كبرى (بريطانيا ، روسيا ، فرنسا ، المانيا ، امريكا ، اليابان) من ٤٠ الى ٥٠ مليون كيلومتر مربع .

واجمع مفكرو السياسة والاقتصاد والاجتماع ، اننا فى الوطن العربي نعيش مرحلة السيطرة الامبريالية ، اي تخطينا مرحلة الاستعمار ودخلنا مرحلة اسوأ بكثير .. اصبحنا نلمس الاستعمار ونحسه بكل حواسنا ولكننا لا نراه باعيننا او افكارنا .. فقلما نرى جنديا اجنبيا في بلادنا بملابسه العسكرية ، ولكننا نرى اموالنا تسرق وقوتنا ينهب ودماءنا تستنزف ..

انها مرحلة (الامبريالية) .. وليست الامبريالية (كلام فارغ) كما قال احد رؤساء العرب السابقين .. بل واقع يتحدث عنه العالم كله ، شرقه وغربه ، وما من كتاب اقتصادي صدر في الغرب او الشرق ، إلا وتحدث عن مرحلة الامبريالية والاستعمار الجديد .. وعندما اراد (هيوم) وزير خارجية بريطانيا ان يتجاهل هذا الواقع وقال (انني لا اعرف ما هو الاستعمار الجديد) رد عليه احد الصحفيين البريطانيين قائلا : (اذا كان مستر هيوم لا يعرف ما هو الاستعمار الجديد فاننا نقول له ، انه الغزو الاقتصادي) ..

فهل كانت الثورة العرابية مع الامبريالية ام ضدها ؟ هذا هو السؤال ..

لم تكن المرحلة او العصر يبحث في علاقة العرب بالخليفة القابع في تركيا مخدرا ، بينما العالم يلهث في عصر الصناعة والبخار وعلى ابواب اكتشاف الكهرباء .. بل كانوا يغزون الشعوب في سباق نحو الاسواق .

ثالثا : من الناحية الوطنية .

هناك مثل صيني يقول : (سواء استفززت النمر ام لم تستفزه فسوف يفترسك ..) .

ومصر فعلت ما يمليه واجبها الوطني في مواجهة الغزو الفرنسي عام ١٧٩٩ ، ثم مواجهة الحملة الانجليزية عام ١٨٠٧ . ولم يهدأ الاستعمار بل جاء بعلم التجارة والقروض ، وتسلل الى مصر منذ عصر سعيد وعباس ، ثم بدأ يخطط لدخول جيوشه منذ عصر اسماعيل .

فماذا كان موقف الباب العالي اثناء الغزو ؟ هل ارسل جيوشه دفاعا عن مصر ؟ وهل حاول الحفاظ على الرابطة الاسلامية ؟ وقف الباب العالي متفرجا في الغزوة الاولى والثانية .. اما في الغزوة الثالثة التي هب الشعب المصري يدافع فيها عن ارضه ، فان سلطان تركيا لم يقف متفرجا بل ساند العدو وامده باقسى سلاح عندما اعلن خروج عرابي عن الاسلام !

كان الشعب المصري كله وراء عرابي ، بل كانت الشعوب العربية من مشرقها الى مغربها تدعو له بالانتصار .. وكانت هذه بداية الرابطة الاسلامية الحقيقية التي تبنيها الشعوب ، وليس السلطان او الباب العالي ..

وكان الشعب المصري كبقية الشعوب العربية يقاسي تحت حكم الهيمنة التركية . ويصف مستر ستيوارت الانجليزي الحال كما رآه :

(يجمع مئات الرجال من زراعاتهم في احرج الفصول ويساقون كالماشية ويعاملون بقسوة بالعصا والكرباج للعمل لدى الباشوات والرؤساء الرسميين او للدولة ، وفي الآخر كان طعامهم يقوم على فتات الخبز ومن الجوع وسوء المعاملة كان المساكين يتساقطون كالذباب) .

ويصف (ديزي) كشاهد عيان حفر احد الطرق :

(كانت الحرارة مرتفعة والعمال في غاية

الارهاق والسوط فوق الظهور للاستمرار في العمل دون توقف . هذا الفصل من تلك المسرحية لم يكن يسر اي متفرج عليه ، ولكنه يبين كيف تحكم مصر . هذا في الوقت الذي **رأينا فيه العظمة والاسراف للخديوي وتلك الموائد الممدودة والتي لا تنقطع ابدا ..)** .

فلم يكن مقبولا او مستساغا ان يقبل الشعب المصري الى الابد هذا الظلم باسم المحافظة على الرابطة الاسلامية . فالاسلام لا يعرف الظلم او الطغيان ..

لماذا الثورة ؟

كان استسلام محمد على عام ١٨٤٠ بداية **عهد تغلغل الراسمالي الأجنبي** ، وفاتحة **الاستعباد الاستعماري للبلدان العربية وعهد تبعيتها الاقتصادية** ، وبداية تحول البلدان العربية الى مستعمرات .

فقد فتحت المعاهدة التجارية المعقودة بين انجلترا وتركيا عام ١٨٣٨ الباب امام بريطانيا والدول الراسمالية الاخرى لدخول بضائعها الى اسواق الأقطار العربية وازداد استيراد البضائع الانجليزية وحدها الى الامبراطورية العثمانية بين عامي ١٨٤٠ ـ ١٨٥٠ حوالي ثلاث مرات ..

وقامت الانتفاضات في سوريا ولبنان والعراق ضد الحكم التركي . وظهر بطرس البستاني ، وناصيف اليازجي وغيرهم من المثقفين العرب يدعون الى التسامح الديني والى توحيد جميع العرب في سوريا بغض النظر عن معتقداتهم الدينية ونسبهم القبلي . وغنى ابراهيم اليازجي في اشعاره بامجاد العرب وندد بالتعصب ودعا الى اسقاط النير التركي .. وكانت هذه دعوة **حماسية للقيام بانتفاضة** باسم الوطن العربي . ومن اقوال ابراهيم اليازجي : اهداف سامية لايمكن ادراكها الا بحد السيف . فان شئت بلوغها فتش عن السيف .

.. حتى في تركيا نفسها . عندما حاولت تجديد شباب الامبراطورية الهرمة . ظهرت الحركة الدستورية التركية ، وتمّ وضع الدستور العثماني عام ١٨٧٦ . فلم تكن دعوى المشروطية (البرلمان) مصطنعة يراد بها تفكيك وهدم رابطة الشعوب العثمانية . بل كانت تاكيدا لدعوى الشورى ، ومراقبة الشعوب لحكامها ، والحفاظ على اموالها من نهب الحكام او السلب الأجنبي .

وفي ذلك الوقت تحولت مصر بعد استسلام محمد على من دولة شرقية كبرى تنشر وحدة العرب والمسلمين ، الى تابع للباب العالي الهرم . ومن خلال المعاهدة التركية .. الانجليزية المشئومة ، شغلت انجلترا عام ١٨٤٥ **المرتبة الاولى في تجارة مصر الخارجية ،** ولم يستطع لاتراك الذين كانوا عاجزين عن ادارة شئونهم الخاصة ممارسة سلطتهم على مصر . واستخدمت وصايتهم ستارا لتغطية هيمنة القناصل الاجانب ..

وبدات القروض تنهال على مصر . كما انهالت على تونس من قبل .. وكانت الجزائر بقيادة عبدالقادر تخوض حربها التحريرية ضد القوات الفرنسية . كما واجهت مراكش قوات الغزو الفرنسي . وكان اغتصاب الأراضي الجزائرية سمة الاستعمار الفرنسي ، كما كان الاستعباد المالي لتونس مقدمة للسيطرة الاجنبية . وحل الافلاس المالي لحكومة تونس قبل ٨ سنوات من افلاس تركيا مصر ..

حدث ذلك في ظل الرابطة الاسلامية التي كان يسيطر عليها السلطان في تركيا ، وحواشيه في الدول العربية .

ففي عام ١٨٥٦ منح السلطان التركي عبدالحميد للراسمال الاجنبي جملة من الحقوق والامتيازات ، واستغل الراسماليون الاجانب هذه الامتيازات فتدفقوا على العالم العربي كالجراد ينهبون بصورة وحشية . فعمت الاقطار العربية مجاعات ، واقتات الناس في تونس الحشائش والجذور وغير ذلك واندلعت انتفاضات في مناطق عديدة ..

.. وماذا في مصر

بدا سعيد باشا حفيد محمد علي سياسة القروض ، والتجا الى رجل العمل الدولي الشرير اوبنهايم لتدبير القروض .. ففي عام ١٨٦٢ ، كان اول قرض لمصر يعقده سعيد باشا بمساعدة اوبنهايم ، وخصم الدائنون من هذا القرض مبلغا لا يستهان به (كفرق بين التسعيرات) ولكنهم الزموا **الحكومة بدفع** فوائد مئوية وتسديد القرض بمبلغه الاسمي .

وفي عام ١٨٦٤ وضع اوبنهايم الترتيبات للحصول على قرض من بنك فروهلنغ وغوش مقداره ـ ٥٧٠٠ الف جنيه استرليني ، ولم يدخل الخزانة المصرية سوى ٤٨٦٠ جنيه استرليني . وكضمان للقرض ، سلم اسماعيل باشا الى الدائنين الدخل الذي تحصل عليه الدولة من ثلاثة اقاليم في الدلتا .

وتتالت القروض من البنوك الاجنبية ، وتمكنت البنوك الانجليزية خلال احد عشر عاما من ربط مصر بدين بلغت قيمته ٦٨ مليون جنيه استرليني دفع منه نقدا ٤٦ مليون جنيه فقط واغتصب اكثر من ٢٠ مليون جنيه كفرق بين التسعيرات ونفقات العمولة .

وبلغت كمية دين مصر الخارجي قبيل عام ١٨٧٦ اربعة وتسعين مليون جنيه استرليني .. فكيف انفقت هذه الملايين ؟ .. وكيف نشا في ذمة مصر دين البنوك الاوروبية ومقداره حوالي مائة مليون جنيه ؟

* انفق في الواقع على مد السكك الحديدية ٧٥ مليون فرنك ، بينما دفعت الخزينة المصرية الى المقاولين الاجانب ٣٣٥ مليون فرنك .
* دفعت مصر اكثر من ٢٫٥ مليون جنيه استرليني في تشييد ميناء الاسكندرية بينما كانت الكلفة الحقيقية ١٫٥ مليون جنيه فقط ..
* المصاريف التي انفقها الخديو اسماعيل على قصوره ، والرشاوي التي دفعت الى السلطان التركي والمقربين له .

اما المائة مليون جنيه التي تمثل ديون البنوك الاجنبية ، فنشأت اساسا بالصورة التالية :

(١) قدرت الحكومة المصرية ١٦ مليون جنيه على تشييد قناة السويس .

(٢) تسرب الى جيوب اصحاب البنوك ك(فرق بين التسعيرات) ونفقات العمولة وغيرها ٢٢ مليون جنيه استرليني ، ومع ذلك أدرج هذا المبلغ الذي لم تستلمه مصر في الواقع مع المبالغ الاسمية للدين .

(٣) دفعت مصر حتى عام ١٨٧٦ لا اقل من ٥٠ مليون جنيه كفوائد على القروض الأصلية وسندات الدين .

(٤) لم ينفق في الحقيقة سوى مبلغ يتراوح بين ٥ الى ٦ ملايين جنيه على منشآت تعود بالفائدة على مصر .

ولم يكن امام خديوى مصر ، الا ان يشتد في جمع الضرائب من المصريين لسداد الفوائد واقساط الديون لملء جيوب الأجانب (لمزيد من النهب الاستعماري .. إقرا : (بنوك وباشوات) ، و (النهب الاستعماري لمصر) ، و (المسالة المصرية) لروزنشتين .

الاستعمار .. ومصر

كتب المؤرخ الانجليزي يانج ، في السبعينيات من القرن التاسع عشر :

(انتقل المركز الرئيسي لمصالح الاستعمار البريطاني في الشرق الادنى من القسطنطينية الى القاهرة وذلك بعد افتتاح قناة السويس) واسترسل يانج :

(واذا كان الانجليز قد قاوموا سابقا النفوذ الفرنسي في القاهرة ، كما حالوا دون سيطرة الروس على القسطنطينية ، فاصبحت الآن قضية بسط هيمنتهم على القاهرة وابعاد الدول الاخرى عنها قضية حيوية بالنسبة لهم ، وما هذه الا وجهة نظر امبريالية جديدة) .

وقبيل ذلك الوقت احتكر الانجليز تصدير القطن من مصر ، كما سيطروا على استيراداتها ، وحازوا على جملة من الامتيازات ، وقام رجال البنوك في لندن من امثال فروهلنج وغوش وبيشفايم واوبنهايم بتوريط مصر في جملة من الديون . واخيرا ابتاع دزرائيلي في عام ١٨٧٥ اسهم قناة السويس .

وادى هذا كله الى افلاس مصر ، وجاءت الى مصر لجنة مالية انجلو – فرنسية .. وتم تعيين مراقب عام انجليزي على ايرادات الحكومة المصرية ، ومراقب عام فرنسي على المصروفات . وتشكلت لجنة اوروبية للتحقيق وفحص شئون مصر المالية .

ثم اضطر الخديوي الى الموافقة على مطالب اللجنة ، وشكلت وزارة اوروبية ، شغل فيها احد الانجليز منصب وزير المالية ، وشغل أحد الفرنسيين منصب وزير الاشغال العامة ، كما شغل ممثلا النمسا وايطاليا منصبي المراقب العام ومساعد وزير المالية واصبح الاوروبيون يسيطرون على شئون مصر المالية وعلى ادارة البلاد ايضا .

ولم يكن كل هذا دافعا لثورة عرابي و بل ان المعاناة التي لقيها شعب مصر ، كانت ابشع من ان تحتمل .

كان الاستعمار يبحث عن استنزاف المال باية وسيلة ومن اي مصدر وانهـــالوا على الفلاحين بالكرباج ليحصلوا الضرائب . واضطر الفلاحون الى الالتجاء للمرابين الاجانب .. وبلغت فوائد الربا الفاحش ٤٠٪ واجتاحتهم المجاعة .. وهذا وصفها :

(.. فكان من وراء ذلك ، أن انتابت اهل الصعيد سنة شديدة لم يسمع بمثلها من اجيال مضت ، فكنت ترى الاطفال والنساء هائمين على وجوههم ، متنقلين من قرية الى قرية يستجدون الاكف ليدرءوا غائلة الجوع ، وكثيرا ما حملتهم شدة المسغبة على أن يقتاتوا بفضلات الطرق وقمامة الشوارع ..)

وكتب مراسل صحيفة (التايمز) في ذلك الوقت :

(مما يلهو به الزوار المتهكمون ان يحصوا الموظفين الأوروبين القاعدين الذين يتقاضون الاف الجنيهات ، في الوقت الذي لا يستطيع فيه مئات من خدم الحكومة الوطنيين الحصول على مرتبات قليلة متاخرة من العام الماضي ..)

ثم كتب :



محمد علي — السلطان عبد الحميد — سعيد باشا

(إن وجود جيش جرار من موظفي الحكومة مشرف على الموت جوعا لفضيحة احق بالاعتبار من نفس تاجيل الدين العمومي تاجيــــلا مؤقتا ..)

.. ثم قررت (الوزارة الأوروبية) تسريح ٢٥٠٠ ضابط من الجيش وتخفيض رواتب الباقين بمقدار النصف وعدم دفع ما عليها من مرتبات سابقة ..

ولم يكن بد من الثورة .

٩ سبتمبر

كان السلطان في تركيا يشهد كل هذه المآسي في انحاء الامبراطورية العثمانية ، ووقف عاجزا .. كان اصدق وصف لتركيا في تلك الحقبة نعتها (بالرجل المريض) ، ولم ينقــذ الرجل المريض من الموت ادعاؤها الخلافة .. او البكاء على الرابطة الاسلامية .. ولم يكن امام الشعب المصري الا ان يتحرك ، كما تحركت الجزائر والمغرب وتونس ..

وفي ٩ سبتمبر عام ١٨٨١ – والذي سيظل خالدا في تاريخ مصر – احتشدت قوى الجيش باسلحتهـــا وذخيرتهـــا في ميدان عابدين وتجمـــع وراء صفـــوف الجيش الاف من اهل القاهرة ، هاتفـــة (عرابي .. عرابي ..) كانت مظاهرة وطنية وشعبية رائعة .

وادرك الاجانب مغزى الثورة .. وكتب مراسل التايمس :

(لا فائدة من اخفاء الحقيقة ، وهي ان هذه الحركة لا ترمي إلا الى هدم تدخل اوروبا في الادارة المصرية ، وانه اذا كانت هذه النية منذ اسبوعين مقصورة على فئة قليلة من الضباط ، فانها ليست الآن كذلك .. ان سكان الاسكندرية والقاهرة المدنيين على الأقل ، وهم الذين كانوا على وجه العموم لا يهتمون بما حدث ، اصبحوا يؤيدون عمل الجيش كل التأييد ، وهم الآن اجرأ على الجـــهر باهدافهم ..)

فهل هناك شك في ان الثورة العرابية ، كانت ثورة وطنية بكل المقاييس العلمية والعاطفية والانسانية ؟

.. وبعد

اما دور الصهيونية في زمن الثورة العرابية فلم يكن يختلف عن دور الاستعمار الاوروبي .. لقد سارا معا في خطين متوازيين لهدف واحد هو استعمار الوطن العربي ..

فهل يمكن ان تكون الثورة القائمة ضد الاستعمار من صنع ايد صهيونية ام انها حملة التشكيك في تاريخ الشعب العربي .. ومحاولة طمس انجازات وقدرات الشعب خلال ثوراته..

سعد التائه

بحر الكرمل

البحر السابع عشر

شاعر عربي معاصر يضيف بحراً جديداً إلى بحور الشعر العربي

بقلم : محمد خلاد

بحور الخليل ، كما هو معروف ، خمسة عشر وزنا وهى :

الطويل ، البسيط ، المديد ، الوافر ، الكامل ، الهزج ، الرجز ، الرمل ، السريع ، المنسرح ، الخفيف ، المقتضب ، المضارع ، المجتث ، والمتقارب . وزاد الاخفش عليها بحرا آخر سماه المتدارك .

وقد استنبط يوسف الخطيب الشاعر الفلسطيني المبدع اثناء رحلته الشعرية وزنا أطلق عليه « الكرمل » فبينما كان الخطيب يجدف فى بحور الخليل ويسبح فى بحر الرجز قاطعا هذا البحر الى بحرى الرمل والهزج ، ساقته الامواج حتى بلغ مجمع هذه الابحر الثلاثة واكتشف هناك بحاسته الشاعرية الدقيقة انها تصب فى نقطة واحدة لتصنع بحرا لم يتيسر للخليل بن احمد الفراهيدى مؤسس هذا العلم الوصول اليه ، كما لم يتيسر ذلك لغيره من بعده من الشعراء او غيرهم .

فى عام ١٩٦٤ ، وصل شاعرنا « يوسف الخطيب » الى هذا البحر وقد هدته الى ذلك حاسته الشاعرية المرهفة واذنه المتميزة بدقة السمع لأوزان الشعر وموسيقاه ، وقد عرف الخطيب بحسه وذوقه ومن ممارسته الكبيرة لهذا الفن أن هذا البحر الذى ظل طوال هذه الفترة فى منأى عن الشعراء وابداعاتهم يصلح لان يكون وزنا جديدا يضاف الى أوزان الخليل ، يستطيع الشعراء أن يبحروا فيه بخيالاتهم ويستمتعوا بأنغامه العذبة وموسيقاه الجميلة ، لاسيما وأن هذا البحر يمتح من أبحر ثلاثة فهو يجمع بين الهزج المعروف بتقارب أجزائه وسرعة حركته والرجز الموصوف بقلة حروفه وتقارب أجزائه أيضا وسهولة النظم عليه والرمل ذلك الوزن الرائق الهادى .

ابتداع أوزان جديدة بعد الخليل :

لم تتوقف حركة استنباط أوزان الشعر منذ عهد الخليل ، فهاهو الاخفش يستدرك على الخليل بن أحمد الفراهيدى الذى وضع أصول خمسة عشر وزنا فأحدث كما ذكرنا وزنا جديدا لم يفطن اليه صاحب الأعاريض ، ثم جاء العباسيون بعد ذلك فاستنبطوا من عكس بحور الشعر ستة أوزان جديدة هى :

١ ــ المستطيل وهو مقلوب الطويل واجزاؤه (مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن) مرتين كقول القائل :

لقد هاج اشتياقى غرير الطرف أحور
أدير الصدغ منه على مسك وعنبر

٢ ــ الممتد وهو مقلوب المديد وبناؤه (فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن) مرتين ومثاله هذا البيت :

صاد قلبى غزال أحور ذو دلال
كلما زدت حبا زاد منى نفورا

٣ ــ المتوافر وهو محروف الرمل وتفعيلاته (فاعلاتن فاعلاتن فاعلن) مرتين ومثاله :

ما أصابك يافؤادى بعدهم   أين صدك يافؤادى مافعل

٤ ــ المتئد ، وهو مقلوب المجتث واجزاؤه (فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن) مرتين وقد جاء على هذا الوزن :

كن لاخلاق التصابى مستمريا   ولأحوال الشباب مستحليا

٥ ــ المنسرد ، وهو مقلوب المضارع ويأتى على وزن (مفاعيلن مفاعيلن فاعلاتن) مرتين ومما ورد على هذا الوزن :

على العقل فَعُول فى كل شأن   ودان كل من شئت أن تدانى

٦ ــ المطرد ، وهو صورة أخرى من مقلوب المضارع وتفعيلاته (فاعلاتن مفاعيلن مفاعيلن) مرتين ومثال ذلك هذا البيت :

ما على مستهام ريع بالصد   فاشتكى ثم ابكانى من الوجد

كما أن ابا العتاهية أيضا استحدث هو الآخر وزنا جديدا لم يجر على اوزان الخليل ، وقد استنبطه عندما كان يجلس عند قصار ، فسمع صوت المدق وحاكاه بهذا الوزن ، وعندما انتقد بأن هذا اللون خارج عن علم العروض قال : أنا أكبر من العروض !


يوسف الخطيب

ومن قوله على هذا الوزن :

للمنون دائرات يدرن صرفها فتراها تنتقينا واحدا فواحدا

الا أن النقاد يسقطون هذه الأوزان التى جاءت بعد الستة عشر بحرا ويعتبرون كل ما ابتدع على نمط هذه الأوزان المحدثة ليس بشعر عربى .

ولسنا هنا بصدد الحديث عن أوزان الشعر بشكل مفصل وانما اردت ان المح بمناسبة الحديث عن بحر « الكرمل » الى المحاولات التى جاءت منذ الاخفش حتى الآن للاستدراك على الخليل بن أحمد ، وليس غريبا اذن على شاعر مثل يوسف الخطيب وهو صاحب ذوق وفن ان يكشف بحرا جديدا فى عالم العروض ليفتح افاقا جديدة أمام الشعراء يسافرون فيه بأحلامهم ويستمتعون بانغامه المتدفقة الجياشة .

لماذا سمى الخطيب بحره بالكرمل :

يقول على الجندى فى كتابه « الشعراء وانشاء الشعر » ان تسمية البحور لم تأت اعتباطا وانما هى مشتقة من صفاتها .

فعن الاخفش قال : سألت الخليل ، بعد عمل كتاب العروض ، لم سميت الطويل طويلا :

قال : لانه طال بتمام أجرائه

قلت : فالبسيط؟ قال : لانه انبسط عن مدى الطويل ، وجاء وسطه « فعلن » وآخره « فعلن » .

قلت : فالمديد؟ قال : لتمدد سباعية حول خماسته .

قلت : فالوافر؟ قال : لوفور أجرائه وتدا بوتد .

قلت : فالكامل؟ قال : لان فيه ثلاثين حركة ، لم تجتمع فى غيره من الشعر .

قلت : فالرجز؟ قال : لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة عند القيام .

قلت : فالرمل؟ قال : لانه شبه برمل الحصير : لضم بعضه الى بعض .

قلت : فالسريع؟ قال : لانه يسرع على اللسان .

قلت : فالمنسرح؟ قال : لانسراحه وسهولته .

قلت : فالخفيف؟ قال : لانه أخف السباعيات .

قلت : فالمقتضب؟ قال : لانه اقتضب من السريع .

قلت : فالمضارع؟ قال : لانه ضارع المقتضب .

قلت : فالمجتث؟ قال : لانه اجتث : أى قطع من طويل دائرته .

قلت : فالمتقارب؟ قال : لتقارب اجزائه لانها خماسية كلها يشبه بعضها بعضا .

اما المتدارك فقد سمى كذلك لان صاحبه الاخفش تدارك به على الخليل الواضع للخمسة عشر بحرا وللمتدارك اسماء أخرى ، فبعضهم يسميه « الشقيق » لانه أخو المتقارب كما يسمى المحدث والمخترع والنسق والخبب وركض الخيل ولكل من هذه الاسماء علة فى تسميتها ، ليس هنا مجال بحثها .

واما بحر الكرمل فقد سماه صاحبه بهذا الاسم كما يقول « حبا ووفاء لوطن الاحلام » .

تفعيلات بحر الكرمل :

أشرنا آنفا الى أن هذا البحر مزيج من بحور ثلاثة هى بحر الرجز والرمل والهزج ، وسأترك لواضع هذا الوزن الحديث عنه بشكل مفصل كما جاء فى ديوانه (واحة الجحيم) يقول يوسف الخطيب :

« الرجز » ووحدته مستفعلن والرمل « ووحدته فاعلاتن » و

« الهزج » ووحدته مفاعيلن ثلاثة ابحر فى عروض الخليل ، يمكن للشاعر الحديث أن يصهرها فى عمل واحد .

قصيدة موصولة التفعيلات نجريها على (الرجز) لابد أن تكون جارية فى الوقت نفسه ، على كل من « الرجز » « والهزج » الا اننا فى المقطع الشعرى الواحد ، نختار أول تفعيلة من البحر الذى نريد وآخر تفعيلة من البحر الذى نريد ، بينما يظل المقطع من داخله ، جياشا بتساوق نغمى من ثلاثة اوزان .

ان تكرارنا لاية واحدة من هذه التفعيلات الثلاث ، بكافة جوازاتها ، هو فى الوقت نفسه تكرار للتفعيلتين الأخريين بكافة جوازاتهما أيضا مع نقصان مرة واحدة فى العدد ... فلو نحن كررنا « مستفعلن » مثلا خمس مرات ، فمعنى ذلك أيضا أن

« من أمثلة هذا الوزن فقد ورد فى ديوان واحة الجحيم » للشاعر يوسف الخطيب قصيدة بعنوان « العرس المساوى » جاء فيها :

لن أشرب الليله ياصحبى
خذوا كأسى لجوف يبسته الريح
ردونى الى نفسى ..
دعوا قلبى على صهوة أحزانه
لن أغنى ... أنا فى أغنية عليا
اســـاقيهـــم
امـس ضـوْهـــم
افنـــــى ....
خذوا دنى ، اشربوا عنى
دعوا قلبى على الشاطئ
يحصى الموج فى أوبة سكانه

الى آخر هذه القصيدة التى جاءت متدفقة النغم متمازجة التفاعيل تنساب بموسيقى رقيقة هادئة حينا راقصة احينا آخر فى رقة وعذوبة وجمال .

دعوة للكتاب

وبعد فان هذا الوزن المحدث الجديد لجدير بالبحث والدرس ولايجوز أن يظل مطويا يلفه الاهمال والنسيان وهذه دعوة للكتاب ولا سيما المتخصصون منهم فى علم العروض ، لكى ينفضوا عنه غبار السنين ، ويبعثوا روحه للملأ وليقولوا كلمتهم فى هذا الوزن المنسى القديم الجديد ، الذى وضعه صاحبه منذ عشرين عاما وسماه الكرمل حبا ووفاء لوطنه فلسطين ولم تمخر عبابه سفن الشعراء منذ اكتشافه وحتى الآن إذ انه مازال بالنسبة لهم مجهولا لم يعرفوا عن بنائه اى شئ الا من تيسر لهم الاطلاع على ديوان هذا الشاعر « واحة الجحيم »

لقد مضى على وضع هذا الوزن ، كما ذكرنا ، قرابة عشرين عاما ، لم يفطن اليه خلال هذه الفترة غير القصيرة احد من الكتاب ولم يتناولوه او يتعرضوا له بالبحث او حتى الاشارة اليه من قريب او بعيد .

فلماذا يصر الكتاب فى الوطن العربى (بأن يعمدوا الى اصطناع الاقنعة حول ادمغتهم) فلا يرون من جراء ذلك مايجد على الساحة من جديد خصوصا ماله علاقة أو صلة بتراثنا الخالد ؟ فطالما تحدث الكتاب عن اوزان مستحدثة ، خلاف ماذكرنا ، وقد قتلت بحثا ودرسا وجاؤا من بعد ذلك ليعيدوا على اسماعنا كلاما مكرورا مثل اوزان : السلسلة والدوبيت والقوما والموشح والزجل والكان كان والمواليا .

فلماذا يحجم الكتاب عن الخوض فى هذا البحر ولا يدلون برأيهم حول وزنه ليعرفوا به الشعراء وعن مدى علاقته او صلته بأوزان الخليل ، وهل يصبح عدد بحور الشعراء بعد اسقاط الاوزان المولدة التى أشرنا اليها سبعة عشر بحرا ام ماذا ؟

نرجو أن يسمعنا الكتاب ويستجيبوا الى ندائنا ليتناولوا هذا الوزن بالدراسة ، كما نرجو ان يسمعنا الشعراء لكى يعبروا هذا البحر باشعارهم وليبعثوا فيه الحياة ، حتى لايظل منسيا .

محمد خلاد
عمان : الأردن

هرمون النمو

لماذا تمنح الطبيعة بعض الناس أكثر مما يحتاجون وتحرم الآخرين ؟!

بقلم : الدكتور سامي عزيز

* ما الذى يحدد طولنا ؟ * وما الذى يجعل من هذا قزماً وذاك عملاقاً ؟ * هل الطول نعمة أم نقمة ؟ * ما هى الغدد الصماء ؟ وما هى الهرمونات ؟ * هرمون النمو ... ماهى أهميته ؟ * هل كل قصير ماكر وكل طويل ... ؟ * هل يمكن أن يجد القزم علاجاً ؟ * ما هو علاج « العملقة » أو الطول الزائد ! * هل هناك طرق جديدة في العلاج !

غدد الجسم :

يمكن تقسيم غدد الجسم الى ثلاثة انواع :

اولا : غدد ذات قنوات ... يمر افرازها للخارج خلال قنوات صغيرة ويمكن تقسيمها الى :

- غدد تساعد في عملية الهضم مثل : الغدد اللعابية والمعدية والمعوية .
- غدد تقوم بعمليات الاخراج مثل : الغدد العرقية .. الغدد الدهنية والغدد الدمعية .

ثانيا : غدد بدون قناة (صماء) يمر افرازها خلال تيار الدم .. ويسمى افرازها بالهرمون . وكلمة هرمون مشتقة من الكلمة الاغريقية هرماو وتعني الاثارة او التنشيط . والهرمونات عبارة عن مواد كيميائية يتم انتاجها في خلايا معينة في الجسم وتمر في الدورة الدموية الى اعضاء الجسم وخلاياه لتحدث تغيرات وظيفية معينة .

واهم الغدد الصماء في الجسم :

١ ــ الهيبوثلاموس .
٢ ــ الغدة النخامية .
٣ ــ الغدة الدرقية .
٤ ــ الغدة جار الدرقية .
٥ ــ الغدة فوق الكلوية .
٦ ــ جزر لانجرهانز في البنكرياس .
٧ ــ المناسل (الخصيتان عند الذكر والمبيضان عند الانثى) .
٨ ــ الغدة الصعترية Thymus
٩ ــ الجسم الصنوبري

ثالثا : الغدد المشتركة التي تفرز افرازا خارجيا وداخليا معا مثل البنكرياس الذي يساهم بافرازه الخارجي في عمليات الهضم وداخليا بافراز الانسلوين عن طريق خلايا بيتا الموجودة في جزر لانجرهانز .

الغدة النخامية :

الغدة النخامية واحدة من اهم الغدد الصماء الموجودة في الجسم . وتوجد الغدة النخامية داخل تجويف عظمي في قاع الجمجمة يعرف بالسرج التركي . وهي تتدلى من قاعدة المخ الذي ترتبط به بواسطة قمع المخ .. وفي الشخص البالغ يصل طولها من ١٠ ــ ١٣ ملليمترا وارتفاعها من ٨ ــ ١٠ ملليمترا ووزنها حوالي ٥٠٠ ملليجرام . وهي اكبر حجما في النساء ، ويزيد حجمها مع تكرار الحمل والولادة . وتتكون الغدة النخامية من فص امامي وفص خلفي وبينهما فص متوسط . والفص الامامي اكبر حجما من الفص الخلفي ويمكن ان نقول ان الفص الامامي يمثل ٧٥٪ من وزن الغدة النخامية كلها وبالنسبة للفص المتوسط فلا يعرف له افراز ويرجح انه يعمل مع الفص الامامي ويقال انه مسئول عن افراز هرمون (المنشط للملانين) الذي يسبب لون البشرة السمراء .

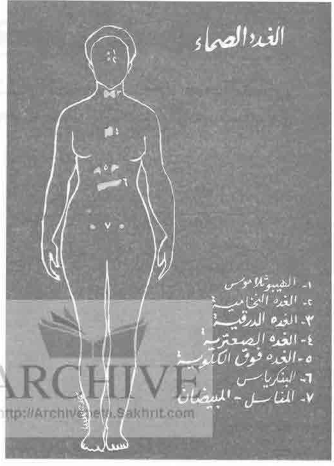
ويفرز الفص الامامي خمسة انواع من الهرمونات . وهرمونات هذا الفص تحت التاثير المباشر للعوامل الهيبوثلاموسية . وتستطيع هذه العوامل ان تصل الى الفص الامامي خلال الدورة البابية التي تربط بين هذا الفص ، والهيبوثلاموس . وهذه الهرمونات هي :

١ ــ هرمون النمو
٢ ــ هرمونات الجونادوتروفين (المنشط للغدد الجنسية)
٣ ــ هرمون البرولكتين (المنشط لافراز اللبن)
٤ ــ هرمون الثيوتروفين (المنشط للغدة الدرقية)
٥ ــ هرمون الكورتيكوتروبين الذي يؤثر على قشرة الغدة فوق الكلوية لضبط حجمها وافرازها الهرموني .

اما الفص الخلفي للغدة النخامية فيقوم بافراز :

١ ــ هرمون الاوكسيتوسين (المعجل بالولادة ويساعد على ادرار اللبن عند الرضاعة)

٢ ــ هرمون المانع لادرار البول والذي يعمل على تركيز البول بانقاص كميته وذلك بان يؤثر في الكلية وينشط عملية اعادة امتصاص الماء . وللتاكيد على اهمية هذا الهرمون نقول انه في حالة عدم افراز هذا الهرمون في الجسم فان كمية البول قد تصل الى ١٠ ــ ١٥ لترا في اليوم بدلا من لتر ونصف .. واقرب مثال لمثل هذه الحالات مرض السكر الكاذب الناشيء من بعض التغيرات الباثولوجية في الهيبوثلاموس مما يؤدي الى نقص افراز الهرمون المانع لادرار البول وبالتالي زيادة كمية البول بطريقة تؤدي الى مضاعفات خطيرة .



رسم توضيحي لمناطق الغدد الصماء في الجسم

وتشير الابحاث الحديثة الى ان هرمونات الفص الخلفي تفرز بواسطة الهيبوثلاموس وتختزن في الغدة النخامية لحين توزيعها عند الحاجة ، ويهمنا أن نذكر أن هناك ما يقرب من ١٠٠,٠٠٠ ليفة عصبية تصل بين الفص الخلفي والهيبوثلاموس وتلعب هذه الالياف العصبية دورا هاماً في انتقال حبيبات الهرمون من الهيبوثلاموس الى الفص الخلفي للغدة النخامية .

هرمون النمو :

اثبتت التجارب التي اجريت على حيوانات المعمل التي لم يكتمل نموها بعد ان إزالة الفص الامامي للغدة النخامية يؤدي الى تأخر نمو هذه الحيوانات فيتوقف نمو العظام ولا تنبت الاسنان فوق الفكوك . كما ان حقن حيوانات المعمل بخلاصة الغدة النخامية يؤدي الى زيادة معدل نموها . وتوصلت الابحاث فيما بعد الى ان احد هرمونات الفص الامامي وليس كلها والذي اطلق عليه فيما بعد هرمون النمو يختص بهذه الوظيفة .

ويتكون هرمون النمو من ١٩٠ حمض اميني ووزنه الجزيئي ٤٠٠٠ ورغم اهميته كما سنرى فيما بعد ، إلا ان كمية هرمون النمو الموجودة في الغدة النخامية كلها لا تتعدى ٥ ملليجرامات كما ان الكمية التي تفرز في الجسم لا تتجاوز نصف ملليجرام يوميا . ويتحكم في افراز هرمون النمو عاملان من العوامل الهيبوثلاموسية احدهما ينشط افراز هرمون النمو والآخر يعاكس ويثبط من افرازه . وقد اثبتت التجارب الحديثة وجود عامل وسيط يعرف باسم (السوماتوميدين) وهو يصنع في الكبد والكليتين والعضلات .

والسوماتوميدين عبارة عن مادة بيبتدية وزنها الجزيئي ٨٠٠٠ ولا يستطيع هرمون النمو أن يؤدي وظائفه في غياب مادة السوماتوميدين وهذا يفسر لنا الحالات التي يظهر فيها اختلال عمليات النمو والمعروفة بالقزمية ، وذلك على الرغم من وجود مستوى عال من هرمون النمو فالسبب بالطبع يعزي الى عدم تكوين العامل الوسيط (السوماتوميدين) . وتجدر الاشارة هنا الى العوامل التي تؤثر على افراز هرمون النمو :

اولا : العوامل التي تساعد على زيادة افراز هرمون النمو وهي :

١ — النقص الحاد الشديد في مستوى الجلوكوز في الدم .
٢ — الصيام
٣ — التعرض للضغوط النفسية والعضوية
٤ — العمليات الجراحية .
٥ — ارتفاع درجة حرارة الجسم .

ثانيا : العوامل التي تثبط من افراز هرمون النمو :

١ — ارتفاع نسبة السكر في الدم (مرض البول السكري) لذلك فالاطفال المصابون بمرض البول السكري منذ الصغر يميلون الى النحافة وصغر الحجم .
٢ — نقص افراز الغدة الدرقية .
٣ — مركبات عقار الكورتيزون . لذلك لا ينصح باعطاء مركبات الكورتيزون لفترة طويلة قبل سن البلوغ .

التاثير الفسيولوجي لهرمـــون النمـــو :

١ — هرمون النمو له تاثير بناء على المواد البروتينيه (يساعد على تصنيع المواد البروتينية في الجسم) ويتم ذلك في وجود العامل الوسيط السوماتوميدين الذي يصنع في الكبد .. وهذا يفسر لنا ضعف وانعدام المواد البروتينية في حالات التليف الكبدي .

٢ — يعمل على ايقاف تكوين المواد الدهنية في الجسم ويساعد على تكسيرها : لذلك تقل مستودعات الدهون في الجسم وترتفع كمية الاحماض الدهنية في الدم . وتترسب الدهون في الكبد كما تستخدم المواد الدهنية في تزويد الجسم بالطاقة اللازمة له مما ينجم عنه تكوين اجسام كيتونية في الدم .

٣ — يزيد افراز هرمون النمو في حالات الجوع الشديد (الانقطاع عن تناول الطعام لفترات طويلة) اي ان انخفاض مستوى الجلوكوز في الدم يؤدي الى زيادة افراز هرمون النمو . ذلك لأن هرمون النمو يعمل على رفع نسبة السكر في الدم بعدة وسائل .

٤ ـ يؤدي افراز هرمون النمو الى زيادة مستوى عنـاصر الصـوديوم والبوتاسيوم والماغنسيوم والكالسيوم والفسفور في الدم .

٥ ـ يساعد هرمون النمو على زيادة افراز هرمون (الالدوستيرون) الذي يفرز من قشرة الغدة فوق الكلوية .

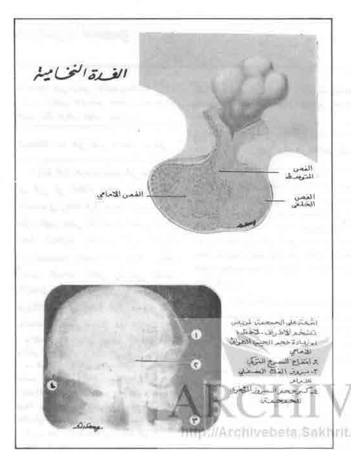
لذلك فاضطراب افراز هرمون النمو يمكن ان ينتج عنه :

اولا : في حالة نقص افراز هرمون النمو قبل البلوغ وغالبا ما يصاحب ذلك نقص افراز هرمون الجونادوترفيـن يحدث مرض القزمية Dwarfism المرتبط بالغدة النخامية .

ثانيا : في حالة زيادة افراز هرمون النمو عن المعدل الطبيعي يمكن ان يحدث :

١ ـ في حالة زيادته قبل سن البلوغ ينتج مرض العملقـة ، وحيث يصـل طول القامـة الى مترين ونصف .

٢ ـ في حالة زيادته بعد سن البلوغ ، اي بعد توقف نمو العظام ووصول الشخص الى قامته الطبيعية الا انه تحت التاثير الزائد لهذا الهرمون تستمر الاجزاء الغضروفية في النمو مما يؤدي الى الحالـة المعروفـة بتضخم الاطراف



الى اعلى ترى الغدة النخامية وهي من أهم الغدد الصماء في الجسم .. والى أسفل رسم توضيحي لأشعة على جمجمة مريض تضخم الأطراف

القزمية ... لها اكثر من سبب:

سبق ان ذكرنا ان نقص افراز هرمون النمو قبل سن البلوغ يؤدي الى القزمية ، اما الاسباب التي قد تؤدي الى نقص افراز هرمون النمو من الغدة النخامية فكثيرة ومتعددة نذكر منها :

١ ـ ضمور الفص الامـامي للغـدة النخامية (غالبا ما يكون غير معروف السبب في معظم الحالات)

٢ ـ جلطة او سدة في الاوعية الدموية المغذية لهذا الفص

٣ ـ التهاب المخ او الالتهاب السحائي .

٤ ـ الاورام المختلفة التي قد تضغط على الفص الامامي وتؤدي الى ضموره . ويتميز القزم في حالة ما اذا كان السبب نقص افراز هرمون النمو بعدة مميزات تساعدنا نحن الاطباء في التشخيص وفي تفرقة الحالة من الاسباب الاخرى التي قد تؤدي الى القزمية فالقزم هنا غالبا ما يكون ذكرا .. متناسق الاعضاء ، دقيق الملامح .. نشيط ذكي .. متفوق في دراسته .. ولكنه يبدو كطفل وحتى تصرفاته تشير الى ذلك ، وقد يصاب باحد الامراض النفسية كما لا تنضج قواه الجنسية بل تظل مشابهة لحالتها عند الأطفال والصغار .

اما الاسباب الاخرى التي تؤدي الى القزمية فهي :

١ ـ الاسباب الوراثية .. والاستعداد العائلي

٢ ـ بعض الامراض المزمنة مثل سوء الامتصاص والتمثيل الغذائي ومرض البول السكري ، وامراض الكبد المزمنة .. وامراض الكلية المزمنة وامراض القلب منذ الصغر .

٣ ـ القصاع Cretinism اي نقص افراز الغدة الدرقية في المواليد .

ويتميز مرض القصاع ببطء النمو واضطرابه ، وجفاف الجلد ، وبرودة الجسم مع جحوظ اللسان المستمر من الفم ، وقصر القامة مع عدم التناسب بين اعضاء الجسم ، على خلاف القزم الذي يعاني قصوراً في افراز هرمون النمو والذي يحتفظ جسمه بقدر اكبر من التناسب ، وتجدر الاشارة هنا الى ان مريض القصاع يعاني بالاضافة الى ذلك من توقف النمو العقلي كما انه جامد العاطفة .. متخلف في دراسته اذ لا تتجاوز نسبة الذكاء عنده ٥٠ اي دون الابله .. لذلك لا نستطيع ان نقول ان كل قصير ماكر ..

٤ ـ بعض امراض الجهاز العظمي الوراثية .. واهمهـا اكوندروبلاسيـا

.. ويوجد بالمتحف المصري بالقـاهرة تمثال مصنوع من الحجر الجيري تم اكتشافه في سقارة وهو من التماثيل المتميزة التي تهم علماء الاثار وعلماء الطب معا .. التمثال للقزم سنب وزوجته سنتيوتس واولادهم .. ويقرر علماء الاثار ان التمثال يرجع الى الاسرة الخامسة (حوالي سنة ٢٥٦٠ قبل الميلاد) .. وبالنظر الى الصورة المنشورة للتمثال يظهر بوضوح القزم سنب .. كما يمكن التبين الى عدم التناسق الملحوظ بين طول جذعه بالمقارنة الى اطرافه القصيرة ، كما ان راسه كبير نسبياً بالمقارنة الى باقي جسمه . وتنطبق هذه

الملاحظات على مرض الاكوندروبلاسيا .

٥ ـ بعض الامراض الخاصة باضطراب الايض مثل مرض جوشر Gaucher

العملقة ... هل هي دائما مرض ؟

زيادة افراز هرمون النمو قبل سن البلوغ أى قبل نمو العظام يؤدى الى العملقة . والسبب في زيادة افراز هرمون النمو غالباً ما يكون ظهور بعض الاورام في الفص الامامى للغدة النخامية وخاصة الورم المعروف باسم Eosinophilic Adenoma وربما يكون السبب تضخم الفص الامامى نفسه . والابحاث الحديثة تشير الى دور احد العوامل الهيوثلاموسية في زيادة افراز هرمون النمو وبالتحديد العامل المنشط لهذا الهرمون .

والفحص الاكلينكي لمريض **العملقة** يتميز بالآتي :

١ ـ في البداية تظهر زيادة كبيرة في انسجة الجسم المختلفة فالطول يتعدى ٨٠ بوصة والاطراف أكبر من اللازم واليدين والقدمين طويلة وعريضة وهناك نمو مبكر للاعضاء التناسلية وزيادة في الرغبة الجنسية .

٢ ـ هذا بالاضافة الى زيادة غير طبيعية في الشهية وزيادة في حجم العضلات وقوتها .

٣ ـ إلا ان الامور لا تستمر طويلا فسرعان ما تنقلب وتظهر اعراض الشيخوخة المبكرة وتضعف العضلات وتخور قواها .. وتقل الرغبة الجنسية وتظهر العنة عند الرجال وتختفي الدورة الشهرية عند النساء .

٤ ـ يصـــاب ٣٠ ٪ منهم بمرض البول السكري .

والعملقة لها اسباب اخرى كثيرة غير زيادة افراز هرمون النمو اهمها :

١ ـ الاسباب الوراثية والعوامل العائلية : فبعض العائلات تمتاز بطول قامة افرادها وتنفرد بهذه الصفة .

٢ ـ العامل العنصري العرقي ، حيث ان بعض الشعوب تمتاز بهذه الصفة دون سواها

٣ ـ العملقة الدماغية وهي مرض غير منتشر ونادر الحدوث .

٤ ـ تاخر البلوغ وضعف المناسل : المعروف ان الهرمونات التي تفرزها المناسل (الخصيتان عند الذكر والمبيضان عند الانثى) توقف استمرار نمو العظام الطولي لذلك لا تحدث اي زيادة في الطول بعد البلوغ . اما في حالة تاخر سن البلوغ ، وضعف المناسل فتستمر العظام في الزيادة وتظهر اعراض العملقة على المريض .

مرض تضخم الاطراف :

في هذا المرض تحدث زيادة افراز هرمون النمو بعد سن البلوغ اي بعد توقف نمو العظام ووصول الشخص الى قامته الطبيعية الا انه تحت التاثير الزائد لهذا الهرمون تستمر الاجزاء الغضروفية في النمو .. وسبب المرض غالبا ما يكون ظهور ورم في الفص الامامي للغدة النخامية بعد سن البلوغ .. واهم ما يميز هذا المرض :

١ ـ انحناء العظام المستمر وزيادة سمكها وخاصة عند المناطق البارزة كما تبدو اليدان والقدمان في غاية من الضخامة (زيادة في السمك اكثر منها في الطول) ويظهر بروز الفك السفلي للامام واسنان هذا الفك تبدو متباعدة عن بعضها .

٢ ـ يظهر تضخم بجلد الوجه والشفتين واللسان كما يتضخم الانف وصوان الاذن .

٣ ـ انحنـــاء الظهر للامـــام وآلام العظام

٤ ـ تضخم الاعضاء الداخلية مثل الكبد والقلب والامعاء

٥ ـ العقم

٦ ـ يظهر مرض البول السكري في ٤٠ من الحالات .

٧ ـ ربما يظهر مرض السكر الكاذب .

٨ ـ هذا بالاضافة الى ضعف العضلات والعنة عند الرجال واختفاء الدورة الشهرية عند النساء ولو ان هذه الاعراض تظهر فيما بعد .

٩ ـ الاشعة العادية للجمجمة قد تظهر انتفاخ السرج التركي الذي يبدو كالبالون (نتيجةالورم الموجود في الفص الامامي للغدة النخامية) مع زيادة حجم الجيب الهوائي الامامي والخلايا الهوائية الحلمية وكبر حجم البروز المؤخري للجمجمة وبروز الفك السفلي للامام .

١٠ ـ ارتفاع نسبة هرمون النمو في الدم ولا يستجيب هذا الارتفاع الى اي مثبط وارتفاع نسبة الفوسفور في الدم وربما ارتفاع نسبة السكر في الدم .

الجديد في العلاج :

اولا : بالنسبة للقزمية التي ترجع الى نقص افراز هرمون النمو :

قبل البدء في العلاج يجب التاكد اولا من سبب القزمية وذلك باستبعاد الاسباب الاخرى . كما يجب قياس مستوى هرمون النمو في الدم .. ثم قياسه بعد اعطاء المريض احد الاحماض الامينية التي تزيد من مستوى هرمون النمو كالارجنين . هذا بالاضافة الى قياس طول المريض ومقارنته بمعدلات الطول الطبيعية لمثل سنه (لهذا جداول خاصة) ثم مقارنة النتائج بمعدلات الطول لوالدي المريض لاستبعاد الاسباب الوراثية والعائلية هذا بالاضافة الى تقدير مدى النمو الذي وصلت اليه عظامه (السن العظمى) وذلك باخذ اشعة عادية لنهايات العظام الطويلة . ويجب تكرار قياس طول المريض كل ثلاثة اشهر ولمدة سنة وتسجيل النتائج في جداول خاصة بذلك ثم تمثيلها على رسم بياني للحصول على منحنى يمثل العلاقة بين التغير في الطول مع الزمن ويؤخذ في الاعتبار سن المريض ومدى النمو الذي وصلت اليه عظامه (السن العظمى)

ويمكن من البداية استبعاد علاج بعض الحالات مثل :

١ ـ الحالات التي لا يتغير معدل الطول فيها .

٢ ـ الحالات المصحوبة بورم لا يمكن استئصاله بالجراحة .

٣ ـ الحالات التي يصاحبها التخلف العقلي الشديد او العمى .

٤ ـ عندما يكون السن العظمى ١٤ (عند المريض الذكر) أو ١٥ (عند المريضة الانثى) ويتم العلاج باعطاء هرمون النمو الآدمي بالحقن في العضل بجرعة مقدارها ٣٠ ـ ٤٥ ملليجرام /شهر .

ويلاحظ ان الانواع التي انتجت مؤخرا من النمو الادمي اصبحت بفضل الابحاث المتعددة على درجة كبيرة من النقاوة ولا يتبع حقنها تكون اجسام مضادة . ويمكن التاكد من فعالية العلاج بملاحظة التغير الذي يطرا في طول المريض مع العلاج ولقد اشارت الابحاث الحديثة الى ان حدوث زيادة في الطول بمعدل ٣ سم /سنة للمريض الذي يبلغ عمره ما بين ٣ الى ١٠ سنوات يؤكد نجاح العلاج وضرورة الاستمرار فيه . ويستمر العلاج عادة حتى يصل المريض سن البلوغ .

او بالكوبالت المشع او التيرتيم المشع فينفصل في الحالات المصحوبة بارتفاع شديد في هرمون النمو مع عدم امكانية تثبيطه بالاضافة الى تضخم ، الهيكل العظمي والانسجة والاعضاء وارتفاع مستوى الفوسفور في الدم ، والعلاج بالاشعاع غير مستحب وقد تحدث منه مضاعفات اهمها تضخم الورم نفسه وبالتالي زيادة حدة المرض عن ذي قبل .

ويتبع العلاج الناجح التغيرات الآتية :

١ ـ التحسن في الشكل والمظهر العام للمريض .
٢ ـ تحسن مجال الرؤية عند المريض .
٣ ـ انخفاض مستوى السكر في الدم الى المعدل الطبيعي .
٤ ـ عودة مستوى هرمون النمو الى المعدل الطبيعي .

واما الجديد في علاج هذه الحالات فهو العلاج بالعقاقير .. واهمهـــا عقـــار (البروموكربتين) الذي امكن تخليقه في السنوات الاخيرة ، ويعمل هذا العقار على خفض مستوى هرمون النمو في الدم وذلك بتنبيه مستقبلات الدوبامين ويتبع ذلك تحسن ملحوظ في حالة المريض إلا ان استخدام هذا العقار لا يصلح لجميع الحالات كما ان له بعض الاعراض الجانبية مثل :

١ ـ الشعور بالغثيان والقيء .
٢ ـ الاكتئاب .
٣ ـ الشعور بالهبوط عند الوقوف .
٤ ـ انقباض شرايين الاصابع مما يؤدي الى الشعور بالألم .

ولا شك اننا مازلنا نحتاج الى سبل احسن لعلاج مثل هذه الحالات ، والى مجموعة جديدة من العقاقير ذات الفعالية والتي في نفس الوقت يصاحبها اقل قدر من المضاعفات الجانبية .

والبحث العلمي لم يتوقف .. والانسان في سعيه نحو الجديد لن يقف عند هذا الحد .. فالابحاث تجري .. والجهود تبذل .. والسعي نحو الافضل هو الامل الذي نتطلع اليه .. لاجل حياة بدون مرض .. ولاجل ابتسامة مشرقة ينعم بها كل مريض .

سامي عزيز

مرض تضخم الأطراف





مريض تضخم الاطراف : لاحظ التغيرات التي حدثت في شكل الوجه مع حدوث المرض خلال ثلاثين عاما .

يظهر الفرق الكبير بين شكل يد مريض تضخم الاطراف بالمقارنة ليد شخص طبيعي .

هكذا تغير وجه مريض تضخم الأطراف خلال ثلاثين عاما . وفي اللقطة الأخرى نرى الفرق بين أطرافه المتضخمة واطراف يد شخص طبيعي

ثانيا : بالنسبة لحالات العملقة او حالات تضخم الاطراف .

التشخيص المبكر في الغالب افضل النتائج ، لذلك يفضل ان يبدأ العلاج في مراحل المرض الأولى وقبل حدوث اي مضاعفات مثل :

١ ـ ضمور العصب البصري .
٢ ـ مرض البول السكري .
٣ ـ مرض السكر الكاذب .
٤ ـ تضخم الورم وامتداده الى مناطق المخ المجاورة .

والعلاج التقليدي لحالات العملقة او تضخم الاطراف يكون اما بالجراحة بغرض استئصال الورم او العلاج بالاشعاع .

ويفضل العلاج الجراحي في حالة :

١ ـ فشل الاستجابة للعلاج بالاشعاع
٢ ـ الشعور بالصداع المستمر
٣ ـ ظهور ضمور بالعصب البصري .

وامكن بعد التطور الكبير في الجراحة امكانية ازالة أورام الفص الامامي للغدة النخامية من خلال فتحة صغيرة للغاية يصنعها الجراح في العظم الوتدي للجمجمة .

اما العلاج بالاشعاع مثل اشعة اكس



بقلم: يوسف أحمد

لوحة زيتية من وحي حديقة حيوان الدوحة (١٩٨٤)

وراء القضبان .. من أهم لوحات الفنان (١٩٨٤)

بعثة السلام (١٩٨٣)



ايقاع مثلثي ــ اكريلك ــ (١٩٨١)

عدو السلام (١٩٨٣)

يعتبر الفنان د. محمود البسيوني صاحب الفضل الاول فى تخريج الدفعات العديدة في مجـال التربية الفنية والمنتشرة في جميع أنحاء الوطن العربي الكبير مشرقه إلى مغربه ، ولا تخلو اية مكتبة فنية من مؤلفاته التي تزيد على الثلاثين مؤلف في مجال التربية الفنية وتاريخ الفن وفلسفته ، وهي مجالات طالما اشتكت ارفف المكتبات العربية من نقصها نظراً لصعوبة البحث فيها وندرة المتخصصين في مجالاتها .

وتاتي هذه الموهبة في مجال التاليف الفني معطاءة بنفس القدر في مجال الفنون التشكيلية لتحدث تغيراً في مفهوم قديم طالما رسخ في اذهان خريجي كليات الفنون الجميلة وخريجي كلية التربية الفنية ، وهو أن الفنان المتخرج في مجال التربية الفنية يعتبر مدرساً تربوياً فقط ، ناسين ان الاحساس الفني والموهبة الجيدة لا حدود لها في اي مكان .

ويؤكد الدكتور البسيوني هذا القول كفنان ممارس ومرب جليل ومؤلف غزير ، وتتضح هذه الميزات الفنية والتربوية كلها في أعماله التي عرضها مؤخراً بمدينة الدوحة ضمن إطار الموسم الفني للجمعية القطرية للفنون التشكيلية ، فلقد ضم المعرض خمسة وخمسين لوحة فنية منتجة في حقبة عشر سنوات ، امضى الفنان نصفها في مكة المكرمة ، والنصف الاخر في مدينة الدوحة ، واللوحات تعكس انفعالات

الأسطورة والوطن
في لوحات محمود بسيوني

الفنان بالبيئة الخليجية ، وبالأحداث الجارية في الوقت الحاضر وباعادة انعاشه لمجموعة من الرموز التي ظهرت في التصوير الاسلامي في عصور مختلفة، وإلباسها ثوبا جديدا يتلاءم مع موضوعات اسطورية مستوحاة من قضايا العصر .

فلوحة السلام تجمع حمامتين تحيطان بالصورة وهما رمزان للسلام ، وهناك ديك يرمز لليقظة ، وسمكة ترمز للخير ، وحصان ذو وجه إنساني يطير باجنحة لينشر السلام ، بينما تظهر سلحفاة في اسفل الصورة وهي تعطي رمزا للبطء ، وقد اراد الفنان ان يقول من خلال هذا الرمز إن كل الذين يأملون في السلام لابد ان يعلموا ان السير في هذا الاتجاه دائما يكون بطيئا !

هذا هو الجانب الموضوعي في اللوحة ، أما جانبها الفني فتراه في أسلوب الفنان حيث نرى ان الالوان المستخدمة تغلب عليها الألوان الحارة ، وهي ميزة من ميزات اتجاه الفنان ، فنرى الاحمر والاصفر والبرتقالي مستخدمة بطريقة تجعل المساحات والخطوط حادة للغاية .

وهذا الجو اعطى ديناميكية مكملة للالوان الحارة المستخدمة .

وبنظرة تحليلية للعناصر المستخدمة في هذه اللوحة نجد ان معظمها حيوانات اليفة وقريبة من الانسان : الحمام ، الديك ، البطة .. وغيرها .. وهذا يدل على اهتمام الفنان بفن الطفل ومتابعته الدائمة له ، وذلك من واقع تجربته في هذا المجال .

وتاتي معالجة توزيع عناصر اللوحة من منطلق مفهوم تراثي إسلامي لدى الفنان فنجد ان المنظور الدائري يسيطر على اجواء اللوحة ، وانه باستخدامه للحيوان الخرافي بمعالجة حديثة اعطى استخدامات سليمة للماضي عريق اتسم بهذا النوع من التكوين ، ومثال ذلك «ابو الهول» و «الاسد الاشوري ذو الاجنحة» فهنا نجد ان الفنان استطاع ان يهضم تراثه ويجدد مسارا جديدا لاستخدام هذا التراث بموضوع طالما شغل بال المفكرين والفنانين .

وباتي المعرض غنيا بموضوعات اخرى وإن كانت هناك لوحات اتخذت سمات الطليعة بالمعرض ، ومنها لوحة اسماها «وراء القضبان» فهي ترمز لأصناف من البشر رمت بهم الأقدار في السجون ، لكنهم ليسوا من المجرمين ، فمنهم الفدائي والمدافع عن الوطن وايضا المفكر وصاحب الراي ، وهكذا تعلق ايديهم على القضبان وعيونهم قوية متسائلة تبحث عن الخلاص .

وتاتي هنا الالوان الصارخة كما في اللوحة السابقة الذكر ، وجوه حمراء ووجوه صفراء وخضراء لها لمسات قوية ومعبرة ، والتكوين العام لهذه اللوحة اخذ شكل العامودي مع الافقي ليذكرنا بالتكوين الأساسي للشبكة او المصيدة مع اهتمامه بالتعابير المختلفة على الوجوه لاعطائها البعد الدرامي .

وقد جاءت معظم الوجوه مستوحاة من الاقنعة الزنجية ذات الدلالات البصرية القوية .

وفي بقية اللوحات نجد إرهاصات من وحي الحواري والأزقة القديمة التي تتميز بها منطقة الحجاز في المملكة العربية السعودية ، وكذلك هناك مجموعة من اللوحات بالمعرض من خلال دراسته لحيوان «الحمار الوحشي» وإمكاناته العجيبة تشكيليا وبخاصة التناقض بين خطوطه البيضاء والسوداء بصورة تحدث إيقاعات خطية مثيرة ، تمثل نبعا لا ينضب من كثرة ما تعطي من افكار وتنظيمات وقيم جمالية مميزة مدعمة بالفكر الناضج للفن الحديث .

وقد كتب الاستاذ محمد عبد الرحمن الخليفي وكيل وزارة الاعلام اثناء افتتاحه المعرض كلمة قال فيها :

لقد تشرفت برؤية اعمال زميل لنا في الفن التشكيلي ، نعتبره من الاساتذة الأفاضل الذين سيقدمون للفن القطري الكثير من اللمسات الطيبة التي ستثري فننا العربي والاسلامي ، فهو مدرسة تحتذي بها لصقل المواهب القطرية الشابة .

يوسف احمد

الفنان في سطور



- استاذ ورئيس قسم التربية الفنية بجامعة قطر .
- عميد كلية التربية الفنية بالقاهرة سابقا .
- دكتوراه في الفلسفة من جامعة «اوهايو» ١٩٤٩ .
- جائزة الدولة التشجيعية ووسام العلوم والفنون من الدرجة الاولى ١٩٧١ .
- مؤلف لأكثر من ثلاثين كتاب في الفن والتربية الفنية والتربية عامة .

تتلمذ على يديه مئات من اجيال التربية الفنية المنتشرين حاليا في العالم العربي .

- اقام أربعة معارض فردية بالقاهرة واشترك في العديد من المعارض التي طافت بعض العواصم الكبرى شرقا وغربا .
- له مقتنيات في متحف الفن الحديث بالقاهرة ودمشق .



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

الذكر

« يقول الله تعالى في سورة « ص » : « ص . والقرآن ذي الذكر » (أي والقرآن صاحب الشرف والنباهة) » . ويقسم الله جل شأنه بحرف : « الصاد » من حروف الهجاء العربي ــ وكذلك اذ يقسم بأي حرف أو حروف أخرى منه في أي موضع آخر ــ انما ليوضح : أن مدخول القسم وهو هنا : « والقرآن ذي الذكر » : في ظهوره وعدم انكاره ــ الا من متعنت ــ يشبه حرف (الصاد) في وضوح كونه من أحرف الهجاء العربى . اذ ليس هناك عربي ينكر : أن حرف الصاد من هجاء الكلمات العربية بل ومما تتميز به هذه اللغة عن غيرها من اللغات ، الا اذا كان هذا العربي متعنتاً في انكاره .

فوصف القرآن الكريم : بالذكر ــ أي بالشرف والنباهة ــ كأنه أمر مفروغ منه لا يحتاج الى مزيد من البيان . وأخذ القرآن هذا الوصف ، لأنه الكتاب السماوي الوحيد ، والأخير ــ بعد التوراة ــ الذي يجمع بين منهج الحياة كشريعة ، ومنهج السلوك العلمي كهداية : « وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء ، قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس ؟ تجعلونه قراطيس : تبدونها ، وتخفون كثيراً (اي تجعلونه أوراقاً مفرقة واجزاء ينفصل بعضها عن بعض ، فيمكن اظهار البعض واخفاء البعض الآخر منها : للاحتراف والتكسب ، بدل الابقاء عليه كوحدة واحدة : اما ان تظهر فتعرف كلها أو تختفي فتنكر جميعها) وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم (والخطاب موجه لبني اسرائيل) قل : الله ، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون . وهذا كتاب (اي القرآن) أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه (وهو كتاب موسى ، وكتاب عيسى) ولتنذر أم القرى ومن حولها (يقصد مكة وضواحيها) والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به (وهم غير المشركين الوثنيين الماديين) وهم على صلاتهم يحافظون » (الانعام : ٩١ ، ٩٢) ..

في خطاب الله لبني اسرائيل بالرد عليهم في شأن انكارهم نزول القرآن على الرسول عليه السلام لأنه بشر ، يذكر القرآن أن التوراة ــ وهم يعتقدون أنها كتاب الله ــ انزلت على موسى وهو بشر ، كما يبين أن القرآن وهو على غرار التوراة في التفصيل وفي الجمع بين العقيدة والشريعة ، انزل على محمد وهو بشر كذلك ، صلوات الله وسلامه عليه .

« ولوضوح وصف القرآن بالذكر ، جاء : « الذكر » ــ بهذا التعريف وبدون اضافة الى كلمة أخرى ــ تعبيراً عن القرآن نفسه في مواضع عديدة من كتاب الله ، بحيث لا يراد منه الا مايراد من القرآن ذاته يقول الله تعالى :

١ ــ « وأنزلنا اليك الذكر (أي القرآن ككتاب لله) لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » (النحل : ٤٤) .. ويقول :

٢ ــ « انا نحن نزلنا الذكر (أي القرآن) وانا له لحافظون » (الحجرات : ٩) .. ويقول :

٣ ــ « وقالوا (أي مشركو مكة من الوثنيين الماديين) : يا أيها الذي نزل عليه الذكر (أي القرآن) : انك لمجنون » (الحجر : ٦) .. واتهموه عليه الصلاة والسلام بالجنون لأن ما جاء به القرآن يقضي على أساطيرهم ، وعلى استغلالهم واحترافهم بالدين ، وعلى الأرستقراطية الدينية ، والطبقية في الدين : بين عامة الأتباع ، والكهان ، والقوى الخفية التي يدعون لها : استراق السمع من غيب السماء .

وعلى هذا النحو قول لله تعالى : وان يكاد الذين كفروا (وهم المشركون الماديون انفسهم) ليزلقونك بأبصارهم (اي ليمحونك من الوجود غيظاً) لما سمعوا الذكر (أي القرآن)ويقولون : انه لمجنون(القلم : ٥١) .. ويقول :

٤ ــ انما تنذر من اتبع الذكر (أي القرآن) ويخشى الرحمن بالغيب (أي انما تثمر بشارتك وانذارك بالقرآن وبهدايته : ممن يؤمن بالقرآن ويخشى ربه ، وهو لا يدركه بالبصر) (يس : ١١) .. ويقول :

٥ ــ ولقد كتبنا في الزبور (وهو كتاب داود الذي ارسل به) من بعد الذكر (وهو القرآن ــ كتاب محمد عليه الصلاة والسلام ــ) : أن الأرض يرثها عبادي الصالحون (الأنبياء : ١٠٥) أي أن تمكين عباد الله الصالحين من الأرض ، وخلافتهم عليها .. أمر مقضي به من عند الله ، منذ أن أرسل برسالته الى الناس عليها .. حتى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام . فهو مكتوب في القرآن فيما يقول الله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات : ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني ، لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك : فأولئك هم الفاسقون » (النور : ٥٥) وكان مكتوبا كذلك في رسالة داود .

« وهكذا : ترد كلمة : « الذكر » بهذا التعريف في القرآن الكريم : لكتاب الله ، الذي هو هذا القرآن ، في أغلب ما ترد فيه .

فاذا أطلق :الذكر ــ بعد ذلك ــ على تلاوة « الأوراد » أو على « الحضرة » التي فيها هذه الأوراد ويباشرها فريق الزهاد .. فلأن الأصل في الأوراد أن تكون من القرآن ، وآياته .



مثل المنحرف في العلم كمثل المكابر في الظلم!

بقلم : د. عبدالمحسن صالح

في مدينة صغيرة بالقرب من نيواورليانز بالولايات المتحدة الامريكية يعيش الآن دكتور وليام سمرلين حيث يعمل طبيب امراض جلدية في مستشفى صغير لا يليق بمكانته العلمية ، اذ كان قبل عشر سنوات احد العلماء المرموقين في معهد سلون كيترنج لبحوث السرطان ، وهو معهد مشهور في نيويورك يشار اليه بالبنان ، ولكن النجم هوى من عليائه ، ليستقر في هذا المركز المغمور الذي لا يتناسب مع مؤهلاته !

السبب : انه قام بعملية غش وتدليس في مسالة علمية تسببت في تقديمه لمحاكمة سريعة - لم تكن ساحتها القضاء ، بل قام بالمسائلة مجموعة متخصصة من العلماء ، وسرعان ما ثبت انه مذنب ، ولا سبيل للانكار ، اذ كيف ينكر وهو يتلاعب بمسالة تتناول سراً من اسرار الله في خلقه ، او ظاهرة بيولوجية من الظواهر التي يعرفها العلماء حق المعرفة ، او حتى يعرفها رجل الشارع الآن معرفة سطحية .. تلك هي مسالة نقل وزراعة الانسجة والاعضاء من انسان الى انسان !

ولقد جاء الحكم عادلا ، اذ يكفي انهم قد طردوه من معهده المرموق ، وحرموه من الاشتغال بالبحوث العلمية مدى الحياة ، فانزوى بعيداً عن الاضواء ، ولكن بعد ان تسلطت عليه اضواء فضيحة تناولتها اجهزة الاعلام واعتبرتها (ووترجيت) الطبية - تشبيها بفضيحة ووترجيت السياسية ، التي اقيل فيها الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون من رئاسة الولايات المتحدة الامريكية ، والغريب ان الفضيحتين قد حدثتا في نفس العام (اي في عام ١٩٧٤) . وطبيعي ان يهتم العالم بفضائح الرئاسات ، فغطت هذه على تلك !



شكل (١) دكتور ويليام سمرلين في أيامه الخوالي حيث تسلطت عليه الأضواء في بداية حياته ، وهو هنا يعرض تجربته التي إدعى فيها أنه تمكن من التوصل إلى زراعة رقعة من جلد سلالة فئران بيضاء على جلد سلالة فئران داكنه ودون أن يتمكن جهاز المناعة من إبادتها .. لكن ما يعرض هنا خدعة ، لأنه دهن رقعة من جلد الفأر بلون مخالف — كما ترى !



شكل (٢) باحثة تدعى فيرا مورهن تعيد تجارب سمرلين ، لكن لا جديد يفيد البشرية حتى الآن ، فلا زالت مشكلة لفظ الأعضاء الغريبة المزروعة قائمة ، ما لم يضعف الجراحون جهاز المناعة حتى لا يشهر سلاحه

بداية النهاية

لقد بدا سمرلين حياتـــه في عـــام ١٩٧١ كباحث مبتدىء في زراعة الانسجة الجلدية ، اذ كان يقوم بعزلها والاحتفاظ بها في محاليل غذائية خاصة لعدة اسابيع ، يريد بذلك زراعتها على بشرة من تهتكت جلودهم او احترقت ، وطبيعي أن يسبق ذلك تجارب تجرى على الحيوان ، فاختار لها بعض الفئران ، واستمرت بحوثه عاما وبعض عام ، ولكن سريعا ما جذب اليه انظار العلماء ، ثم تسلطت عليه الاضواء ، خاصة عندما نشر بحثا في مجلة علمية طبية (علم المناعة الاكلينيكية وامراض المناعة) .. وطبيعي ان مثل هذه المجلات المتخصصة هي همزة الوصل بين العلماء ذوي الاهتمامات لفرع معين من فروع العلم ، وهي التي توضح لهم كل كشف جديد يبصرهم بما يجري حولهم في معامل العالم قاطبة .

وكان بحث سمرلين واحدا من الاف البحوث التي تنشر كل عام في هذا المجال ، ولكنه كان فريدا في نوعه ، ومثيرا في نتائجه ، لدرجة انه احدث ضجة هائلة بين العلماء والاطباء المهتمين بهذا النوع من البحوث ، ليس ذلك فحسب ، بل ان البحث نفسه يشير الى انتصارات هائلة سوف تتحقق للملايين من المرضى والمعذبين ، فهو يبشر — ببساطـــة شديدة — الى انه بالامكان التغلب على مشكلة المناعة ، وهي المشكلة الاساسية التي تجابه الجراحين عند نقل نسيج او عضو من انسان لزراعته في انسان اخر يحتـــاج اليـــه ، ويعيش به .

وعندما اطلع العلماء على بحث سمرلين ، تشكك فيه معظمهم ، وقليلهم كانوا من المتفائلين ، او على الاقل من ذوي النوايا الطيبة ، اي الذين لا يسيئون الظن في نتائج توصل اليها غيرهم ، فمن المفروض ان يكون العالم صادقا وامينا ، خاصة فيما يتعلق بالاسس والمبادىء التي قامت عليها حياة المخلوقات .. ولقد ذهب هؤلاء المتفائلون الى محاولة تعليل الانتصار الكبير الذي توصل اليه سمرلين في مثل هذا الزمن القصير ، اما المتشككون فقد سلكوا سبيلا اخر ، وسبيلهم التجربة العلمية التي توضح لهم الغث من السمين ، او هي الحد الفاصل بين الحق والباطل ، وعندما اعادوا تجارب سمرلين بنفس الطريقة التي اتبعها ، جاءت النتائج مخيبة للآمال ، وبعدها اشارت اليه اصابع الاتهام ، وكلما مرت الايام ، تاكد العلماء ان صاحبهم قد غوى ، ولابد والحال كذلك من مساءلته ، وتكونت لجنة للتحقيق من علماء لهم طول باع في هذا المجال ، وادين سمرلين ، واعترف بانه قد تحيز لراي كان يعتقد فيه ، وانه قد غش في نتائجه ، وضلل بها مدير

بحوث السرطان الذي يعمل فيه ، المهم انه ادين ، واصبح وصمة عار في جبين العلم ، وحق عليه الطرد بغير رجعة ، كما طرد ابليس من الجنة !

الخدعة هنا لا تجوز

لكن .. لماذا تشكك العلماء في نتائج سمرلين ؟ .. وكيف عرفوا انه كان من المضللين ؟ .. وهل كل خدعة او غش يمكن اكتشافها ؟

الواقع ان احدا لا يستطيع ان يستخلص باطلا من حق ، ولا حقا من باطل ، خاصة مع النظم المذهلة التي قامت عليها حياة المخلوقات وهذا ما يعرفه العلماء ـ قبل غيرهم ـ حق المعرفة ، فكل كائن حي بمثابة كون صغير قائم بذاته ، او قل انه (امبراطورية) خلوية تضم ملايين الملايين من الخلايا (حوالي مائة مليون مليون) .. وكل خلية منها جاءت بسور او غشاء رقيق غاية الرقة ، والسور مزود ببنايات جزيئية دقيقة غاية الدقة ، وهي متراصة بنظام متقن غاية الاتقان ، وبحيث اصبحت الجزيئات بالنسبة لأسوارها ، كالبصمات في أصابعنا ، وكما يعرف كل منا ببصمته ، كذلك تعرف كل خلية من نظام بناء سورها .. الذي يعرف هذا النظام جهاز يعرف باسم المناعة ، وهو بمثابة جهاز المخابرات الحربية الذي يرصد كل دخيل او متسلل في دولة من الدول ، ولكن مخابرات اجسامنا خلايا حربية تعرف بكرات الدم البيضاء (وهذه انواع يتشعب فيها الحديث ويطول ، ولهذا فلن نتعرض لها هنا) .. والغريب ان جهاز المخابرات الخلوي لديه ذاكرة جزيئية على درجة هائلة من اليقظة والكفاءة ، وبحيث يحفظ عن ظهر قلب التكوين الدقيق لسور كل خلية من خلايا الجسم او تلك الامبراطورية الخلوية المفعمة بالأسرار والالغاز ولهذا لا يقربها او يهاجمها ، اللهم الا اذا حدث مكروه غير في بصماتها او تكوينها ، وعندئذ يخشاها ، فيهاجمها ويبيدها ، فربما جاءت منها المصائب الكبرى .

يعني هذا ان لكل منا جهاز مخابرات قائم بذاته ليحرسنا من المندسين الذين يحومون حولنا ليل نهار ، وما المندسون إلا انواع كثيرة من الميكروبات المسببة للاوبئة والامراض ، ولكل ميكروب ـ بطبيعة الحال ـ سور او غلاف او غشاء او جدار مختلف (تعددت الاسماء والتكوين واحد) .. والذي يكتشفه هو جهاز المناعة ، فكانما هو (يقرا) بصمات كيميائية غريبة قد تسللت في امبراطوريته او مملكته الحصينة ، وعندئذ تنطلق في داخل الجسم (صفارات انذار) كيميائية ، ليقابل هذا الهجوم بهجوم مضاد ، وتحدث معركة من معارك الموت والحياة ، وتتحدد نتيجتها حسب ضراوة الميكروب وقوة جهاز المناعة .

لكن ما دخل كل هذا بموضوع خداع سمرلين ، وما علاقته بالانسجة والاعضاء التي قد تعزل من انسان لتزرع في انسان اخر ؟

له دخل .. فخلية من جسمي لا تتوافق مع خلية من جسمك ، ولا تتوافق مع اية خلية من جسم كل فرد من افراد النوع الانساني من يوم ان ظهر البشر على هذا الكوكب الى أن يرث الله الارض بمن عليها .. كذلك لا تتوافق مع اية خلية من اي نوع اخر من انواع الكائنات الحية .. بداية بالفيروسات والميكروبات ، مرورا بخلايا جميع النباتات ، وانتهاء بكل انواع الحيوانات .. وطبيعي ان جهاز المناعة عند الانسان والحيوان قد جاء ليتعامل اساسا مع الميكروبات ، وهو لا شك يعرفها ، لكنه لم يتعامل مع انسجة واعضاء منقولة اليه من جسم اخر إلا في عصرنا الحديث ، حيث بدا العلماء في اقحام اعضاء سليمة بدلا من الاعضاء التالفة ، (وهو ما نعرفه باسم زراعة الاعضاء) .. لكن جهاز المناعة يعرف انها ليست من ذاته ، ولان تركيب بروتينات اسوارها يختلف عن تركيب بروتينات اسواره ، ومن اجل هذا يشتغل عليها جهاز المناعة ليبيدها ، ما لم يتدخل الانسان بعلمه وطبه ، فيؤخر هذه الابادة ولو الى حين .. هذه واحدة ، وما الثانية ؟

الثانية ان سمرلين قد ادعى انه استطاع التغلب على مشكلة المناعة العويصة بزرع الانسجة من مخلوق في مخلوق اخر للنوع نفسه ، بل انه قد ذهب الى ابعد من ذلك وادعى انه قد حقق نجاحا في تخطي الحدود التي تفصل بين السلالات المختلفة للنوع ذاته .. ثم ذهب الى أبعد وابعد فزعم انه تمكن من عزل اجزاء من جلد انسان وخنزير وارنب ، ثم حفظها في محاليل خاصة لفترات مختلفة قد تطول الى ست اسابيع ، ثم زرعها على جلود فئران حية ، فتقبلتها جميعا قبولا حسنا ، وكانما جهاز المناعة عندها قد ذهب في اجازة ، او انه فقد التمييز بين ما هو من ذاته ، وما هو من غير ذاته ، ولو صح ذلك لكان اكبر انتصار تحققه البشرية على الاطلاق .

غصة في حلق العلماء

لقد سيطرت على سمرلين فكرة غريبة ظن انها صحيحة ، وفرض لها فروضا توقع انها ستوصله الى انتصار ضخم يحلم به كل عالم ، ويدخل به التاريخ بجدارة ، ولقد وصل به الأمر الى التحيز الاعمى الذي أوصله الى الغش والخديعة في نتائجه ، ولكن غشه لن يغير سنن الله في خلقه ، وكان من المفروض ان يدرك هذه البديهة البسيطة ، لكنه تمادى الى أبعد مدى ، فلقي الجزاء الرادع .

لقد ظن سمرلين ان عزل الانسجة والاحتفاظ بها في محاليل خاصة قد يؤدي الى محو بصماتها الكيميائية التي تتعرف عليها اجهزة المناعة في المخلوقات ، ولهذا اذا زرعت فيها ، تقبلتها ولم تلفظها ، لانها فقدت هويتها التي تعرف باسم مولدات المضاد Antigens ، وهذه المولدات ـ كما هو واضح من الاسم ـ هي التي تثير جهاز المناعة ، وكانما هي تشير اليه انها غريبة ، فيستعد لها ببروتينات حربية خاصة تعرف باسم الاجسام المضادة ، اي المضادات لمولداتها الكائنة على خلايا كل نسيج او عضو غريب ، وهذه تبطل مفعول تلك (كالصواريخ والصواريخ المضادة في عالمنا ـ مع الفرق طبعا) او تنحشر فيها كما ينحشر المفتاح في قفل ليس له ، وبهذا تسد أبواب الحياة في وجه كل عضو غريب او بمعنى أوضح يلفظه الجسم .

وبدا المتشككون في اعادة حساباتهم ، ومراجعة نظرياتهم ، مستندين في ذلك الى تكرار تجارب سمرلين بحذافيرها ، وهذا رغم ان تكرار تجارب الغير مضيعة للوقت والجهد والمال ، والخير طبعا في اجراء بحوث جديدة ، توصل الى نتائج فريدة ، تقبلها المجلات العلمية للنشر ، اما المعاد فمرفوض ، اللهم الا اذا صحح مسارا علميا انحرف فيه الغير بقصد او بغير قصد .

لكن التكرار هنا له ما يبرره ، خاصة وان المسالة هنا تدخل الى عالم التطبيق الطبي من أوسع الأبواب ، المهم ان الانباء بدات تتوارد من معامل كثيرة منتشرة في اوربا واستراليا وكندا وبعض الولايات الامريكية ، وملخصها ان احدا لم يتوصل الى نتيجة ذات مغزى خاص ، وانهالت الاستفسارات بعد ذلك على معهد سلون كيترنج حيث يعمل سمرلين ، وجميعها يطلب مزيدا من الايضاح او التفصيلات ، وبدات الشكوك تنتشر ، واصابع الاتهام تشير ، واخيرا تشكلت لجنة التحقيق ، وطلب اعضاء اللجنة من سمرلين أن يعرض

عليهم عينات من الانسجة المزروعة في كائن من كائن اخر (كانت سلالات فئران سوداء وبيضاء) ، لكنه تنصل من ذلك ، وادعى انه كان يتخلص منها اولا باول بعد ان يحصل على امصالها .. ولكن احداً لم يقتنع .

واستمر الحصار ، وانهالت الاسئلة ، وبعدها حدث الانهيار ، خاصة بعد ان تقدم احد الفنيين الذي يعمل مع سمرلين وذكر انه راه وهو يقوم باستخدام قلم لباد (فلوماستر) ليدهن به رقعة على جلد فار بني ليكسبها لونا مختلفا ، وكان يحمل هذه الخدعة ليعرضها على مدير المعهد دكتور روبرت جود ، ولقد تحمس المدير لهذه البحوث تحمسا شديداً ، واعتبر سمرلين من عباقرة القرن العشرين .

وكان من جراء ذلك ان حصل المعهد على اعتماد اضافي لمساندة تلك البحوث ، فارتفعت ميزانيته من اربعة ملايين دولار عام ١٩٧٣ الى سبعة ملايين عام ١٩٧٤ .. ورغم مكانة دكتور جود العلمية الممتازة في بحوث المناعة والسرطان ، الا ان لوما وقع عليه من اللجنة العلمية المشكلة ، اذ كان عليه ان يتحقق بنفسه من مثل هذه النتائج البالغة الحساسية قبل نشرها . هذا ومما يذكر في هذا الصدد ان كتابا ظهر بعنوان (الفار المرقع) وفيه يتناول مؤلفه جوزيف هيكسون وقائع هذه الفضيحة التي هزت الاوساط العلمية .. ولا زالت .

حالة (طبخ) علمية غريبة !

ورغم ان الغش في العلم يشكل حالات فردية ، الا ان ذلك يتكرر بين الحين والحين ، وهو يتخذ صوراً شتى ، واقرب فضيحة تم نشرها منذ ثلاث سنوات مضت في مجلة الكشف العلمي ، وتحت عنوان (فضيحة في المعمل) .. وهي تتناول قصة شاب يدعى مارك بريان سبكتور البالغ من العمر ٢٤ عاماً ،

والذي يحضر رسالة لنيل درجة الدكتوراة في كيمياء الاورام السرطانية ونشاتها ، وقد عين في جامعة كورنيل لهذا الغرض ، وفجاة اظهر نبوغا وتفوقا في تبني نظرية جديدة قيل عنها انها من اتقن النظريات المؤدية الى فهم اعمق لنشاة السرطان .. ولقد تقدم سبكتور ببحث

الى المؤتمر السنوي للاورام الفيروسية السرطانية ، وبلغ الاهتمام ببحثه لدرجة ان المؤتمرين قد غيروا في اولوية المتحدثين ، وتقدمهم سبكتور ، واعطي وقتا اطول مما يستحق لكي يعرض بالتفاصيل الخطوات البيوكيميائية (او الكيميائية الحيوية) التي كشف عنها النقاب ، واعتقد انها المفتاح في لغز السرطان .. ويقال ان الشاب قد عرض بحوثه بمقدرة فائقة ، وثقة بالغة ، ولباقة ساحرة بحيث احدث نوعا من الجذب والاثارة والتفاؤل والاعجاب الشديد بعبقرية هذا الشاب الفريد .

ونحن لا نستطيع ان نتعرض هنا لاصول معادلاته ، ولا لتفاصيل تفاعلاته ، ولا لاسرار الخلية التي كتبت فيها مجلدات من فوق مجلدات .. فهذا فوق طاقة قراء هذه المجلة ، لكن يكفي ان نشير الى ان حدوث السرطان يرجع الى خلل في التوازن المذهل الذي تقوم عليه حياة الخلية الحية ، ففي داخلها تتم الاف العمليات المختلفة في سلاسل من التفاعلات المتناسقة ، والتي تحتاج في كشفها الى اذكى العقول ، وادق الاجهزة ، واتقن التحليلات .

وغير ذلك من حيل علمية للكشف عما يجري في عالم تطويه الاسرار والظلمات ، اذ لا احد يستطيع ان يرى رؤية العين ما يجري في هذا الملكوت الدقيق الحجم ، والعظيم الشان ، ومع ذلك فحصيلة معلوماتنا التي حصلنا عليها من الخلية الحية تزيد كل عام بسرعة صاروخية ، نتيجة للتطوير الكبير في اساليب الكشوف العلمية ، وكانما كلما عرفنا اكثر ، تهنا اعظم ، ولا يدرك مغزى ذلك الا كل من عاش هذا الطوفان من الاسرار ، وكانما هو بحر ليس له من قرار !



شكل (٣) الشاب الملفق مارك بريان سبكتور كان مثار اعجاب في البداية ، واحتقار في النهاية عندما ماثبت أنه قد خدع العلماء بتجارب كاذبة ، ونتائج زائفة ، فأوقف وأبعد .

بعض الذين استمعوا الى سبكتور كان لهم بعض التحفظات .. فكانما هذا الشاب الغر اراد ان يوحي اليهم بسحر القائه انه يعرف كل الاسرار ، وانه وضع يده على تفاعل كيميائي واحد من بين الالاف التي تجري في ساحة الخلية ، وانه قد عزل البروتين الذي يؤدي الى احـــداث الخـــلل في التوازن الخــلوي

(الواقع ان هذا البروتين هو خميرة او انزيم من آلاف الانزيمات التي توجه العمليات الكيميائية داخل الخلية) .. ثم راح يؤسس عليه سلسلة من التفاعلات تسري في اربع خطوات ، وكل خطوة منها تتم بخميرة او انزيم .. المهم ان سبكتور ظهر وكانما هو اعلم من كل الحاضرين رغم طول خبرتهم ، وغزارة علمهم ، ومع ذلك فقد كان هناك بعض المتشككين ، وكانما لسان حالهم يقول : احسن الشاب إن صدق !

اختصاراً للموضوع تبين ان سبكتور قد (طبخ) النتائج طبخة ذات نكهة لذيذة ، او ان لها مذاق الحقيقة ، ولكنها كانت ذات عناصر فاسدة نضجت في خياله ، ونبعت من بنات افكاره ، ثم نمقها ونسقها بذكاء ، والقاها على الحاضرين بكفاءة يحسد عليها ، وعندما بد اوا بحوثهم من حيث انتهى سبكتور ، لم يتحقق منها شيء على الاطلاق .. اكثر من ذلك ان احد العلماء الذين كانوا يشتركون مع سبكتور في تجاربه (هو دكتور فولكار فوجت) قد اكتشف وجود مادة اليود المشع في مزرعة الخلايا بدلا من مادة الفوسفور التي تقوم عليها اسس التفاعلات التي اشار اليها سبكتور ، وعندما حاصروه بالاسئلة عن مصدرها ، انكر معرفته باية تفاصيل عنها !

مثل العاب الحواة

لكن اغرب شيء في هذه القضية ان الامور سارت فيها بطريقة ملتوية .. اذ عندما اعيدت التجارب للتحقق من النتائج في نفس المعمل الذي يشتغل فيه سبكتور وبحضور اثنين من المشرفين على بحوثه ، كانت النتائج ايجابية وسليمة وواضحة ، فاذا اجراها الاثنان في غيابه ، وعلى نفس النمط ، وبنفس الخطوات ، جاءت النتائج عكسية ، وفي حضور سبكتور تصبح ايجابية ، وفي غيابه سلبية ! .. وهكذا

مثل المنحرف في العلم كمثل المكابر في الظلام!



شكل (٤) أحد العلماء — دكتور فولكور فوجت — من الذين تشككوا في نتائج سبكتور ، وعندئذ قام بإعادتها في نفس معمله ، ثم اكتشف أن الخلايا ملوثة . والنتائج ملفقة .

تكررت الامور على مدى اسابيع اربعة متتالية ، واتضح ان سبكتور في يده سر اللعبة ، او انه كان يقوم بخدعة ، ولو سارت البحوث على هذه الوتيرة ، لما تقدم العلم ، ولا كانت هناك بحوث .. والا فماذا يعني ظهور نتائج ايجابية اليوم ، ثم ظهور عكسها غداً ؟

ان ذلك اشبه بالذين يدعون امتلاكهم لقوى روحية خارقة يحطمون بها المعادن ، ويحركون الاثقال ، فاذا اتيت لهم بساحر ، وشدد الرقابة عليهم ، تبخرت ادعاءاتهم ، وظهر زيفهم (راجع مقالنا في العدد السابق على صفحات هذه المجلة) .. كذلك كان الحال في فضيحة سبكتور العلمية .. فحضوره يعني ان التجارب تسير على ما يرام ، وفي غيابه تختفي (بركاته)

— ان صح هذا التعبير .. وطبيعي ان العيب ليس في اجراء التجارب ، لأن الطريقة العلمية معروفة ، وسواء تمت في معمل سبكتور او في غيرها من معامل ، فلابد ان تكون النتيجة واحدة ، وهي ان الخطـــا يكمن في العنصر البشري المخـــادع ، وهو ما ثبت على سبكتور ، وادين وحـــكم عليـــه بهجـــر البحـــوث

العلمية ، والتنازل عن رسالة الدكتوراة التي كان ينوي تقديمها بنتائج زائفة ، ولكن الزيف في العلم لا عمر له ، وسرعان ما يلفظ كما يلفظ الجسم عضواً غريبا مزروعا فيه .

لقد كان سبكتور يشتغل على خلايا ملوثة ، وعندما طلبت منه بعض المعامل عينة من خلاياه بغرض اجراء مزيد من البحوث عليها ، قدم لهم نفس الخلايا الملوثة ، فاعطت نتائج مضللة ، ولقد اضطر اربعة علماء — او ربما اكثر — يسحب بحوثهم قبل نشرها في عدد من المجلات العلمية ، عندما علموا ان هناك كثيراً من الشكوك تحوم حول مزارع سبكتور الخلوية ، او حول نتائجه ، ولهذا ابتعدوا عن هذه الفضيحة قبل ان ينزلقوا فيها رغماً عنهم .

ولقد اشتمت اجهزة الاعلام ما يجري وراء الجدران ، فكان ان دست الصحافة بعض محرريها بين العلماء ، وتركزت العيون على سبكتور ، وبدا الصحفيون — على عادتهم — نبش تاريخ سبكتور ، فتبين انه لم يحصل على درجة علمية جامعية ، ولا على الماجستير — كما يدعي ، وطبعا الغيت بحوثه لدرجة الدكتوراه —

كما سبق ان المحنا .. واتضح ايضا انه قام باختلاس مبلغ ٤٨٠٠ دولار نتيجة لعملية تزوير في جدول الرواتب عندما كان يشغل وظيفة كاتب في احدى الشركات ، وقد دافع عن نفسه واعترف انه كان يمر وقتها بظروف مالية صعبة

.. ومن جهة اخرى طالب معهد السرطان القومي برد ٢٧٠ الف دولار كان قد قدمها كمنحة لمواصلة بحوث سبكتور ، كما تعهد احد المشرفين على بحوث سبكتور (ويدعى دكتور ريكر) برد مبلغ ١١٢٩ دولاراً — من جيبه الخاص — كان سبكتور قد حصل عليها كمنحة

من احد المعاهد القومية للسرطان بدون وجه حق ، ثم ان تاريخه يشهد قبل ذلك بقيامه بتلفيق النتائج وطبخها .. مرة وهو في جامعة انديانا ، وقد طلب منه استاذه دكتور روبرت توجاساكي ان يعيد احدى التجارب ليرى كيف حصل على بعض النتائج ، وعندما فشل ، ترك الجامعة .. ونفس القصة حدثت مع دكتور (دوجلاس ونجت) من جامعة سنسناتي .. الخ .

يعني هذا ان سجل سبكتور ليس نظيفاً تماماً ، وقد يمكن ان يستمر كذلك في الحياة العامة ، لكنه لا يستطيع ان يلعب نفس اللعبة ، ولا ان يتمادى في خداعه وتضليله وانحرافه .

خاصة في مناخ كل ما فيه منضبط ، وسر الانضباط ان العلم او العلماء يتعاملون مع نظم من الخلق موزونة ومضبوطة .. ولاشك ان كل صغيرة وكبيرة في هذا الخلق — بداية من الذرة والجزيء والخلية ونهاية بالنسيج والعضو والمخلوق والمخلوقات جميعاً — قد قدرت فيها

نواميسها وشرائعها تقديراً مذهلا .. وما دام العلماء يتعاملون مع نظم مقدرة ، ويعايشون شرائع منسقة ، فلابد ان يتبع ذلك انتظاما في معارفهم ، وتناسقا في افكارهم ، واستقامة في علومهم ، وتقدما في اهدافهم ، وتطوراً لصالحهم وصالح دولهم ، فتمخض كل ذلك عن انجازات هائلة تشهد بان من يسعى ويبحث

وينتصر لقوانين الكون ، وشرائع الحياة ، فلابد ان ينصره الله ، ويسدد خطاه ، وليس من هو احق بذلك الا العلماء الذين يتطلعون الى كل ما هو بديع واصيل ومنسق ومذهل وهنا يحق القول الكريم (انما يخشى الله من عباده العلماء) .. رغم ما يلصقه بهم الجاهلون ، لانهم يقولون غير ما يقولون .. (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) !

وأيا كانت الامور ، فان الانحراف في العلم قليل ، ولا يشكل ظاهرة خطيرة ، اذ سرعان ما ينكشف الانحراف ، لأن العلماء حملة مشاعل ، وهم يعملون دائما في النور ، وينشرون

بحوثهم على الاشهاد ، ومن يعتقد انه يستطيع ان يطبخ نتائجه في الظلام ، فسرعان ما تتسلط عليها المشاعل ، فتكشف زيفها ، وكانما هي خفافيش تهرب الى الجحور .. فمن اصالة العلم انه دائما يصحح اخطاءه ، وينمق مساره ويصقل معارفه بمرور الزمن (فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) !

عبد المحسن صالح

اقرأ في العدد القادم :
فضيحة علمية غريبة :
المخلوق المنقرض الذي كان ..
واطلاقا ما كان !

إلى أبي
شجر السنديان المسافر

شعر: أحمد محمد إبراهيم



حزينٌ لأنك لست معى
حزينٌ لأنى لست معك
فواحة عمرى الظليله
تداهمها خطوات الجحيم
وقد كنت لى شجر السنديان
إذا ألهبت ظهرى الهش ...
لسعة جمر السنين.
وكنت العذوبةَ ...
حين يعطن ماءَ الحياة الصدأ
وكنت لنا الأنس ...
حين المساء يتابعنا
فنسوق (الشياه) إلى البيت
ونجمع أرواحنا تحت ظل حكاياتك الو
وكم كان بينى وبينك من رهبة
تحتوينى
ومن رحمة
تحتويك
وتشرق عيناك حين ترانى
أجوس خلال ديار (ابن حزم)
وأرتاح عند (المعرى)
وأشرب من جرة (ابن عطاء)
وكم كانت البسمة الطاهره
تعانقنى جذلاً
فتحط طيور السرور على جبهتى
حين تمسح هم الطفولة من فوق خدى ...
برنة (قرش)
ولثمة عطف كبير
فيقفز قلبى إلى عالمك
وأترك خدى على كفتيك ...
وأشرد ...
أراك السواقى تدور
أراك الثوانى تدور
أراك الأمد
لتوقظنى بالرضا همستك :
(تنبه)
وها أنت تتركنى فى عواصف ليل
لأحمل فى سلتى الرمل والظلمات
وهذا زمان يخاصمه (الحزم)
ينقصه (العزم)
يأخذ قبل (العطاء)
فمن لى بقلبك أبحر فيه
وقلبى حزين .. لأنك لست معى
وحزين لأنى لست معك



بقلم : جمال قطب



رافاييل سانزيو

ذات الوشاح

كانت ايطاليا في القرن السادس عشر .. متحفا كبيرا يزخر بالعبقريات الفذة في جميع فروع الثقافة والمعرفة .. وتالقت مدن : البندقية فيرارا ، مانتوا .. وروما .. وبالرغم من ان النصف الأول من ذلك القرن قد شهد كثيرا من المنازعات والثورات .. كما تعرضت ميلانو ونابلي الى الحروب الاستعمارية ، حيث احتل الفرنسيون ميلانو قرابة عشرين عاما حتى سنة ١٥٢٢ ، كما احتلوا الجزء الشمالي من ايطاليا ، وتوج الملك شارل الخامس امبراطورا على بولونيا عام ١٥٣٠ ، وبعدها بخمس سنوات ، وقعت ميلانو تحت سيطرة الاسبان .. بالاضافة الى القلاقل والمشاحنات السياسية التي كادت أن تمزق البلاد الايطالية وتشل من فاعليتها كدولة حضارية تراثية عريقة ! وبالرغم من ذلك تمركزت في (فلورنسا) حركة فكرية رائعة ، كان اهم سماتها الازدهار الفني الذي لم يعرف التاريخ له مثيلا من قبل .. وكان فن التصوير هو أسبق الميادين في ثورة الفكر الانساني .. ولذلك اطلق عليه في تلك الفترة : عصر النهضة الذهبي . وقد ساهم عدد كبير من عباقرة التصوير الايطالي في الوصول بالفن الى ذروة لم يصلها قط على مدى المسيرة الانسانية كلها .. فمن فلورنسا والمقاطعات المجاورة لها بزغ العمالقة الثلاثة الكبار وهم :

ليوناردو دافنشي ، رافاييل ومايكل انجلو .. وتميزت هذه المرحلة الذهبية لعصر النهضة الايطالي بخصائص فنية واضحة كان من اهمها :

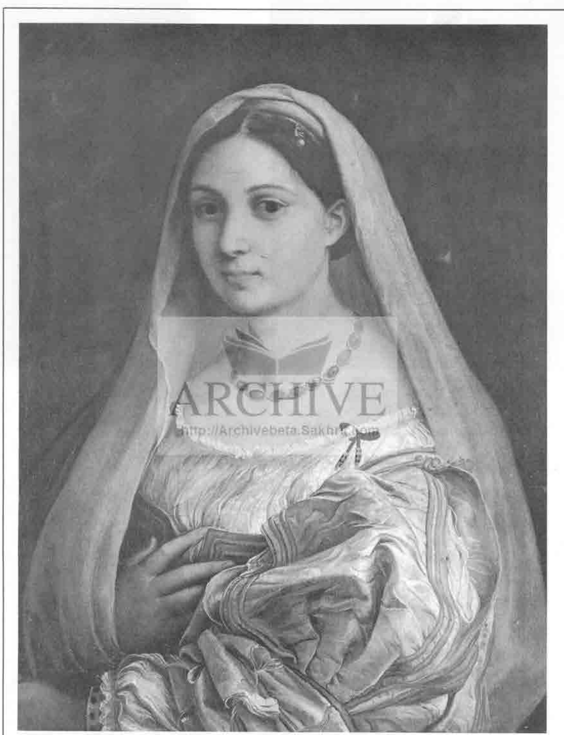
- إضفاء الحياة على الصورة ، وتبسيط التفاصيل ورسم الاشكال في اوضاع طبيعية .
- ازدياد مساحة العمق (البعد الثالث) مما يقود النظر الى نقطة النهاية .
- الاهتمام بمعالجة الضوء والظل الذي اكسب المرئيات تجسيدا اكثر من قبل .
- العناية بالحركة والتعبيرات على وجوه الأشخاص .

ويعتبر الفنان رافاييل سانزيو (١٤٨٣ ـ ١٥٢٠) احد القمم الشامخة لفناني عصر النهضة ، حيث تنقل في بداية نشاته من بلده أروبينو الى بيروجيا .. حتى استقر في فلورنسا في الفترة من ١٥٠٤ الى ١٥٠٨ .. ولعلنا نتذكر ان فلورنسا في ذلك الوقت كانت مسرحا لابداعات دافنشي ومايكل انجلو ، وبذلك وجد هذا الشاب الذكي ان فرصة منافسته لهذين العملاقين مستحيلة ! فلا هو بمستطيع ان يتحدى انجلو في قوة اسلوبه ، ولا دافنشي في رقة معالجته لنماذجه .. من اجل هذا ، قرر رافاييل ان يختار لنفسه اسلوبا منفردا اقتبسه من اعمال مجموعة الفنانين الايطاليين المعاصرين الذين أعجب بهم ... واستطاع بمهارته ان يكون من هذا المزيج اسلوبا خاصا تميز به . وعندما استدعاه البابا (جوليوس الثاني) الى روما لرسم جدران بعض قاعات الفاتيكان ، استمد موضوعات لوحاته من الحضارات الاغريقية والرومانية .. وكانت اشهر هذه اللوحات هي (مدرسة اثينا) والدارس لأسلوب هذه اللوحة العملاقة ، يستطيع ان يتبين خصائص ومميزات منهجه الفني الذي انفرد به على معاصريه ، وفي الوقت ذاته يظهر فيه جليا سمات وكلاسيكية وطرز ذلك العصر .. وتعددت انجازات الفنان في الفاتيكان ، مما جعله ينال حظوة كبيرة عند البابا جوليوس الثاني لم ينلها سواه من الفنانين العظام ..

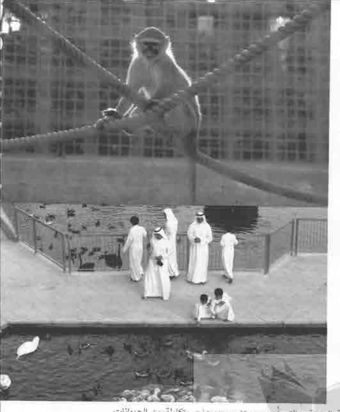
وربما تميز رافاييل ـ كذلك ـ ببراعته في رسم الصور الشخصية ، ولذلك رأيناه في فترة اقامته بالعاصمة الايطالية ، وقد انهالت عليه الطلبات من الحكام والشخصيات البارزة وسيدات المجتمع وجميلات ذلك العصر

وتعتبر لوحة : الفاتنة ذات الوشاح .. هذه التي يراها القارىء على الصفحة المقابلة .. من اشهر اللوحات الشخصية التي رسمها في روما .. وغالبا ما يطيب للنقاد والمؤرخين ان يعقدوا المقارنة بين (ذات الوشاح) بابتسامتها الهادئة والجيوكوندا (الموناليزا) التي رسمها ليوناردو دافنشي واضفى على محياها تلك الابتسامة الغامضة ..

... وفي عمر الزهور .. ولما يكمل الفنان الشاب رافاييل السابعة والثلاثين .. مات على اثر إصابته بالحمى ، ووضعت فوق نعشه اخر لوحاته التي لم تكتمل بين اناملة الملهمة !



ذات الوشاح .. احدى روائع رافاييل التى تمثل طابع الجمال والأناقة فى عصره (متحف فلورنسا)





مجموعة من اللقطات داخل حديقة الحيوان في مدينة الدوحة ، التي أصبحت تضم مجموعات متكاملة من الحيوانات والطيور والزواحف والثدييات .. وهذا بخلاف بعض الألعاب التي تتوفر بها والبساط الأخضر على أرضها .

رئة جديـــدة للثقافة والترفيه في الدوحـــة :

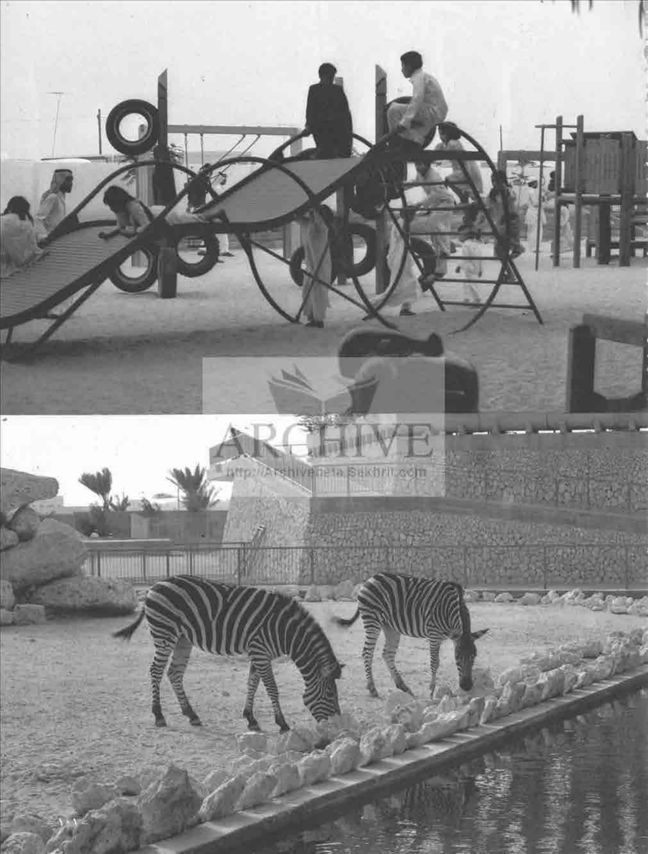
حديقة الحيوان

معالم مثيرة وبساط أخضر ومجموعة نادرة من الحيوانات والطيور

تحقيق وتصوير : أمين بـدوي

أصبحت حدائق الحيوانات في العالم من أهم معالم الترفيه والتثقيف للصغار والكبار على حد سواء .. وانتشرت في معظم عواصم الدنيا جمعيات ونواد لحماية الطيور والحيوانات المفترسة والأليفة من الإندثار ، بل وأصبحنا نرى في بلاد عديدة جمعيات للحيوانات اليتامى وهي التي فقدت أبويها في سن مبكرة وسط الغابات .. وهذا إضافة إلى اهتمام الجامعات ــ وخاصة كليات الزراعة ــ بعلوم حماية البيئة .

ومن هذا المنطلق جاءت حديقة الحيوان في قطر لتضم ٨٠٠ رأس من مختلف أنواع وفصائل الحيوانات والطيور التي تم اختيارها من مؤسسات عريقة في هذا المجال ، لتصبح من أهم معالم مدينة الدوحة ، ولتعطي لزائرها مايريده من تسليه وما ينشده ــ أيضا ــ من تعرف على عالم الحيوان والطيور بكل ما فيه من غرائب وطرائف وصفات خاصة !





النعام .. من أهم سكان الحديقة .. وهو طائر ضخم لا يطير ، ويجرى بسرعة فائقة ، ويتراوح وزنه مابين ٢٠٠ ، ٣٠٠ رطل ، ويبلغ ارتفاعه ٢٤٤ سنتيمتر!

سكان قطر وزوارها عليهم ان يضيفوا اسما جديدا الى قائمة اماكن الترفيه والمعالم البارزة المفضلة لديهم والتي ينوون زيارتها في البلاد : إنها حديقة الحيوان بالدوحة .

والزائر لهذه الحديقة يجد نفسه امام حديقة حديثة تتسع المساحات الخضراء فيها الى مالا نهاية ، متنوعة حيواناتها وكثيرة .

وزيارة يوم واحد لها لا تكفي اذ ان متعة التجوال فيها متجددة فهي إن زرتها مثل نظيراتها من الأماكن الساحرة لابد يوما ان تعود اليها ، ويكفي ان هذه الحديقة الوليدة قد غدت خلال مدة وجيزة مركز جذب لوفود القادمين اليها من قطر ودول الخليج الأخرى المجاورة .

لقد حققت الحديقة هذه المكانة من خلال خطة تبنتها بلدية الدوحة لانشاء اول حديقة حديثة للحيوان في البلاد ، يؤرخ تنفيذها منتصف عام ١٩٧٥ واستمر العمل فيها ثماني سنوات ، وفتحت الحديقة ابوابها للجمهور ولأول مرة في فبراير عام ١٩٨٤ .

فكرة الحديقة

لمواكبة النهضة الشاملة التي تشهدها دولة قطر ، حرصت بلدية الدوحة على انشاء حديقة للحيوان وتوسيعها وتطويرها إلى حديقة حديثة تكون مركزا ترويحيا وتعليميا ، بحيث تتوافر فيها مجموعات متكاملة من الحيوانات والطيور التي تتلاءم ظروف حياتها مع الظروف المناخية السائدة في قطر ، بالاضافة الى المجموعات المختارة من الحشرات والزواحف والثدييات التي تستوطن اصلا منطقة شبه الجزيرة العربية ، هذا الى جاب تطوير وتوسيع الحدائق النباتية وتكثيف زراعة الاشجار المختلفة فيها ، لتوفير مساحات ظليلة للزوار والحيوان ، وربط اجزاء الحديقة وتزويدها بالخدمات الضرورية وانشاء المرافق الترفيهية لتوفير المتعة والفائدة .

وقد نفذت هذه الخطة خلال ثلاث مراحل وعلى رقعة مساحتها الكلية ١٢٠ الف متر مربع وبتكلفة اجمالية بلغت حتى الآن نحو مائة مليون ريال قطري .

المعالم الرئيسية للحديقة

تتشكل المعالم الرئيسية للحديقة من المسطحات الخضراء وبحيرات وشلالات مياه



مساقط المياه والبحيرات الصناعية داخل الحديقة



البحيرة الوسطى التي تسبح فيها جماعات الأوز



الحمار الوحشي يمرح في حظيرته الخارجية المفتوحة



الفيل .. أضخم الثدييات البرية الحية من رتبة الخرطوميات . ويعيش إلى مافوق سن الخمسين !

وحظائر الحيوانات بالاضافة للمرافق والمنشات الترفيهية . الجزء الخاص بالحيوانات عبارة عن مجمع رئيسي يتوسط الحديقة تحيط به الحظائر المفتوحة للحيوانات البرية الطليقة ، وهو بناء ضخم تكسوه الحجارة البيضاء ويضم من الداخل اقسام وحظائر الحيوانات الليلية الصحراوية والطيور والفيلة والخراتيت والأسود والنمور والقرود وغيرها . ويظلل هذا المجمع سقف معلق متسع ومتدرج كمظلة عظيمة تسمح بدخول الضوء وتحجب حرارة الشمس وترتفع فوق عدد من الشرفات العليا التي تمكن الزوار من التمتع بمشاهدة حمر الوحش والزرافات والمها والنعامات وغيرها من ذوات الظلف والحافر ، وهي تمرح في حظائرها الخارجية المفتوحة .

وتتلالا اسفل هذا السقف مياه البحيرة الوسطى التي تسبح فيها جماعات الاوز والبجع والسلاحف وقد حفت جوانبها فصائل النباتات المختلفة تتوسطها الصخور ذات النباتات الصحراوية والصخرية . وتتجه مياه هذه البحيرة الى قمة صخرية بصورة الية لتصب من جديد في مياه البحيرة مشكلة شلالا يشرف على كافيتريا صغيرة للمرطبات والماكولات الخفيفة ، ويتيح هذا الموقع المختار لهذا المجمع وسط الحديقة للزوار مشاهد متعددة ومتنوعة لكل محتويات الحديقة .

اما مجموعة الحدائق النباتية فتحيط بالمجمع الرئيسي للحيوانات ، وتتداخل معه وتتوزع توزعا جماليا منسقا بعناية على جميع مساحات الحديقة ، وهذه الحدائق المتنوعة زرعت بعشرات الفصائل وانواع الاشجار والنباتات والحشائش الخضراء بشكل منسجم يعطي الزوار فرصة اكبر للاستمتاع والاستفادة من التنوع النباتي .

وهذا التركيز على العناصر النباتية والمائية يثري المنظر العام للحديقة بجانب استخدامها كحواجز تفصل بين الحظائر المفتوحة الخاصة بالزرافات والظباء مع تهيئة بيئة طبيعية ملائمة لمجموعة متنوعة من البط والاوز والبجع . كما ان وجود شلال يستطيع الزوار السير تحته والاطلالة عليه من الكافيتريا يعتبر من المعالم المميزة والمبتكرة في الحديقة ، فضلا عن استخدام هذا الشلال في تبريد اجهزة التكييف .

انواع متعددة

تضم الحديقة حاليا تسعمائة راس من مختلف انواع وفصائل الحيوانات والطيور تم اختيارها وتجميعها من مؤسسات عريقة في



طيور مائية جميلة تجدها في أماكن متعددة في الحديقة

هذا المجال ، ومن انحاء شتى من العالم ، وقد روعي في اختيار هذه الحيوانات ملاءمتها للعيش في الظروف المناخية السائدة في قطر ، وهي تضم مجموعات من الفصائل المعروفة وغير المعروفة ، بحيث تمثل في مجموعها جميع الفصائل الموجودة في كل القارات باستثناء المناطق القطبية التي لا يمكن ان تتعايش حيواناتها في الظروف المحلية ، الى جانب ذلك جلبت الى الحديقة بعض الفصائل المستوطنة في قطر والجزيرة العربية ، وتمثل الحيوانات في الحديقة تنوعا في الحجم والصفات والاعمار ، فمنها الكبير والصغير والسام وغير السام والخطير والمسالم .

اما بالنسبة لمتطلبات الامن والتغذية ، فقد تم تامينها بدقة وعناية ويقوم عليها عاملون مؤهلون ، ويتم تحضير الوجبات لكل نوع بطريقة صحيحة وعلمية ومن مواد غذائية معدة خصيصا لتفي بالغرض ، اضافة الى اللحوم والخضروات والاعلاف الخضراء والحبوب .

وللعناية بصحة الحيوان تم توظيف الاطباء البيطريين والعاملين المؤهلين من ذوي الخبرة ، وتشمل الامكانات والخدمات البيطرية عيادة كاملة التجهيز صحيا ، اضافة إلى التسهيلات

اسماعيل سيف ..
رئيس قسم حديقة الحيوان ببلدية الدوحة

المختبرية المتوفرة في قطر والتي تقدم الخدمات المطلوبة لادارة الحديقة ، وقد وضعت الحديقة البرامج اللازمة لتدريب الكوادر والموظفين المحليين على طرق العناية بالحيوان والتعامل معه .

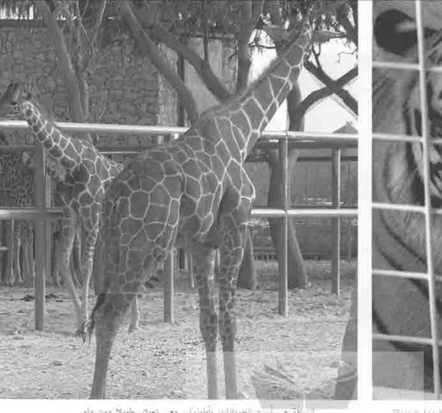
أهمية الحديقة في المجتمع

ويتحدث اسماعيل سيف رئيس قسم حديقة الحيوان ببلدية الدوحة عن أهمية الحديقة في المجتمع فيقول : إن دور حديقة الحيوان في المجتمع اكثر اهمية مما قد يتبادر الى الذهن لاول وهلة ، فبالاضافة إلى وظيفتها المعروفة للترويح ومشاهدة الحيوانات فان مفهوم الحديقة الحديثة بما يتوفر فيها من إمكانيات يرتبط بالتربية والتعليم واجراء البحوث والدراسات العلمية المتعلقة بالبيئة والحيوان والحفاظ عليها ، وهو نفس المفهوم الذي تسعى البلدية الى تعميقه وتحقيقه بشكل تدريجي من خلال حديقة الحيوان بالدوحة .

وتتيح الحديقة في المرحلة الحالية الفرصة



النمر .. من الحيوانات المفترسة التي تضمها الحديقة



الزرافة هي أسرع الحيوانات وأطولها ، وهي تعيش طويلا دون ماء

لخلق الوحي وادراك اهمية وجود عالم الحيوان في المحافظة على توازن الحياة ككل ، وقد خصصت الحديقة لهذا الغرض قاعات خاصة مجهزة بالمعدات لعرض الافلام العلمية عن عالم الحيوان يتولى شرحها مختصون لوفود الطلاب الذين يقصدون الحديقة من المراكز العلمية المختلفة .

كما ستتيح المرحلة القادمة للحديقة الاضطلاع بدور اكبر مستقبلا في حقل التربية والتعليم بكل مراحله ، بحيث يمكن أن يشكل عالم الحيوان جزء من المنهج المدرسي في البلاد وهو الاهتمام العام الذي تطمح البلدية إلى إيجاده من خلال التنسيق والتعاون مع الجهات الاخرى التي تسعى إلى نفس الهدف ، كذلك فان الحديقة تعتبر مصدرا هاما من مصادر المعرفة بالنسبة للطلاب فيمراحل الدراسات العيا الخاصة بعلوم الاحياء .

ويشير إسماعيل سيف إلى أن حديقة الدوحة بدات تخطو حثيثا باتجاه تحقيق وظيفتها كمركز ترويحي وتعليمي ، والدليل على ذلك الاقبال الكبير من جانب المواطنين وطلاب المدارس وتوافدهم على الحديقة من داخل البلاد وخارجها مثل المملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية المتحدة ، وقد جعل هذا الاقبال للحديقة مكانة مميزة على مستوى منطقة الخليج رغم حداثتها نسبة لما تتميز من كثرة في الحيوانات وتنوعها واتساع المساحة الخضراء .

وحيث لا يمكن الحكم على اي حديقة إلا من خلال مجموعة الحيوانات التي تحتويها وأساليب العناية بها وحيث لا يتاتى ذلك إلا من خـــلال التنسيق والتعـــاون مع الهيئـــات والمؤسسات العربية والعالمية العاملة في هذا المجال ، فقد سعت بلدية الدوحة منذ البداية الى اقامة علاقات وثيقة مع تلك الجهات وفي مقدمتها حدائق الحيوان بلندن التي تعاونت معها في اختيار الحيوانات وتعيين الكوادر الفنية وكذلك نقل الحيوانات للدوحة .

نظرة للمستقبل

بذلت بلدية الدوحة الكثير من الجهد والوقت في سبيل انشاء هذه الحديقة بكل ما وفرته فيها من حيوانات وحدائق واشجار واماكن للاستظلال والاسترخاء . وتعتبر البلدية كل هذا مجرد بداية سيتبعها المزيد من الخطط والبرامج والتوسعات والتطوير .

ويشير رئيس قسم حديقة الحيوان البلدية إلى بعض بشائر هذا المستقبل فيقول : لقد بدانا نرى بالفعل الكثير من المواليد الجدد لبعض الحيوانات الاجنبية في الحديقة مثل القردة الامريكية وبعض الغزلان والطيور . واعتقد انه بعد فترة وجيزة سيكون لدى الحديقة فائضا كبيراً من الحيوانات التي تتم ولادتها في قطر وتوفر لها اكتفاء ذاتيا بل وتمكنها من التصدير على اساس التبادل مع الحدائق العربية والعالمية .

ويتحدث السيد اسماعيل سيف عن خطط المستقبل فيقول : هناك خطط لمزيد من المرافق .. حديقة صغيرة جديدة خاصة بالأطفال داخل الحديقة الام تضم بعض الحيوانات الاليفة ، وحديقة للالعاب ، وكذلك إضافة مسطحات خضراء جديدة وركن للطيور الطليقة وتوسيع الحدائق النباتية اكثر فاكثر وتنسيق مناظرها ، فضلا عن اهم الخطط جميعا وهي المحافظة على الحديقة لانها تعتبر مكسباً ومعلما من معالم البلاد لابد من العناية به والمحافظة عليه

رسالة النمسا

بقلم: محمد سعيد

فيينا

الدانوب الأزرق وأحلام المفكرين في المدينة التي تغنى بها الشاعر العربي!



شارع كارنتز الذى يعتبر من أهم شوارع فيينا اجتذابا للناس وهو مخصص للمارة فقط.

- من هنا خرجت أعذب الألحان لعباقرة الموسيقى وانتشرت فى العالم.
- فى هذه المدينة سقط «هتلر» فى اختبار أكاديمية الفنون.
- الأصل العربى لخيول مدرسة الفروسية يعود إلى أيام الأندلس.
- مدرسة لتعليم اللغة العربية للمسلمين ولمن يرغب من السكان.
- عندما غنت الامبراطورة «ماريا تريزا» على الحان ابنها عازف البيانو!
- صحف بلا ترخيص، والدولة تدعمها سنويا بمائة مليون شلن!
- أوبرا فيينا تستهلك ما يستهلكه ٣٠ الف شخص من الكهرباء!
- الجامع الكبير ملتقى ثلاثة أرباع مليون مسلم يعيشون فى النمسا.



مدخل المكتبة الوطنية في فيينا التي تضم مخطوطات وكتبا نادرة

يعكس إنسان مدينة فيينا عاصمة النمسا في سلوكه اليومي طبيعة الاختيار النمساوي . والاختيار النمساوي الحديث بدأ في النمسا مع عام ١٩٥٥، اي ان عمر هذا الاختيار يقترب من عامه الثلاثين . ويتضح لزائر العاصمة النمساوية فيينا انعكاسات الاختيار في سلوك التعامل الذي يبدو صورة لعالمية التفكير التي تبدو مظهرا على حركة الحياة السياسية والاقتصادية من جانب، كما تبدو ايضا في مجالات الابداع الثقافي والفني من خـــلال الندوات والمعـــارض والمهرجـــانات والاحتفالات والاعياد التي لا تنقطع طوال العام .

إن وعي الشاعر الغنائي العربي الذي وضع منذ ما يقرب من نصف قرن اغنية لأسمهان تحمل اسم (ليالي الأنس في فيينا) هو وعي مبكر بالحياة الخاصة لهذه العاصمة الهادئة التي لا تنقطع فيها مظاهر البهجة لكن دون صخب او ضجيج .

وليالي فيينا لا تنقطع على مدى السنة لكنها تزداد بريقا مع تقدم الربيع والصيف، ويشهد هذه الليالي عدد من الزوار يمثلون اغلب قارات العالم ويزيد عددهم في شهور الذروة عن عدد سكان فيينا الذي لم يصل الى المليوني نسمة بعد ومع سيادة اللغة الالمانية – لغة الشارع النمساوي ولغة الحديث للسكان – إلا ان فيينا وبحكم إمكاناتها السياحية تحظى بنسبة ضخمة ممن يتحدثون اللغات الاخرى مثل الانجليزية والفرنسية والايطالية والتركية والاسبانية والروسية واليابانية وايضا اللغة العربية التي وضح الاهتمام بها منذ إفتتاح المركز الاسلامي في فيينا وقيام مدرسة خاصة بتعليم اللغة العربية للمسلمين في النمسا وايضا



قصر شوبزون الذى يشكل الطابع المعارى التميز فى القرن الثامن عشر ، وفى هذا القصر يقام مهرجان عالمى يضم فنون المسرح المختلفة فى كل عام

لمن يرغب من سكان مدينة فيينا.

ولا يعادل رقة التعامل التي تبدو على النمساوي في علاقاته بالزائر الأجنبي غير رقة جيرانه في حوض الدانوب من سكان بودابست وبلجراد والجار السويسري . ورقة وادب النمساوي تبدو في اسلوب التعامل المكتبي وفي تعاملات المرافق العامة من اجراءات الجوازات والجمارك واستخدامات الهاتف والبريد والسكك الحديدية والطيران والانتقال بالسيارات وعربات الأجرة وايضا في المطاعم والاسواق والمحال التجارية . لكن ضغط الزوار على مدينة فيينا وعدم قدرة الطاقة الفندقية بها على استيعاب اعداد الزوار بجانب غلظة بعض هؤلاء الزوار وتصرفات بعضهم ممن لا يحترمون العرف الانساني السائد تجعل سلوك بعض موظفي الاستقبال في الفنادق وبعض المرافق ليس على نفس درجة الرقة والتهذيب البادية على شخصية الانسان العام في اغلب مجالات التعامل ،خاصة الأدب الجم الذي يلحظه الزائر على سلوك موظفي المصارف (البنوك) والذي يبدو انتشارها في العاصمة النمساوية مؤشرا هاما يوضح طبيعة المظهر الغالب على النشاط الاقتصادي في العاصمة التي تلعب دور الوسيط الناجح في حركة تشغيل رءوس الأموال في أوربا والشرق الاوسط بجانب دورها في دورة الاستيراد والتصدير كهمزة وصل بين الشرق والغرب .

ويتميز الشارع النمساوي ايضا بالوقار والاحترام النسبي مقارنة بالعواصم الغربية الاخرى فرغم السماح ببيع الكتب والمجلات التي تتناول كل الموضوعات في حرية كاملة إلا ان هناك سلوكا محترما تلحظه ويبدو في عرض هذه السلع على الجمهور وبحيث لا تخدش الحياء العام .

وسلوكيات انسان فيينا لا تظهر فقط في هذا الجانب من جوانب التعامل الانساني لكنها تبدو ايضا في مشاعر التكامل والتعاطف التي تسميها بلغتنا العربية (مشاعر الشفقة) وهذه المشاعر تبدو في ميل النمساوي لكي يكون دليلا للاجنبي في اثناء حاجته إلى معرفة عنوان او مكان يقصده فيقدم له هذه الخدمة بمنتهى اللطف والود ، ولا يكتفي بان يكون المرشد له في البحث عن المكان المستهدف لكنه يعرض عليه ان يكون مرشدا له بقدر المعلومات التي تفيده كان يشرح له ان قسيمة ركوب الترام والمترو وقدرها ثمانية عشر شلنا نمساويا اي ما يقارب دولارا امريكيا تصلح للاستعمال عدة مرات خلال الساعة وان هناك (تذاكر) للمواصلات تباع بسعر مخفض تستخدم لمدة ثلاثة ايام، وينصحك النمساوي في حرص بان تكون اقتصاديا كي تستفيد بهذه الصلاحيات ولا تلقي بالتذكرة بعد اول استعمال لها .

هذا نموذج من عشرات النماذج التي توضح ان الانسان النمساوي في فيينا يتمتع بصفات الانتظام والدقة والنظافة وايقاع الحياة الغربي السريع وكيفية إغرائك لتخرج كل ما في جيبك عن رضا لتشتري السلع والخدمات التي يعرضها .

والاختيار النمساوي للفلسفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي إرتضاها المجتمع خلال ربع القرن الأخيرة ينعكس ايضا على طرق تفكير الناس واسلوب فهمهم للمتغيرات والاوضاع الفكرية التي يمر بها العالم بصفة عامة والنمسا بصفة خاصة،ولعل أوضح مثال على ذلك ما تلحظه اذا تاملت اي

التدريب داخل مدرسة الفروسية التي تعود أصول خيولها إلى العرب في الأندلس



الكمان الخاص بالموسيقار العالمي شتراوس . يمكنك رؤيته في المتحف الوطني في المدينة

منبر صحفي من بين ٢٢ صحيفة يومية تصدر في النمسا منها ٦ صحف تصدر في فيينا بجانب ٤٥ مجلة اسبوعية وشهرية توزع في مجموعها ثلاثة ملايين نسخة في بلد تعداد سكانه يقترب من الملايين الثمانية . واهم الصحف والمجلات في النمسا (كرونين) – (كورير) – (بريسه) – (فولك شتيمه) – (فييز تساينوك) وهي والراديو والتليفزيون ابرز وسائل التعبير عن الراي العام . وفي فيينا ثلاث محطات للراديو ومحطتان للتليفزيون ووضع هذه الأجهزة القانوني انها وسائل تعبير مستقلة عن الدوائر الحكومية لا تتحيز لاي من الاحزاب القائمة وهي الحزب الاشتراكي – حزب الشعب – الحزب الليبرالي ولكنها تخضع في تمويلها لسلطة الدولة . اما وضع الصحف والمجلات فله ايضا حصانات دستورية توضح حدود الحرية التي تتمتع بها والصحف والمجلات تقوم دون ترخيص من الدولة او تبعية لها . ولكنها مع ذلك تخصص لها من ميزانيتها السنوية مبلغ مائة مليون شلن تدعيما للنشاط الصحفي في مجالات الاعلام الثقافي والاقتصادي .

بين الحاضر والماضي

ومدينة فيينا يحدها سهل الدانوب ومنخفضات متدرجة من مرتفعات الألب تجعلها في موقع يربط أهم الطرق التي تصل الغرب الأوربي بالشرق الاوربي . وفيينا عاصمة **النمسا وعاصمة اقاليمها الاتحادية التسعة وهي** همزة الوصل بين الاتجاهات الاربعة في قلب أوربا . ويعود تاريخ المدينة الى عهد الامبراطورية الرومانية في زمن الامبراطور اوغسطس الذي اقام معسكرا قرب فيينا الحالية ظل مركزا للحكم في المنطقة نحو ٤٠٠ عام . وأصل فيينا يعود الى التسمية القديمة (فندوبونا) التي يعتبر الدوق ليوبولد الكبير مؤسسها وكان ذلك في عام ١١٣٧ بعد الميلاد ولكن الاستقرار لم يعم المدينة في تلك الفترة المبكرة بسبب سقوط حاكم فيينا الدوق مزد ريك الثاني قتيلا في معركته التي خاضها ضد جيرانه المجريين (الهنغاريين) في عام ١٢٤٦ وبعده تولى حكم فيينا أسرة هابسبورج التي تم في عهدها حصار مدينة فيينا من خلال قوات الدولة العثمانية والذي حال هذا الحصار دون تقدم القوات التركية غرب مدينة فيينا في اتجاه ايطاليا وفرنسا وبقية أوربا . وفي القرن الثامن عشر تشكل الطابع المعماري لمدينة فيينا



مهرجان الدراما على مسرح فيينا الذى يرى فيه المتفرجون أهم المسرحيات المحلية والعالمية

حيث جرى تاسيس قصر شوبزون وكنيسة سان شارل والمكتبة القومية .

وعقب اعلان انتهاء الحرب بين النمسا وقوات نابليون في عام ١٨١٣ تم توقيع التحالف الرباعي بين بافاريا (بايرن) وبروسيا (شمال المانيا) وروسيا (اشهر جمهوريات الاتحاد السوفيتي الآن) مع النمسا وحيث اصبحت فيينا العاصمة التاريخية التي شهدت دور داهية الساسة في القرن الثامن عشر الامير (مترنيخ) رئيس وزراء النمسا ووزير خارجيتها الذي لعب دورا كبيرا في تقسيم أوربا العصر الحديث .

وفي منتصف القرن التاسع عشر هدمت اسوار المدينة التاريخية من اجل توسيع رقعتها واقيم شـــارع الرينج ، وهـــو يعطـــي نفس المعنى باللغة العربية (الدبلة) او (الخاتم) أي معنى الشارع الدائري حول المدينة وقد اقيم هذا الشارع لتقوم حوله اعداد ضخمة من الحدائق والمساحات الخضراء والقصور والمباني التي تعد ابرز ما في الفن الذي ينتمي للطراز الباروكي وطراز (الجوجندستيل) اي طراز الفن الحديث .

ولقد شهدت فيينا اصعب السنوات في القرن العشرين عندمـــا مـــات الارشيدوق فرانسوا جوزيف الاول اثناء الحرب العالمية الأولى وانتهى بموته حكم سلالة هابسبورج وقامت الجمهورية النمساوية الأولى في عـــام ١٩١٨ ،ولكن المانيا النازية تضم النمسا اليها في عام ١٩٣٨ بحجة انها اراض المانية يتحدث سكانها اللغة الالمانية . ومن المعروف أن أدولف هتلر فشل في الالتحاق باكاديمية الفنون في فيينا لدراسة الفنون الجميلة وحيث رسب في امتحان القدرات .

وفي عام ١٩٤٥ لم يتم تقرير مصير النمسا حتى تم ذلك في عام ١٩٥٥ متاخرا عشر سنوات عن نهاية الحرب العالمية الثانية وتم هذا بمقتضى اتفاق الدول الكبرى (الحلفاء) على ضمان حياد النمسا .

والنمسا من خلال المنظور البانورامي تقدم في شكلها المعماري الحالي صورة لآثار تلك السنوات السابقة تبدو في معالم فيينا المعمارية مثل كاتدرائية سانت استفان (سان اتيان) وكنيسة سان شارل وكنيسة الكابوسين ، كما انها تمثل خلاصة عطاء الانســـان النمســـاوي على مدى سنوات قرون طويلة تلمس فيها اثار العصر الروماني الحجرية وترى ملامح العمارة القوطية والباروكية في القصور والتماثيل والحدائق والمقاهي مثل قصر شوبزون وقصر هوفبورج الملكي وحديقة فلكس جاردن بجانب المتاحف والاوبرا وقاعات الموسيقى التي صدحت فيها الحان موتسارت وليست وهايدن وبتهوفن وشوبيرت وبرامز وشتراوس وزولتان كوداي وغيرهم والتي وضعت في فيينا وامتزجت بعطائها الحضاري عبر السنين .

الفروسية واحلام المفكرين

وللفروسية في فيينا قصة تجعل النمساويين يطلقون على مدرستهم للفروسية تسمية المدرسة الاسبانية فهي تعود الى تزويد قصور أسرة هابسبورج الامبراطورية بالخيول الاصيلة القادمة من البلاط الملكى الأسباني وهي خيول عربية اصيلة تعود سلالاتها إلى ايام الأندلس وتسمى خيول (الليبزان) ويعود بناء مدرسة الفروسية الى عام ١٧٢٨ وهي مدرسة لتعليم فنون الفروسية التقليديـــة ويمثل استعراضها التقليدي احد المظاهر السياحية المميزة لمدينة فيينا حتى هذه السنوات .

وعلى مقربة من مدرسة الفروسية المسماة (المدرسة الاسبانية) يبدو مبنى المكتبة الوطنية الذي يضم مخطوطات وكتبا نادرة يعود معظمها إلى عام إنشاء المكتبة في عام ١٧٢٣ على يد فيشر فون ايرلاخ بعد ان اكمل المشروعات والخطط التي وضعها والده لانشاء هذه المكتبة الهامة .

وفيينا كانت ولا تزال مدينة الاحلام الأوربية ،لم يكن ينافسها في هذا التصور الرومانسي غير باريس في الغرب وبودابست توامها على نهر الدانوب . ومظاهر الحلم في فيينا تبدو في اكثر من لون تشكل الوان الطيف الحالمة بداية من دار الأوبرا المركزالموسيقي العتيد وحيث كانت فيينا مصدر الهام عدد كبير من قادة الفكر الموسيقي العالمي بل ان السياسيين والنبلاء في فيينا انشغلوا ايضا بالموسيقى فقد الف الامبراطور ليوبولد الأول عدة اوبريتات بجانب مقطوعات موسيقية دينية وبعض اغنيات قصيرة والحان راقصة . ايضا كان من اصحاب المواهب من نجوم السياسة النمساوية الامبراطورة ماريا تريزا التي كانت تغني في الاحتفالات الملكية وكذلك إبنها جوزيف الثاني الذي اشتهر بالعزف على البيانو ، وشارل السادس الذي الف العديد من المقطوعات الموسيقية .

وعندما يتقاطع شارع الرينج اشهر شوارع فيينا مع ميدان الأوبرا يظهر للزائر شارع (كارتنير) ابرز شوارع فيينا اجتذابا للناس والزوار وهو الشارع الذي نجد فيه اهم المطاعم والمقاهي ودور السينما والمكتبات العامة ومحلات بيع الحلوى والملابس والصحف والمجلات . وهو شارع لا يسمح فيه بعبور السيارات وهو مخصص للمارة فقط من

المشاه ممن يتجولون سيرا على الاقدام .

وبالقرب من شارع كارتنير نجد اسفل الرينج المتقاطع معه وفي مواجهة بيت الاوبرا مدينة كاملة تقود الى محطات (المترو) تحت الارض وفي هذا الطريق عدد كبير من المقاهي والمحلات والمطاعم كما انه موقع هام لأنصار الحرية وحقوق الانسان والمطالب الفكرية ممن يجدون بغيتهم في المجتمع النمساوي المفتوح . وينتهي هذا الطريق تحت الأرض صاعداً فوق الأرض الى ميدان كبير به فندق (ساشدير) الذي يعد تراثا تاريخيا هاما وحيث كان قبيل الحرب العالمية الأولى ملتقى المهتمين بالفكر والثقافة واصحاب المواهب من الشعراء والادباء والكتاب والصحفيين والفنانين وابناء الطبقة الارستقراطية في ظل الامبراطورية النمساوية ـ المجرية ولا تزال القاعة الضخمة في هذا المكان تعتبر موقعاً طبيعياً لتصوير الافلام السينمائية والاعمال التليفزيونية التي تتعرض لتاريخ العالم قبل الحرب، ومن هذه الاعمال التي صورت في قاعة فندق (ساشدير) وفندق (إمبريال) فيلم (مايرلينج) الذي لعب بطولته عمر الشريف امام النجمة الامريكية افا جاردنر .

ويعتبر مبنى البرلمان اهم ما في شارع الرينج من المعالم وقد بناه في عام ١٨٨٣ المهندس الدانمركي ت . هانسين الذي درس العمارة في الجامعات اليونانية ولذلك بناه على الطراز الاغريقي . ويحتفل البرلمان النمساوي في هذا العام بمناسبة مرور مائة عام على انعقاد اول جلساته في اكتوبر من عام ١٨٨٤

والمتاحف في فيينا عديدة اهمها متحف الفنون الجميلة الذي يضم مجموعات التصوير والنحت والحفر في الطابق الأول ثم متحف النقود والعملات في الطابق الثاني ويضم ٩١ صالة تمتد بطول ٤ كيلومترات وتضم اكبر حشد من عملات العالم منذ بداية معرفة البشرية لنظام التعامل النقدي وحتى العصر الحديث ، ويصل مجموع هذه القطع النادرة الى حوالي ٤٨٠ الف قطعة ثمينة .

وفي مجال الفن التشكيلي تضم مقتنيات المتحف ابرز أعمال الفنان الهولندي بروبجل ولوحة (شمشون ودليلة) للفنان فان إيك ولوحة (ديانا) للفنان تيستان ولوحة (الطفلة مرجريت) للفنان فالاسكيز ولوحة (هيلين) ولوحة (البكاء على المسيح) للفنان ـ روبينز بجانب اعمال عديدة للفنانين رافائيل ورمبرانت وكرانش وغيرهم .

والى جانب متحف الفنون الجميلة تجد في فيينا متاحف عديدة لابد ان تقودك قدماك اليها اذا كنت من عشاق التعرف على تطور التاريخ الانساني فهناك متحف الساعات ومتحف الجيش ومتحف التكنولوجيا ومتحف البلفدير ومتحف السلالات ومتحف المركبات والعربات ومتحف التاريخ الطبيعي والمتحف الزراعي ومتحف زراعة العنب (الكروم) ومتحف البرتينا الذي يضم مقتنيات الأميرة اوجين دي سافو وهو من اشهر عشاق جمع تراث الابداع الانساني في مجالات الفنون التشكيلية .

وبجانب المتاحف المغلقة والمتخصصة هناك متاحف مفتوحة هي ميادين وشوارع فيينا حيث تنتشر التماثيل والنصب التذكارية والتي تعد من ابرز اعمال النحت مثل تمثال المارشال راديتسكي القائد العسكري الذي اهداه الموسيقار شتراوس الاب مقطوعة موسيقية تحمل إسمه وهناك تمثال الموسيقار موتسارت في حدائق هوفبورج والمسلة التي تزين مدخل مسرح (فينا) وتمثال الموسيقار شتراوس الابن والنصب التذكاري للقضاء على الطاعون الذي هدد سكان فيينا فى القرن الثامن عشر وهو موجود في بداية شارع جرابين الذي يعتبر احد أشهر شوارع قلب فيينا .

والجامعة القديمة ومبنى البلدية من اهم معالم فيينا المعمارية وقد صمم مبنى الجامعة المهندس فيرستل وتم بنائها ما بين عامي ١٨٧٤ ـ ١٨٨٣ وهي غير مباني الجامعة الاخرى التى اسسها وولف الرابع .

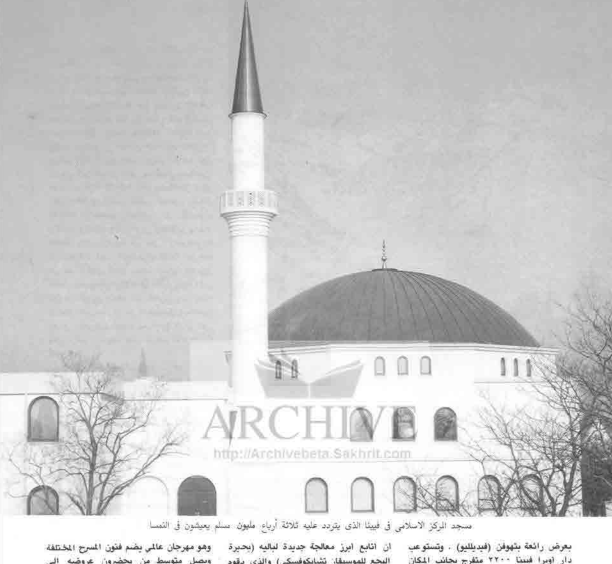
مرتفعات الألب المجاورة لمدينة فيينا .. من المناظر التي يحرص كل زائر على رؤيتها لشهرتها وسحرها الخاص

المسارح والمهرجانات

في مدينة فيينا عدد كبير من المسارح ابرزها الاوبرا ومسرح البورجا ومسرح الأكاديمية ومسرح أندرفيين والمسرح الصغير ومسرح ستديو فاشماركت .

ويعد مسرح (البورجا) او الاوبرا الشعبية أهم مسرح يعرض الأعمال الدرامية التي تقدم باللغة الألمانية وهي اللغة القومية للنمسا، وقد اسس هذا المسرح باذن من الامبراطورة ماريا تريزا ويخلد المسرح أهم الكتاب والشعراء الذين كتبوا النصوص المسرحية التي عرضت عليه من خلال تماثيل مقامة امام واجهة المسرح الذي تعرض للحريق في نهاية الحرب العالمية الثانية حتى أعيد ترميمه وبنائه من جديد ما بين ١٩٥١ ـ ١٩٥٥ .

وما حدث لمسرح البورجا حدث ايضا لدار الأوبرا التي تعرضت للقصف في مارس ١٩٤٥ فاحترقت ولم يبق منها سوى الصالة والشرفة ولذلك اعيد بنائها ما بين عام ١٩٤٥ ـ ١٩٤٨ وعادت للعمل مع استقرار النمسا واعلان استقلالها وحيادها في عام ١٩٥٥



مسجد المركز الاسلامي في فيينا الذي يتردد عليه ثلاثة أرباع مليون مسلم يعيشون في النمسا

بعرض رائعة بتهوفن (فيديلليو) . وتستوعب دار اوبرا فيينا ٢٢٠٠ متفرج بجانب المكان المخصص لمائة وعشرين موسيقي من افراد الأوركسترا وعدد من القاعات لاجراء بروفات البالية والموسيقى والتعبير الدرامي، وبدار أوبرا فيينا ٩ مراكز للالتقـــاط والتصـــوير التليفزيوني وعدد ٥٠ ميكرفون للتسجيل الصوتي الاذاعي ويعادل استهلاك دار أوبرا فيينا قدر ما تستهلكة مدينة صغيرة يقيم بها ٣٠ الف شخص من استهلاك للكهرباء في الاضاءة والتشغيل .

وعشاق الموسيقى لهم قاعة شهيرة في فيينا تسمى قاعة الكونسيرت تشرف عليها جمعية أصدقاء الموسيقى التي تتولى تنظيم حفلات الكونسير والامسيات الموسيقية . ولان فيينا هي ارض الموسيقى تحس بهذا عندما تحضر عرضا موسيقيا في قاعة موسيقية كما اتيح لي ان اتابع ابرز معالجة جديدة لباليه (بحيرة البجع للموسيقار تشايكوفسكي) والذي يقوم هذا الموسم على مسرح اوبرا مدينة فيينا من خلال عناصر نمساوية تنتمي لمسرح الأوبرا النمساوي .

والموسيقى في فيينا ليست هي فقط الموسيقى الكلاسيكية وموسيقى الأوبرا والباليه والأعمال الدرامية الكبيرة لكنها ايضا الموسيقى الشعبية التي تصدح في الحدائق العامة في ايام العطلات وحيث تستمع الى موسيقى المؤلف النمساوي (شرامبل) التي تشعر عند سماعها بمشاعر البهجة التي تنطلق من عزف رباعي الكمـان والجيتار والاكورديون وآلات النفخ النحاسية .

وفيينا تعيش في مهرجانات على مدى ايام العام وهناك المهرجان المسمى باسمها والذي يقام منذ عام ١٩٥٠ خلال شهري مايو ويونيو وهو مهرجان عالمي يضم فنون المسرح المختلفة ويصل متوسط من يحضرون عروضه الى حوالي ٥٠ الف شخص، وهو غير موسم الكونسير الصيفي الذي تبدأ عروضه في اخريات يونيه وحتى منتصف سبتمبر وتقام عروضه في قاعة المدينة وفي حدائق قصر (شوبزون) ويصل عدد رواده الى حوالي ٦٠ الف شخص ٧٠٪ منهم من الأجانب . ويقام في المدينة ايضا المهرجان العالمي لدراما الشباب وقد بدأ نشاطاته منذ عام ١٩٧٨ وهو يقدم عروضه للهواه من المؤلفين والممثلين والفنيين وهو غير مسرح الشارع الذي كان من أهم عروضه في العام الماضي مسرحية أوسكار وايلد (سالومي) التي قدمها طلاب اكاديمية المسرح من مدينة (كولونيا) الالمانية . وهناك مهرجانات اخرى متنوعة منها مهرجان الموسيقى النمساوية الحديثة والمعاصرة والذي بدأ منذ

عام ١٩٦٦ ومهرجان موسيقى الشباب الذي بدا منذ عام ١٩٧١ ثم مهرجان (فينالي) وهو مهرجان سينمائي بدا في عام ١٩٥٨ ويستمر انعقاده على مدى اسبوع في منتصف نوفمبر من كل عام وهو غير مهرجان وارس للسينما والتليفزيون الذي يقام منذ عام ١٩٨٠ ويقدم ابداعات شباب الشاشتين الصغيرة والكبيرة في مجالات الابداع الفني المختلفة .

وطبيعي ان تستضف عاصمة النمسا معارض تمثل ملامح عطاء الحضارات الانسانية المختلفة وكان من احدث ما شاهدت (فينا) ومدينة (لينتز) معرض (سوريا ملتقى الشعوب والحضارات) الذي قدم نماذج لمعالم الحضارات على ارض سوريا التاريخية عبر عشر الاف سنة واقيم المعرض في بيت الفنانين في المدة من فبراير وحتى اواخر يوليو ١٩٨٤ .

ويصف الدكتور منير زكي المدير بادارة الصحافة النمساوية الاتحادية هذا المعرض الحضاري بانه الاول من نوعه الذي يتيح للشعوب الاوربية الفرصة للتعرف على نماذج متباينة لمعالم الحضارات التي تطورت على ارض سوريا وعلى اجزاء من ارض كل من لبنان والعراق والاردن وفلسطين منذ اخذت الشعوب الرحل تستقر وتنتقل من حياة القنص الى الزراعة وعبر الآلاف من السنين . وقد وصف الدكتور هاينتس فيشر الوزير الاتحادي للعلوم والبحث العلمي هذا المعرض بانه من اهم احداث العام في النمسا . وقد صحب المعرض كتاب ضخم في ٣٨٠ صفحة يضم ١٧٥ صورة تمثل القطع المعروضة بجانب ابحاث ودراسات ومقالات علمية وضعها عدد من الباحثين العالميين تناولوا فيها مصنوعات سوريا وبلاد الرافدين ـ سوريا ومصر ـ سوريا واوربا في مطلع العهد الاسلامي ـ سوريا وقبرص ـ كشف سوريا القديمة .

وقبل هذا المعرض الذي انتهى مؤخرا اقيم معرض اخر عنوانه (ثلاثة الاف عام من الفن المصري) قدم اكثر من مائة قطعة فنية مما ابدعته ايدي الفنان المصري عبر الالاف من السنين وقد سمى المعرض (صور للخلود) وهذا المعرض الذي يضم مجموعة (كوفلر ـ ترتبنجر) السويسرية ومجموعة متحف تاريخ الفن في فيينا سبقت معرضا اخر اقيم في منتصف السبعينات بعنوان إخناتون ونفرتيتي وتوت عنخ امون إقتصر على تقديم عرض لفترة محدودة من التاريخ الفرعوني يتسم بالطابع المميز لهذه الفترة بينما إمتاز معرض صور للخلود بالنظرة الشاملة على تطور الفن المصري القديم منذ توحيد الوادي وقيام الدولة المصرية وحتى العصر اليوناني الروماني عندما كانت الاسكندرية عاصمة للعالم بعد افول نجم اثينا وروما .

وفي فيينا ايضا اقيم معرض كبير لنتاج التاثير الثقافي البشري التركي على المجتمعات الاوربية خاصة النمسا ووسط اوربا من خلال الفنون والثقافات والعادات التركية التي اكتسبها الاوربيون من التعامل مع الدولة العثمانية وقد اقيم هذا المعرض في مناسبة مرور ٣٠٠ عام على حصار مدينة فيينا .

اما احدث هذه النوعيات من المعارض الثقافية فهو المعرض الذي سيقام في شهر اكتوبر ١٩٨٥ في مناسبة مرور اربعين عاما على قيام اول جمهورية مقدونية حديثة وهي جمهوريـــة مقدونيـــا اليوغوســـلافية التي تاسست في عام ١٩٤٥ ، وبعد هزيمة المانيا والمحور والاعتراف بحق الشعب المقدوني في ان تكون له دولة تعبر عن هذه القومية العريقة الممتدة في التاريخ الانساني .

ومن المنطقي في ظل هذه التوليفة التي تقوم عليها الحياة في مدينة فيينا ـ والتي وجدت اوضح صورة للتعبير عنها في متحف تاريخ السينما في ضواحي المدينة والذي يقدم في اعمال تسجيلية اسباب تعلق نجوم الفكر والموسيقى والسياسة بمدينة فيينا خلال العصور المختلفة ـ ان يزداد عدد زوار النمسا ومن هنا تزداد بالتالي نسبة مساهمة الدخل السيـــاحي في الدخـــل القومي النمساوي حيث وصلت في العام الأخير الى ٣ر٨ ٪ بينما كانت ١ر٤ ٪ في اليونان ـ ٤ ٪ في اسبانيا ـ ٨ر٣ ٪ في البرتغال ـ ١ر٣ ٪ في سويسرا ـ ٤ر٢ ٪ في ايطاليا . اما اهم جنسيات الزوار فهي المانيا الاتحادية وهولندا وبريطانيا وبلجيكا وفرنسا وسويسرا والولايات المتحدة الامريكية والسويد وايطاليا ويوغوسلافيا والدنمارك والمجر والبلاد العربية خاصة مصر ودول الخليج العربي وتركيا واليابان واسبانيا واليونان والبرازيل

والسينما في فيينا بدات مع تقديم اول فيلم نمساوي في عام ١٩٠٨. ومن اشهر نجوم السينما العالمية ذوي الاصول النمساوية النجمة الراحلة رومي شنيدر والنجم الراحل كورت كيرنجر والنجم فريد استير والنجمة شيللي ونترز وغيرهم .

وهواة السير على الاقدام تجتذبهم مدينة مثل فيينا خاصة في فصل الصيف حيث نجد شوارع كارتنر وجرابن وسوق كوهلماركت يقتصر المرور فيها على المشاه دون مرور السيارات وفي هذه المناطق منتزهات واماكن للجلوس في مواجهة اكبر محلات ومعارض فيينا ومتاجرها الشهيرة والتي تبدو الاسعار فيها مرتفعة والحياة فيها مكلفة بالمقارنة مع غيرها من العواصم الاوربية في وسط اوربا وغربهـــا ، وهي تعرض المنتجـــات اليدوية والفلكلوريـــة الى جـــوار الازيـــاء والملابس والمعروضـــات الحديثـــة . وهي مساحات مكانية تزدحم بالعرض والطلب لكنها لا تبعد كثيرا عن حدائق فيينا التي تتسع لتصل الى مساحة حوالي ٢٠٠٠ فدان (اكثر من ١٦٠٠ هكتار) واهمها حديقة (بورخارتين) حيث تمثال (موتسارت) وحديقة (ستادبارك) حيث تمثال يوهان شتراوس ملحن الفالس الشهير (الدانوب الازرق) لكن الدانوب الذي ابدع شتراوس في تاليف مقطوعة موسيقية تحمل اسمه يبدو اكثر جمالا في توام مدينة فيينا في مدينة (بودابست) التي يخترقها الدانوب ويقسمها الى جزء يسمى (بودا) واخر يسمى (بست) بينما الدانوب يبدو في اطراف فيينا ولم يمتد حوله العمران إلا في الفترة الاخيرة وحيث يبدو المركز الأوربي للامم المتحدة في ضاحية (اونو) وحيث تعقد اجتماعات منظمة (الأوبيك) من حين الى اخر وفي جوار الدانوب في فيينا يطل الجامع الكبير والمركز الاسلامي والمدرسة والمستوصف وقاعة الاحتفالات التي يضمها هذا الملتقى الاسلامي الذي يعتبر المكان الاول في النمسا لتحقيق لقاء ثلاثة ارباع المليون من المسلمين ممن يعيشون في جمهورية النمسا التي يقترب مجموع سكانها من الملايين الثمانية اغلبيتهم من المسيحيين مع وجود اقلية صغيرة من اليهود .

وبرغم التطور الذي لحق بالعراقة التاريخية لمدينة فيينا لا يزال لاهل المدينة عادات يحتفظـون بهـا مثل ارتيـاد مقـاهي (الهوريجين) التي تقع خارج مدينة فيينا وارتياد مطاعم (جريشبيزل) حيث تقع حول هذه المطاعم عدد اخر من المحلات لتجار معظمهم من اصول يونانية وايطالية وتركية .

وفي مدينة فيينا سوق غريب تباع فيه الملابس والاشياء المستعملة يسمى على سبيل الدعابة (سوق البرغوث) وهو سوق (ناشماركت) الذي تباع فيه ايضا التحف القديمة (الانتيكات) . ومن معالم فيينا الشعبية ايضا مدينة الملاهي (البراتير) وكان انشاء هذه المدينة متوافقا مع إقامة اول معرض دولي في فيينا في عام ١٨٩٧ .

إن فيينا توليفة متقنة التاثير في وجدان من يتردد عليها فيها الحرص على اصالة تراث الماضي والنظرة المتلهفة على اختراق حواجز الزمن والاطمئنان على مسيرة التحديث .. وتبتعد فيينا عن مرمى النظر ويظل في الاسماع صدى للالحان العظيمة التي خرجت منها او عبرت عنها مثل فالس (الدانوب الازرق) للموسيقار شتراوس .. وتظل فيينا ايضا حالة خاصة بين عشرات المدن الجميلة لانها نموذج مكتمل الملامح للاختيار الخاص لاهلها وللتاثير بالغ الاهمية لدور الثقافـــة والمثقفين في حياتها .

محمد سعيد

نافذة على الثقافة العالمية

يقدمها : محمد العزب موسى

- هـل صحيح أن دول الجنوب قـادرة على تدمير العـالم؟
- ٧٠٠ فنـان وفنـانـة يلعبون أوبـرا عايـدة على سفح الهـرم
- أسرار السنوات العشر التي حطّمت نفسيّة دستويفسكي
- محاكمات نورمبرج لازالت تلهم الباحثين والكتّاب والقرّاء

١٩٨٧ بعد ١٩٨٤

فى شهر سبتمبر عام ١٩٨٧ اجتمعت الدول المدينة فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية واتخذت قرارا خطيرا : الغاء جميع ديونها للبنوك والدول الأجنبية وعدم الاعتراف بأى مطالبة بهذه الديون ..

لقد وصلت دول الجنوب فى هذا الشهر الى نقطة استحالة الوفاء بديونها الضخمة لدول الشمال ، ولم تعد قادرة على سداد اقساط هذه الديون أو فوائد خدمتها ، فأعلنت مجتمعة أنها لن تؤديها ولن تعترف بها !

هذه هى نقطة البداية فى رواية Cataclism أى الجائحة أو الزلزال أو الطوفان المدمر العنيف للكاتب الامريكى ويليام كلارك ، وهى آخر العنقود حتى الآن من روايات التنبؤ السياسى بالمستقبل . اذ تتنبأ بفوضى عالمية شاملة تحدث فى عام ١٩٨٧ نتيجة لا متناع الجنوب عن دفع الديون .

وتمضى الرواية فتقص كيف تنتقم الدول الدائنة فى الشمال .. فنراها تسارع الى مصادرة كل الأرصدة التى تملكها دول الجنوب فى بنوكها ، والاستيلاء على ما تستطيع الحصول عليه من صادرات الجنوب ، كما تمتنع عن امداد دول الجنوب بأية خبرة فنية أو اقراضها أى قروض جديدة .

ويكون رد فعل الجنوب أن يبذل أقصى استطاعته لتكدير الشمال ، فتتكون حركتان ارهابيتان أهدافها تتبنى الحركة المضادة للعنصرية ، ومقرها منطقة الكاريبى بأمريكا الوسطى ، والثانية : حركة اليد السوداء ، ومقرها نيجيريا ، وتنجح الحركتان فى التنسيق بين جهودهما وتحويل الحياة فى الشمال الى جحيم لا يطاق ، فعن طريق التنسيق مع عملائهما من السكان السود والملونين فى الولايات المتحدة وبريطانيا وجنوب أفريقيا تحدث سلسلة لا تنقطع من اعمال الارهاب والاضطرابات العنصرية


جورج أورويل

وتلويث مصادر المياه وقطع طرق المواصلات وخطوط التليفون وتفجير الطائرات مما يجعل دول الشمال ترتجف وتترنح .

وتفقد جنوب أفريقيا كل ثروتها المعدنية نتيجة لعمليات النسف والتخريب ، وتهرب حكومتها الى الخارج ، ويستولى السود على الحكم ويعرضون على البيض وطنا محليا بالقرب من مدينة الكاب بدون التمتع بالحكم الذاتى الكامل .

وتمضى الرواية فتقول ان اسرائيل سوف ترغم تحت ضغط روسيا وأمريكا على الانسحاب الى ما وراء حدود ١٩٦٧ (وكأن هذه كارثة أخرى للعالم الغربى !) ويفشل مؤتمر فى طوكيو لاعادة تعمير الغرب وتوحيده . وتحاول الدول الغربية استخدام تفوقها الذرى ولكن الأسلحة الذرية تثبت عجزها عن مواجهة قواعد الارهاب ، وتصبح آسيا هى القوة المسيطرة فى العالم ، وينتصر المدينون على الدائنين !

هذه هى الفكرة الأساسية فى رواية الجائحة أو زلزال ١٩٨٧ ، والمعروف أنه منذ وضع الروائى الانجليزى الكبير جورج اورويل روايته الشهيرة « ١٩٨٤ » والكتاب لا يتوقفون عن محاولة مضاهاته والسير فى طريقه ، فقد ظهرت فى الغرب خلال السنوات الأخيرة روايات كثيرة « تحدث فى المستقبل » أو تتنبأ بأحداث مقبلة فى فترة معينة أو عام محدد . ومن هذه الروايات

ذات الطابع « الأوروبي » رواية « انهيار ١٩٧٩ » التي ظهرت قبل ذلك التاريخ بعدة سنوات وتنبأت بانهيار اقتصادى عالمى نتيجة لأزمة البترول ، ورواية « الأيام الأخيرة لأمريكا » لبول ايرومان التي ظهرت منذ ثلاث سنوات تقريبا وهي تتنبأ بانهيار سياسى عسكرى في العالم نتيجة لسياسة التسلح والطموح القومي ، ورواية « على الشاطئ » لينفيل شوت التى تصور الحرب الذرية ، وكذلك رواية « اليوم التالى » التى تحولت الى فيلم شهير يصور ما يحدث بعد انطلاق الصواريخ النووية .

ولكن من الواضح أن رواية « الجائحة » أو زلزال ١٩٨٧ تتحامل بشكل حاد على دول العالم الثالث ، فتصورها بالبلطجة والفساد والارهاب الدولى . أما دول الشمال البيضاء المتقدمة فهى الضحية البريئة لهذه الدول البربرية غير المتحضرة ، وحتى اسرائيل المعتدية على جيرانها العرب تصورها الرواية بأنها مركز حضارى متقدم للغرب في هذا العالم الثالث المتخلف وتأسف الرواية لاجبارها على الانسحاب من الأراضى التى احتلتها ظلما وعدوانا تماما كما تأسف لانهيار الحكم العنصرى للبيض في جنوب أفريقيا ، وكما تأسف لعدم قدرة الأسلحة الذرية لدى الغرب على تأديب هؤلاء الهمج الارهابيين !

والغريب أن هذا العالم الثالث الارهابى الهمجى يبدو في الرواية اكثر ذكاء ومقدرة على التصرف من العالم المتقدم الذى يتخبط في العشوائية والفوضى ، مما دعا بعض النقاد الى القول انه إذا كان الأمر كذلك حقا لما كانت هذه الرواية لأن مثل هؤلاء الدهاة الأذكياء ما كان يمكن أن يكونوا أصلا مدينين ولكان العالم المتقدم هو الذى استدان من العالم الثالث ! !

إنها رواية عنصرية من الطراز الأول علاوة على كونها جافة تخلو من الشخصيات الدرامية والمواقف الانسانية المؤثرة وانما هى تمتلئ بدلا من ذلك بمشاهدة المؤتمرات والجلسات واللجان وعمليات البنوك المملة فهى باختصار تفتقد الحبكة الفنية والاقناع السياسى .

ومما يؤسف له أن تساهم في هذا الهراء شخصيات دولية لها وزنها يقول المؤلف انه استشارهم قبل كتابة الرواية ومنهم روبرت ماكنمارا الرئيس السابق للبنك الدولى التابع للأمم المتحدة وشريدات رامفال السكرتير العام لرابطة الكومنولث .

« عــــايـــدة » على سفح الهرم

ربما سيكون هذا هو أكبر وأضخم عرض اوبرالى في العالم ، اذ لم يشهد تاريخ الأوبرا العالمية مثل هذه الأعداد الضخمة والاستعدادات الهائلة التى يجرى تجهيزها الآن لتقديم « أوبرا عايدة » على سفح هضبة الأهرام في مصر .

يكفى أن نذكر بعض الارقام : من المتوقع ان يشاهد العرض ٢١٦ الف متفرج في ١٦ حفلة اى بواقع ١٣٫٥٠٠ متفرج في الحفلة الواحدة تتسع لهم الصحراء الفسيحة حول سفح الهرم .

ويشترك في العرض ١٦٥ موسيقيا هم مجموع أعضاء فرقتين موسيقيتين عالميتين هما أوركسترا تولوز واوركسترا كولون ٢٠٠,٠ من اعضاء « الكورس » هم أيضا مجموع أعضاء كورس تولوز ، وكورس دى بارم ، وكورس شاتيليه . و ٦٦ راقصة (فرقة باليه تولوز) و ٢٣١ ممثلا وممثلة . أى أن عدد الفنانين المشتركين في العرض الواحد — بما فيهم العازفون الفرديون — لن يقل عن ٧٠٠ شخص .

أما المسرح المقام على هضبة أهرام الجيزة فتبلغ مساحته ٢٥٣٠ مترا مربعا (٥٥ م / ٤٦ م) وارتفاعه ٢٠ مترا بالاضافة الى ارتفاع الهضبة الاصلى وهو ٢٤ مترا .

وقائد هذا الفريق الضخم ، وهو نفسه مصمم هذه المغامرة الفنية ، هو الفرنسى ميشيل بلاسو الذى سبق أن قدم عروضا اوبرالية ضخمة — وإن كانت لم تبلغ في طموحها هذا الحد — فقد قدم أوبرا « فيد يليو » عام ١٩٧٧ في مسرح مكشوف أمام ٣٠٠٠ متفرج ، وتلتها أوبرات « سالومى » و « عايدة » و « فاوست » .

ومن المقرر أن تكون حفلة الافتتاح يوم ٢٦ ابريل القادم (١٩٨٥) وتستمر العروض حتى يوم ١٣ مايو .

وأوبرا عايدة بالذات من الأوبرات التى تتطلب مسرحاً كبيرا تتحرك فيه الجموع الغفيرة من الممثلين والممثلات وراقصى الباليه ، فمثلا مشهد « مارش النصر » الذى يشترك فيه جنود الجيش يتطلب فخامة هائلة تبرز عظمته وتليق بروعة موسيقاه ، وكم يبدو هذا المشهد هزيلا إذا قدم على خشبة مسرح عادية بعدد قليل من الجند ، لأن موكب النصر يجب أن يستمر طوال عزف « المارش » الشهير واذا شعر المتفرجون بتكرار وجوه الجند أو بطء حركتهم فقد المنظر تأثيره . وقد كانت هذه دائما عقبة تحول دون تقديم أوبرا عايدة على المسارح التقليدية . ولكن هذه العقبة تزول الآن تماما إذا قدمت الأوبرا على هضبة الأهرام .

فاذا أضفنا الى جمال العرض الفنى والموسيقى عظمة الخلفية التى تتراءى وراء المناظر وهى أهرام مصر وأبو الهول تتبين الى أى مدى يمكن أن يبلغه التأثير وروعة الأداء .

وسوف تؤدى دور الأميرة الاثيوبية « عايدة » أكثر من فنانة في العروض المتعاقبة وهن جينا ديميتروفا (يومى ٣ ، ٥ مايو) ومارتينا آرويو (أيام ٤ ، ٩ ، ١٢ مايو) وولهلمينا فرنانديز (يومى ٢٨ ابريل ، ٢ مايو) وسيتيا ديل جراندى (أيام ٢٦ ، ٢٩ ابريل ، ٨ ، ١٠ ، ١٣ مايو)

وكذلك يتناوب فنانون مختلفون ادوار اميتيريس ورادامس وآمون رع .

وأكثر من ذلك فإن العروض سوف تختلف أيضا في الإخراج والمؤثرات

المسرحية مما يجعل متابعتها جميعا متعة فائقة .

وسوف تقدم وزارتا الثقافة والسياحة المصريتان كل عون ممكن للمساهمة فى انجاح هذا المهرجان الفنى الذى ينتظر أن يجذب عددا كبيرا من السياح الى مصر فى الربيع القادم .

ماذا يقرأ العالم
دستويفسكي : سنوات المحنة
بقلم : جوزيف فرانك

فى الساعات الأولى من صباح ٢٣ ابريل ١٨٤٩ ألقى القبض على الكاتب الروسى الشاب فيدور دستويفسكى وزملائه من اعضاء خلية سرية اتهمت بالتآمر على اغتيال القيصر . كان دستويفسكى عندئذ فى اواخر العشرينات من العمر ، مهددا اجتماعيا ، غير مستقر نفسيا ، وكان قد بدأ يشق طريقه الى الشهرة الأدبية ككاتب شاب .

وقضى دستويفسكى السنوات العشر التالية متنقلا بين الحبس الإنفرادى والأشغال الشاقة والخدمة فى سيبيريا ، وخلال هذه الفترة أيضا تعرض لمحنة « تمثيلية الاعدام » حين سيق الى ميدان سيمينوفسكى لتنفيذ حكم الاعدام فيه ، ورفع الجنود بنادقهم واطلقوا عليه لتنطلق منها خراطيش لا تؤذى ، ثم أعيد الى السجن بعد أن تجرع غصة الموت الى النهاية ، وهو الحادث الذى أحدث اهتزازا عنيفا فى نفسيته .

ويتناول كتاب جوزيف فرانك هذه السنوات العصيبة الكافية لزلزلة كيان أثبت الرجال جنانا ، وكيف أضيفت اليها فى النهاية كارثة أخرى هى زواجه بامرأة



دوستويفسكى

مدمرة لا يمكن التعايش معها ، الأمر الذى كسر من حدة دستويفسكى النفسية والمذهبية فتغيرت أفكاره ولكن ليس بالقدر الذى يدعيه معظم مؤرخى سيرته ، اذ تحولت آراؤه الى « يوتوبية » على مبادئ الفرنسيين الذين كان يعجب بهم ، وصار يحلم بعالم يسوده الانسجام والعدالة الاجتماعية . ولكنه ظل روسيا حتى النخاع ينطلق من المعاداة الشديدة للعبودية والشعور بعقدة الذنب التى أصيب بها أثناء الإعتقال حين كان يقارن ما يشعر به من الرعب مع ما يبديه الفلاحون المسجونون معه من شجاعة .

« الشيطانة ذات العظام البيضاء »
سيرة حياة زوجة ماوتسي تونج
المؤلف : روس تيرل

كانت ممثلة من الدرجة الثالثة تدعى شيانج كينج ثم أصبحت الزوجة (الثالثة) للزعيم الصينى الكبير ماوتسى تونج وأثبتت خلال حياة زوجها وبعد وفاته أنها شخصية سياسية قوية طاغية .

بدأت شيانج كينج حياتها الفنية على خشبة المسرح فى شنغهاى ، وصارت فى أواخر الستينات من زعماء الثورة الثقافية فى الصين وكادت تخلف ماوتسى تونج فى الحكم بعد وفاته عام ١٩٧٦ ، ولكن خلفاء ماو أبعدوها فتزعمت ما يعرف بعصابة الأربعة التى عرفت باتجاهاتها المتشددة ، وقدمت أرملة الزعيم الى محاكمة تاريخية ، وحكم عليها بالسجن مدى الحياة .

ولكن كتاب « الشيطانة ذات العظام البيضاء » يعالج هذه الشخصية العنيفة من زاوية ضيقة ، باعتبارها « سيدة الشر » التى شقت طريقها الى السلطة باستغلال نقاط الضعف لدى ماوتسى تونج ، ثم كرست حياتها بعد ذلك للانتقام من زعماء الحزب الشيوعى الصينى الذين لم يسمحوا بزواجها من ماو إلا بشرط أن « تبتعد المدام عن السياسة » وهكذا أثبت الحزب أنه يحكم « غرفة النوم » . ولكن جاء الوقت على « غرفة النوم » كى تحكى « الحزب » !

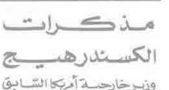
إن المؤلف روس تيريل بتصويره للسياسيين الصينيين وانتماءاتهم الايديولوجية من هذه الزاوية الضيقة انما يهبط بالسياسات الصينية الى مستوى الصراع الضيق على السلطة ، وهو بذلك يتجاهل الأهداف والمنازعات السياسية الحادة التى دخلتها كينج ضد الزعماء الصينيين الأكثر ميلا الى المحافظة ، فنراه بدلا من ذلك يتحدث عن الحياة الخاصة لهذه « المرأة الشريرة » .. عن طعامها المفضل ، ومزاجها الشخصى ، وعلاقتها



أرملة ماوتسى تونغ

السرية بنجم تنس طاولة صينى !

والمؤكد أن المؤلف الأمريكى استقى معظم معلوماته هذه من الشائعات المنتشرة فى هونج كونج ، والثرثرات السارية فى تايوان ، ولكنه للأسف يرى مثل هذه المصادر موثوقا بها ، ولا تتطلب مشقة التمحيص ، ولذا أتت سيرة«حياة » الشيطانة ذات العظام البيضاء ، دون مستوى هذه الشخصية الاستثنائية التى مازالت بحاجة الى البحث العلمى النزيه .



إذا كانت مذكرات الساسة عموما مقالات فى الدفاع عن النفس فان مذكرات الجنرال الكسندر هيج وزير خارجية أمريكا السابق أبلغ دليل على ذلك . فإن هيج فى مذكراته التى صدرت مؤخرا يدافع عما يعتقد أنه قضية عادلة ، وهى تصحيح الظلم التاريخى الذى تعرض له . فقد كان هيج — على الأقل من وجهة نظره — يملك جميع الصفات التى تجعل منه وزير خارجية ممتازا ، ولكنه هزم بسرعة وطرد من منصبه نتيجة لطبيعة نظام الرئاسة فى أمريكا ، واختلاف الطباع بينه وبين الرئيس ريجان .

لقد عمل الجنرال هيج بعزم واصرار على رتق السياسة الخارجية الأمريكية التى تركها كارتر ممزقة ، مما أضاف الكثير الى شعبية ريجان ، ولكنه لم ينجح فى انشاء علاقة شخصية وثيقة بالرئيس لأنه رجل عسكرى غير مدرب على مثل هذه الخبرة الدبلوماسية . ونتيجة لذلك لم يتمكن هيج من أن تكون له اليد الطولى فى رسم السياسة الخارجية الأمريكية ولم يحصل على المساندة اللازمة من ريجان لذلك ، وإنما



هيج ريغان

دخل فى صراعات متكررة مع كاسبر واينبرجر وزير الدفاع الامريكى ، ومجلس الأمن القومى ، وجين كيركباتريك مندوبة امريكا فى الأمم المتحدة خاصة أثناء أزمة فوكلاند . وفى النهاية أرغم هيج على ترك منصبه خلال احتدام أزمة لبنان بعد أقل من ١٨ شهرا فى الوزارة .

ويعتقد هيج أن خطيئته الكبرى التى حورب بسببها أنه حاول أن يعيد لمنصب وزير الخارجية استقلاله وهيمنته على السياسة الخارجية ، وذلك بعد أن تولى هذا المنصب شخصيات ضعيفة منذ أزمة ووترجيت فى عهد نيكسون واختفاء هنرى كيسنجر .

ومذكرات الكسندر هيج تلقى الضوء على بعض دهاليز النظام الأمريكى المظلمة كما تكشف كثيرا من الأسرار داخل حلف شمال الاطلنطى الذى تولى الجنرال هيج قيادته قبل اختياره وزيرا للخارجية .

كتابان جديدان عن محاكمات نورمبرج

فى عام ١٩٤٥ انهار الرايخ الثالث الذى انشأه أدولف هتلر ، وخرجت من تحت حطامه آلاف القصص المرعبة عما كان يجرى فى داخله . وعندما قدم الزعماء النازيون الذين بقوا على قيد الحياة — بعد انتحار هتلر وهيملر وجوبلز واختفاء بورمان — الى محكمة دولية أقيمت فى نورمبرج تكشفت أسرار أخرى جديدة ومثيرة .

وقبل أن تنتهى المحاكمة استطاع جورنج وزير الطيران النازى أن يتجنب الإعدام بالإنتحار ، وصدر الحكم بإعدام عشرة من زملائه ، واطلاق سراح ثلاثة ، وسجن هيس مدى الحياة حيث لايزال يقضى هذه العقوبة فى سجن سبانداو الى اليوم .

وقد صدرت عن محاكمات نورمبرج كتب عديدة ولكن يبدو أنها لم تفقد جاذبيتها بعد بالنسبة للكتاب والباحثين والقراء على السواء .

وفى الأسابيع الأخيرة صدر فى الغرب كتابان عن هذه المحاكمة التاريخية ، احدهما بعنوان « العدالة فى نورمبرج » بقلم روبرت كونوت ، والآخر بعنوان « محاكمات نورمبرج » بقلم آن توسا وجون توسا .

وقد أشاد النقاد بكتاب آن وجون توسا وأثنوا على ما بذل فيه من جهد حيث اعتمد المؤلفان على سجلات المحاكمة التى يضمها ٤٢ مجلدا ضخما بالاضافة الى وثائق الأرشيف البريطانى التى كشف عنها النقاب مؤخرا كما رجعا الى الصحف والمجلات المعاصرة للأحداث ودرسا القانون الدولى لفهم ومتابعة اجراءات المحاكمة . وجاء كتابهما فى النهاية واضحا سهل القراءة حتى فيما يتعرض له أحيانا من نقاط جافة .

وصدور هذا الكتاب يعد بمثابة حظ سيئ بالنسبة للكتاب الآخر « العدالة فى نورمبرج » : فكتاب كونوت لا يقارن بقوة الكتاب الأول وشموله ووضوحه . وقد اعتمد مؤلفه أساسا على الأرشيف الأمريكى ، وعلى المقابلات التى أجراها مع بعض معاصرى المحاكمة ، ولكنه لم يستطع ان يقاوم اغراء سرد القصص المثيرة والمؤثرة مما أضعف من نسيج الكتاب وأهميته التاريخية .

محمد العزب موسى

قصة السريالية في الوطن العربي

الرواد

رمسيس يونان وفؤاد كامل والتلمساني

بقلم : سمير غريب

- رائد سيريالي يتحوّل إلى السينما لأنّها أكثر تأثيراً على الجماهير
- في لوحات السيرياليين : إنسان له ست عيون
- رسّام سيريالي : أريد أن أعبّر عن مشاعر الكرسي عندما نجلس عليه

رمسيس يونان

بدأت المرحلة السريالية عند رمسيس يونان وهو طالب في مدرسة الفنون الجميلة بالقاهرة ،وتعمقت بتعرفه على جورج حنين في جماعة « المحاولين » . استمرت تلك المرحلة حتى عام ١٩٤٧ ، تلتها فترة صامتة استغرقت حوالي ١٠ سنوات ، وهي الفترة التي هاجر فيها الى فرنسا ، رغم اشتراكه في بعض المعارض خارج مصر .

بعد عودته الى مصر بدأ مرحلة أخرى تحول فيها الى التجريد ، دشنها بمعرض جماعي تحت عنوان « نحو المجهول » أقيم عام ١٩٥٨ ، وكرسها بعد ذلك في كتالوج جماعي ايضاً بعنوان « المجهول لا يزال » ، وزع في العام التالي .

كان من الممكن خلال مرحلة رمسيس يونان السريالية التنبؤ بانتهائه في التجريد . فمن خصائص لوحات تلك المرحلة وجود عدةّصلات بينها وبين النّحت ، ملخصها اهتمامه بالكتلة والفراغ داخل تكوين اللوحة ، وتفصيلها باختصار هو :

الاحساس الحي بالجسد البشري . مع كل التحريفات في هذا الجسد ، الذي يتلوى الما أو رغبة . والذي يموت أو تعلق من اطرافه ، أو يأخذ تكوين الحجر في الجسد مركز تعبير اللوحة .

اهتمام الفنان بالفراغ في اللوحة . الفراغ الذي يبرز الكائنات . ويبرز على الأخص صمتها . مثلما يبرز الفراغ في لوحات عدد من الفنانين السرياليين ، أبرزهم جورجيودي كيركو ، حتى يمكن أن نطلق على الفراغ « فراغ سريالي » .

اهتمام رمسيس يونان بالتحليل الصارم . وربما يعود ذلك الى ثقافته وعقله الناقد ، تبدو شخصياته نفسها كما لو كانت خاضعة لفلسفة معينة . أحياناً تغلف وجوهه الرخامية ملامح من صمم فظ . لكن هذه الوجوه الرخامية اختفت في بداية مرحلته الجـديدة التجريدية . وكـان من الطبيعي ــ والأمر كذلك ــ أن يحل محلها الرخام نفسه ، أوشيء شبيه . فقد اشتغل في تلك المرحلة الأخيرة على شكل الحصى ، أو « الظلط » .

لقد تأثر رمسيس يونان بالنحات الانجليزي الكبير هنري مور ، وكتب عنه عدة مقالات . يستند بدرالدين ابو غازي الى ترجمة رمسيس لفقرات يؤكد فيها هنري مور أهمية عناصر التصميم المجردة وامتزاجها مع العناصر الانسانية والنفسية ، ليقرر أبو غازي : « هذا يفسر اتجاه رمسيس في مرحلته السريالية الى احترام التصميم والبناء وتعبيره عن حقيقة خاصة ، عن رؤيا معتزلة داخل اعماقه . وهو يفسر ايضاً عزوفه عن اوتوماتية التعبير عند طائفة من السرياليين . فهو لم يعالج الرسوم التلقائية إلا لماماً . وكذلك لم يقنع بهذه الخزعبلات السريالية التي تعمد الى الاثارة عن طريق تجميع أشياء غريبة متناقضة في مظاهر ومجالات غريبة عن واقعها وحقيقتها ، ضمن هذه الناحية هو اقرب الى الفنان السريالي ماكس ارنست . ابداعه ليس مجرد التفنن أو الابتكار وانما هو ثمرة رؤى تراوده يضاف اليها فكر يغوص في بواطن الأشياء » .

إن « اهتمام رمسيس يونان بعناصر التصميم المجرد وامتزاجها مع العناصر النفسية والانسانية » هي نفس الملاحظة

التي عبر عنها كامل التلمساني قبل أبي غازي بنحو عشرين سنة عندما علق على لوحات رمسيس يونان التي اشترك بها في المعرض الجماعي الأول «للفن المستقل» قائلاً: «انها فن ثقافي من الطراز الأول، تقوم فيه القوى العقلية المفكرة بنصيب كبير، كما تشترك فيه الرغبات المتنوعة لنزعات العقل الباطن المتجردة».

هناك أمثلة عديدة على تلك الخصائص النحتية والتجريدية في لوحات رمسيس يونان السريالية. منها لوحة من عام ١٩٤٤ تبدو فيها أنثى متكئة تذكرنا بأنثى هنري مور تنثني الساقان والذراعان في انسجام.

ولوحة «دون كيشوت» المشهورة التي عرضها لأول مرة في المعرض الجماعي الثاني «الفن المستقل»، للأسف لا نعرف مصير هذه اللوحات، حيث يتجلى فيها «عمق الفراغ» في أعمال رمسيس يونان.

في هذه اللوحة يترجم الفنان بأسلوب مهجور في فن الحفر «الجرافير» المرارة الطويلة في حكاية هذا النبيل الأندلسي «دون كيشوت». نلاحظ فيها احساساً رائعاً لمنحنيات، وسخرية لاذعة، وتصورات لا تنقصها القوة. كما نلمس رغبة الأشكال للتوثب والإنطلاق، لكنها عاجزة عن اتمام الدورة. تبدو القلعة البعيدة في اللوحة «كالشبح»، أمام حصان دون كيشوت الهزيل، بينما الطريق الطويل يبدو مسدوداً، يبرز من بين ثناياه وجه سانكو بانزا البائس العليل، وكأنه وجه مفكر إغريقي هرم، في حين تمتلئ المساحة كلها بصخور جافة ناتئة».

وقد اشترك رمسيس في نفس المعرض الثاني بلوحات «الحجاب المدلى»، «لعبة الداخل»، و«الطفلان» وهي دراسة يقظة ومؤثرة مرسومة بلون ذهبي لامع بشكل عام، يجيد فيها رمسيس يونان الاستخدام الدرامي للضوء والظل، ويبدو لديه احساس «بالمؤثرات الخفية» في التكوين.

إذن، فرمسيس يونان متميز وسط السرياليين. يعود هذا التميز الى امتزاج موهبته بثقافته، ومعرفته الوثيقة بتاريخ وعلامات الفن التشكيلي على مر العصور،



مجموعة من الفنانين السرياليين الشبان في آخر معرض جماعي لهم. وفي الصورة من اليمين: حامد ندا وفؤاد كامل وانجى أفلاطون وتحية حليم ووحيد النقاش



فؤاد كامل

وبخاصة في الفن الحديث. هذه المعرفة التي تظهر في رمسيس يونان الناقد الفني، لقد أطلعه (حمزة كار) استاذه في الفنون الجميلة على عالم سيزان وانطلقت تطلعاته الشخصية بين كتابات اوزنفان وأعمال هنري مور. وهو في هذه الفترة يلتهم كتابات اندريه بريتون الذي أسلمت السريالية اليه زعامتها، ويغوص في نظريات فرويد، ويقرأ اراجون وايلوار، وكل الكتاب والمفكرين الثوار. فتستقر النزعة في نفسه على أسس فكرية ونظرية».

إلا أنه يتفق مع السرياليين في سيادة الاتجاه الى التعبير المأساوي، حتى عندما ركز اهتمامه على «جحيم رامبو» ووجود كامي» وما كان غريباً أن يترجم لهما حين أخرج لوحاته (الطبيعة تنادي الفراغ) و(القيلولة) وغيرهما».

مصور بمعنى الكلمة

ورغم سيادة الاتجاه المأساوي من حيث التعبير، وحرص رمسيس يونان على البناء والتصميم العام وعنايته التي قد تصدم المشاهد بأصغر التفاصيل، «والاستكشاف البطيء الحذر لحبكة الألوان حتى ولو كانت سبيكة من البياض والسواد»، من حيث التشكيل، رغم كل هذا يظل التعبير النهائي والعام لديه تشكيلياً وليس أدبياً.

إن رمسيس يونان مصور بكل معنى الكلمة، «يرسم أعصاباً متوترة الى درجة التقطع، الى درجة استدعاء القطع، رسمه لا يعرف الراحة، ولا التوقف، ولا التراخي». يحرص رمسيس يونان على «تطوير المتطلبات التشكيلية للفن ضمن ميتافيزيقية قهرية بالنسبة له، لا تحول هذه المتطلبات الا صدفة العمل، وليس جوهره أو حقيقته طالما يسارع الفنان بالاستجابة لشروط التوازن والكتلة».

ونجد في أعماله الأكثر شجاعة تحكماً جمالياً يأتي من دراساته السابقة. وتحقق حساسيته التشكيلية نوعاً من التوازن الصحي، يساعد تلوينه الساخن والدقيق على ابراز العنف الموجود في بعض لوحاته، بينما تمتلك لوحات أخرى جمالاً يستدعي الجمال المؤثر الذي يعطيه الرسامون الصينيون القدماء الى وحوشهم.

وللأسف، استغرق كثير ممن كتبوا عن

الرواد

المرحلة السريالية عند رمسيس يونان في الوصف الخارجي للوحاته ، مما جعلهم ينزلقون الى التركيز بسطحية على الرمز الأدبي ، أو كما قالوا : التعبير عن الجوع أو الحرمان أو المعاناة منهما . هناك مئات من المصورين عبروا عن تلك الأزمات الخالدة ، لكننا نظلم رمسيس يونان حينما لا نرى في لوحاته السريالية إلا مجرد التعبير عن أزمة أو جوع . إن الرمز عارض ، أما التكوين والأسلوب فباقيان بقاء الفن . وهما اللذان يكتسبان قيمة فنية ، بينما يختزن الرمز كقشرة خارجية لهما .

أذكر هنا مثلين من الناقدين صبحي الشاروني ومحمد شفيق . يقول صبحي الشاروني رغم أنه من أفضل من كتبوا في مصر عن السريالية من الكتاب المعاصرين — « في تلك الفترة كانت لوحات رمسيس يونان ورسومه من خلال ألوان بنية داكنة أشكالاً غريبية تصدم المتفرج . وتدور حول الجوع والحرمان . فمثلاً نجده في احدى لوحاته يرسم طبقاً عليه صدر امرأة . وفي أخرى شجرة تثمر عيوناً وصدورا . وفي لوحة (العشق المفترس) التي رسمها عام ١٩٤٠ يتجلى اهتمامه بالتعبير عن أعماق العقل الباطن والصراع الذي يعتمل هناك حول الجنس » .

نفس التعبير يكتبه محمد شفيق بأسلوب أكثر مجازاً : « في هذه المرحلة ، نشاهد مظاهر فن تصويري مشحون بدراما فاجعة يختلط فيه الحلم بالواقع ، ويقوده خيال محموم تتصارع فيه شتى الرؤى . تبرز فيه وجوه غرقى تندلع فيها انسانية مرعبة ، تنادي في يأس من ينقذها . وأياد تلتف حول الأجساد تعتصر رحيقها ، كالأفاعي المفترسة . ونساء في أجسادهن قسوة وتشنج حيواني ، وأشجاراً تنبت في صحراء قاحلة ذات صدور . وقبضات معروقة تمتصها الرمال . النسوة عجائز يلبسن (اليشمك) ، في اختناق الموت الأخير . وكانت أبرز أعمال هذه المرحلة لوحتي (على سطح الرمال) ١٩٣٩ و(العشق المفترس) ١٩٤٠ » .

وعندما يتناول نفس الكاتب لوحة أخرى من لوحات رمسيس يونان السريالية يصفها أيضاً بلغته الأدبية قائلا : « في عام ١٩٤٥ رسم يونان امرأة غريبة مغلولة الجسد ، مستلقية في بؤس وفي ألم ، أمام سد هائل من السواد ومن القتامة التي ربما تكون قتامة سماء أو قتامة بحر . تحيط بها الظلال الكثيفة من كل جانب . وهي تذكرنا بشخوص بيكاسو البائسة التي راح يصورها على امتداد مرحلته الزرقاء » .

أنا لا أنتقص هنا من مستوى كتابة الكاتبين . كما لا أعني أن الفقرات السابقة التي كتباها تنقص من مستوى إبداع رمسيس يونان . لكنني أعني أنهما لم ينقذا رمسيس يونان ، بل عبرا عن لوحاته السريالية بوصفها من وجهات نظرهما . وهذه ليست مشكلتهما فقط ، بل هي مشكلة تتعلق بنقد الفن التشكيلي بعامة وفي مصر بخاصة . وتزداد حدة المشكلة عندما يتعرض الكاتب لفن سريالي أو تجريدي مما ينتج ظلما للفنان المصور حتى ولو بوصف بديع لابداعه . على كل حال ، ليس هنا مجال الخوض بالتفاصيل في مشكلة محض نقدية ، لكننا سوف نواجهها في الكتابات التي تناولت أعمال سرياليين آخرين .

من السريالية الى التجريد

يشير معرض رمسيس يونان الذي أقامه في باريس عام ١٩٤٨ الى بداية مرحلة الانتقال من السريالية الى التجريد . يزيد في أهمية هذا المعرض كتالوجه الذي احتوى خطابات متبادلة بين الفنان وجورج حنين ، والتي تشكل « وثيقة ذات أهمية خاصة عن مولد العمل الفني في نفس فنان ذي معرفة حميمة بأبحاث شعراء الطليعة . يتجلى من هذه الوثيقة التوجس من كل ما هو حيلة » . كما تتيح المقارنة بين الفنان والكاتب : « فهذا التوجس أوضح عند الكاتب — جورج حنين — منه عند الفنان رمسيس يونان . يقول جورج حنين أن ما لا اسم له هو وحده الذي يوجد حقاً .. لكن يبدو أنه مشغول بالقلق أكثر من إنشغاله بالخلق الفني » . ونجد ترجمة كاملة لهذه الخطابات في الفصل الخاص بالوثائق من هذا الكتاب .

تجنب رمسيس يونان في هذا المعرض :

« كل ما هو تلقائي . يحرص على انقاذ الأشكال التي تتولد بين يديه بالحب الذي يحمله لها . اذا نظرنا في أعماله بدت لنا لأول وهلة سبيكة عجيبة من الحبر الشيني واللون الأبيض . بحث فيها بمقشطه بعد ذلك حتى يعثر على أشكال قد يصفها البعض بالتجريد ، والبعض الآخر بأنها مستوحاة من الطبيعة لفرط ما تفصحه لغزيتها من مجالات التصوير . على أنه يبدو أن الفنان يسعى أكثر فأكثر الى التخلص من كل تهويل ومن كل ما يربطه بفكر ينطوي على قليل أو كثير من الرومانتيكية ، وأعماله التي تتميز بصلابتها تبشر بتصوير عار عرى النجوم ، حتى لينسينا طريقة صنعها » .

هناك اختلاف حول نقطة انتقال رمسيس يونان الى التجريد . فبينما يجمع شوقي عبدالحكيم وفؤاد كامل على أنها في عام ١٩٤٧ إلا أن الأول يرجعها الى المعرض العالمي للسريالية في باريس ، ويرجعها الثاني الى معرض « الأعمال الأوتوماتية » في القاهرة الذي أقيم في مدرسة الليسيه فرانسيه . أي عندما كان رمسيس يونان ما زال داخل اطار السريالية .

لماذا انتقل رمسيس يونان من السريالية الى التجريد ؟

يجيب شوقي عبدالحكيم : « كان مفهوم رمسيس يونان للخيال أكثر انطلاقاً وتحرراً من مفهوم السرياليين . ذلك المفهوم الذي يقول عنه رمسيس يونان أنه كان محدوداً ومسوراً . ولا يتعدى المفهوم الفرويدي . وهو مفهوم يقود الفنان الى القوقعة داخل الموضوع . والموضوع لا يتعدى تناول المشكلات والقضايا التي تصطرع داخل المجتمعات الحديثة دون التعمق والتوغل في الجذور والمقومات الأولى المجردة

للأشياء » . وأنا أذكر هنا اجابة شوقي عبدالحكيم مع التحفظ على التعبير الذي ينسبه الى رمسيس يونان بأن مفهوم السرياليين كان « محدوداً ومسوراً ولا يتعدى المفهوم الفرويدي » . فانا لم أعثر على هذا التعبير على لسان رمسيس يونان في أي مكان آخر . كما أن شوقي عبدالحكيم نفسه لم يذكر المصدر الذي أخذ منه هذا التعبير .

بينما يجيب داود عزيز على نفس السؤال برأي غريب : فهو يرى أن رمسيس لم يبرز في التجريد شأن البارزين من أقطاب هذه المدرسة ، وأن انتقاله من السريالية الى التجريد « بمثابة عملية هروبية ومحاولة لمسايرة فكرة الانتشار التي لمسها الفنان في اوربا ولم يدرك حقيقة أن هذه المدرسة نفسها أي التجريد في طريقها الى الأفول في اوربا ذاتها » . بالطبع لم تأفل التجريدية كما قال داود عزيز ولن تأفل ، وهو نفس الشئ الذي قيل عن السريالية من أنها ماتت بينما يغيب عن أذهان البعض أن هناك اتجاهات في الفن لا تموت لانها مستمدة من الحياة نفسها ولا تخرج عنها . وأخشى أن يكون داود عزيز قد انطلق في رأيه هذا من منطلق سياسي فقط . وعلى أية حال لم يعرف عنه ولا عن شوقي عبدالحكيم ، أنه ناقد تشكيلي .

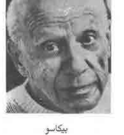
في كتالوج « المجهول لا يزال » الذي وزع في معرض حامد ندا عام ١٩٥٩ يوضح رمسيس يونان بنفسه السبب الأساسي لانتقاله من السريالية الى التجريدية ، والذي يكمن كما اسماه في « طلاسم الكون » التي يقف الفنان حائراً أمامها . وهو لا يجري كما جرى شوقي عبدالحكيم أو داود عزيز وراء الإقلال من شأن السريالية أو تحقيرها ، بل يعترف بفضلها كمرحلة هامة في حياته الفنية والفكرية : « إن هذه الحركة السريالية يرجع الفضل كذلك في أول محاولة جدية لخلق اسطورة جديدة يلتقي فيها الواقع بالخرافة والظاهر بالباطن والحكمة بالجنون والأوج بالحضيض ، والحياة بالموت ، حتى تصبح مبعث نور والهام للنفوس الولهى المتعطشة التي تناهبتها في هذا العصر شتى عوامل الحيرة والشك والقلق . غير أن هذه الأحلام والأشواق بالرغم مما أشعلته من مواقد لا تنطفئ ، لم تستطع أن تصمد مع تلك الوساوس التي أصبحت بمثابة عصب الوعي الحديث وقوته اليومي . وهكذا عاد الإنسان وجهاً لوجه أمام طلاسم الكون ، لكأنه عاد إلى حيث كان في فجر الخليقة . وقبل أن يبتدع الأساطير التي تضفي على الأشياء مغزى ومدلولا . وهكذا لم يعد في وسع الفنان ذي الوعي في هذا العصر أن يصطنع لنفسه بيتاً بين أحضان طبيعة فقدت في نظره شفافيتها ، ولا أن يقنع بالحياة في اطار زائف من الأشكال الهندسية المنسقة ، أو المجازات المستعارة . لذلك نراه يعمد الآن الى تفجير هذه الأشكال عله يعثر تحت الأنقاض على مادة الوجود الأولية وقسماته الخفية » .

الواضح من هذا التفسير أن تحول رمسيس يونان من السريالية الى التجريدية مبعثه فكري في الأساس « عله يعثر تحت الأنقاض على مادة الوجود الأولية الخفية » . لأن حيوية التجريد تعتمد على التحليل والتركيب وليس على حياة الواقع أو الأسطورة . فهل عثر رمسيس على مادة الوجود الأولية في مرحلته التجريدية والأخيرة ؟ ذلك سؤال أرجو أن أجيب أو يجيب كاتب آخر عنه في بحث آخر .

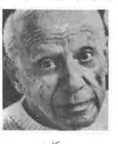
فؤاد كامل

ولد فؤاد كامل في بني سويف في ٢٨ ابريل ١٩١٩ . وهو واحد من الذين أثر فيهم يوسف العفيفي عندما كانوا تلامذة في المدرسة السعيدية الثانوية ، وكان العفيفي يدرسهم الرسم وفتح عيونهم على الفنون البدائية . واصل فؤاد كامل طريقه الأكاديمي فحصل على دبلومي المدرسة العليا للفنون الجميلة والمعهد العالي للتربية الفنية . عمل مدرساً للرسم مثل رمسيس يونان في بعض المدارس ، واختير مثل رمسيس ايضاً للتفرغ عام ١٩٦٠ . اشترك في جماعة « الشرقيين الجدد » عام ١٩٣٧ حيث تعرف على كامل التلمساني الذي كان من أكبر المتحمسين لها . كما اشترك في جماعة « جانح الرمال » عام ١٩٤٧ والتي أقامت معرضاً للأعمال الأوتوماتية في نفس العام . كان من أهم المعارض التي شارك فيها عدا معارض الفن المستقل ، معرض « نحو المجهول » ، الذي أقيم بقاعة « كولتورا » في القاهرة عام ١٩٥٨ ، ومعرض السريالية الدولي في باريس عام ١٩٤٧ . حصل على الجائزة الأولى في التصوير في معرض « الفنانين العرب » الذي أقامته جامعة « برديو » في الولايات المتحدة عام ١٩٤٨ ، مثلما حصل على الجائزة الأولى في التصوير في بينالي الأسكندرية عام ١٩٦٨ .

كان فؤاد كامل من اصغر اعضاء جماعة الفن والحرية . عندما اشترك في المعرض الأول للفن والحرية عام ١٩٤٠ ، لم يتجاوز عمره واحداً وعشرين عاماً . تميز في تلك الفترة برسم البورترية ، ومن أهم تلك الرسوم البورترية صديقه « كونتروفيتش » . وتتضح في تلك الرسوم قدرته الأكاديمية في دراسة تشريح الجسد الانساني والتي يستفيد منها في تصويره السريالي . كان تصويره في تلك الفترة يميل الى الزخرفة ،



بدر الدين أبو غازي



بيكاسو

مع اجادة مزجه للألوان . يرى الناقد ديمتري دياكوميدس أن فؤاد كامل كان في مرحلته السريالية متأثراً ببيكاسو . كما يرى أنه يكشف في تكويناته غير التشخيصية عن حساسيته ، وحاسته الجيدة تجاه الألوان وخياله الخصب وأسلوبه المتين .

رومانتيكية خصبة

في رسوم تلك المرحلة محاولة مستمرة لخلق علاقة روحية بين الفكر الانساني والمواد الجامدة .يحكي جون باستيا أن ناقدا كبيراً طلب من فؤاد كامل تفسيراً « لخربشاته المزدحمة بالألوان » فرد عليه فؤاد بأنه يريد التعبير عن مشاعر الكرسي عندما تجلس عليه . ويعلق باستيا قائلا : « نحن واثقون بأنه لو استطاع الكرسي فسوف يحتج على تفسير السيد فؤاد كامل » . يصف فؤاد كامل نفسه في كتالوج المعرض الثاني للفن المستقل : « شاعر عندما لا يكون لديه ما يشتري به ألوانه . صامت دائماً . للمرأة كلحن موسيقي أثر فعال في خلق اجواء صوري . يوم صاحت أعماقي (يا أختي الشجرة ويا أخي الحجر) غمرني في الوقت نفسه قانون الوجود الواحد في كل شيء ، وشعرت بالتناسق العجيب الذي يربط ويخضع كل كائن في نظام دقيق معجز . بت لا أقلق اذا ما نظرت مثلا لتعاريج ظهر جاموسة كأنها استمرار متنقل لجزء من جبل ضخم أو عندما لا أفرق كثيراً بين معرفة حصان وشعر امرأة ، أو بين مقعد وجسم بشري . إن بين الموت والحياة الدائمة معركة هائلة تنتج أكبر تشويه رهيب أواجهه في صوري . إن في أغوار كل شيء روحاً تدب فيه حتى الجماد » .

وهذا كلام رومانتيكي خصب . نجده ايضاً في لوحاته السريالية . والسريالية نفسها ذات جذور رومانتيكية في الأساس . أوضح سمات هذه الرومانتيكية عند فؤاد كامل تلك المسحة من القلق في وجوه شخصياته . كثيراً ما تبدو هذه الشخصيات ذات الحواس المرهفة في حالة من الثورة والقسوة . يمزج فؤاد كامل هذه الشخصيات أيضاً ، والتي التزم فيها بالتشريح العضوي مثلما فعل سلفادور دالي بالخيال السريالي . وقد لاحظ ذلك الناقد غالي شكري : « بدأ فؤاد كامل سرياليا على استحياء من الرومانتيكية الكامنة في الأعماق » و « عبرت لوحات فؤاد كامل (خلال الأعوام ١٩٣٩ ، ١٩٤١ ، ١٩٤٤) عن نفسها بالتطلع الى المستقبل ، بمزجه الحس الرومانتيكي الأصيل باللمسة السريالية الوافدة مع نيران الحرب العالمية الثانية .فرؤوس الخيل ذات الدلالات الفرويدية (١٩٣٩) ورؤوس البشر ذات الأعين الجاحظة الى المجهول (١٩٤١) والعاصفة الهوجاء التي تخرج ألسنتها الملتهبة لتغبط الحلم النائم بكابوس الرعب (١٩٤٤).. هذه كلها تستلهم خطوطاً ناعمة استسلمت كثيراً لبريق المنظور الواقعي وان اكتسى بشطحات الخيال الرومانسي . فعلنا نجد في هذه المرحلة أصابع الأيدي وشعر الرؤوس وعيون الوجه وقد التزمت بالرغم من الحلم السريالي قواعد اللعبة التقليدية في تصور التشريح العضوي لأجزاء الجسم البشري » .

ويلاحظ غالي شكري أن فؤاد كامل في بداية الخمسينات تخلص من النزعة الرومانتيكية مع استمراره في الخيال السريالي ، فيما حطم المقاييس التشريحية « لا يفاجئنا فؤاد كامل طيلة السنوات (١٩٥٤ ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٧) ، بتحوله عن الحلم الرومانسي ، وانما هو يوجه أعمق جهوده الى الخيال السريالي النقي من أوشاب الرومانتيكية والغنائية ، والملوث بطين الفزع من المجهول . لقد أوشكت الشباك أن تصيد شيئاً ، وكالرعب الذي استولى على العجوز في قصة همنجواي والقرش يأكل سمكته الكبيرة ، استولى الرعب على فؤاد كامل من قبل أن تصيد الشباك ، بل لعله خاف أن يكون هناك صيد على الاطلاق . هكذا تتحطم كافة المقاييس التشريحية دون وجل في لوحات هذه الفترة ، وتختفي رؤوس الخيل لتبرز رؤوس البشر . فالانسان الحضارة وليس الانسان العضوي هو محور التراجيديا التي اكتشف الفنان بعضاً من أهوالها ..) .

بينما بكر رمسيس يونان بالتحول الى التجريدية في نهاية الأربعينيات من هذا القرن ، يتمهل فؤاد كامل حتى نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات ليتحول اليها . يؤرخ غالي شكري بلوحة لفؤاد كامل من عام ١٩٥٨ بأنها أوحت بهذا التطور الجديد « حين تخلص الفنان من أصول العالم السريالي وترك الحيز التشكيلي نهباً للمساحات والخطوط بما يومئ أن (تكويناً) جديداً يلوح في الأفق » .

كامل التلمساني

شخصية كامل التلمساني من أكثر شخصيات جماعة الفن والحرية تميزاً . كان نموذجا متفردا ، عاش حياته الفنية والشخصية بالعرض . ولد في اسرة فقيرة ، اعتمد على نفسه في تكوين نفسه . في الثقافة ، يملك ذهنا محورياً . ينطلق من نفس المبادئ في رؤية الفروع : أدب ، سينما ، مسرح ، فن تشكيلي .. وغيرها . كتب عدة مقالات في الفن التشكيلي نسيج خاص ، لم يكتب مثلها في مصر حتى الآن ، واعني تلك السلسلة التي نشرها في جريدة « دون كيشوت » بعنوان « الفن في مصر » بالفرنسية . له صور أدبية نشرها في مجلات نرجو أن تجمع يوماً ما في كتاب ، منها ما نشر في مجلة « المجلة الجديدة » تحت عنوان : « من الحياة والفن » . اخرج للسينما العربية واحداً من أهم الأفلام في تاريخها : «السوق السوداء» . كان مناضلا سياسياً مع كل هذا ، بالقلم والفعل . وله عشرات المقالات السياسية ، وقعها باسمه الصريح أو باسم مستعار وبعضها بدون توقيع . هذا بالاضافة الى دوره كفنان تشكيلي في جماعة الفن والحرية ، رغم أنه الوحيد فيها الذي توقف عن الرسم مبكراً عام ١٩٤٥ وتحول الى السينما . لكنه في تلك الفترة القصيرة أثر على عدد من الفنانين

التشكيليين الشبان ، مثل انجي افلاطون التي شجعها على الاشتراك في معارض الجماعة .

كانت السريالية نقطة انطلاق في حياة كامل التلمساني استمرت زهاء عشر سنوات فقط وحتى منتصف الأربعينيات . ورغم ذلك كان في تلك الفترة مع رمسيس يونان الناطقين باسم الحركة السريالية في مصر باللغة العربية بينما كان جورج حنين محركها والناطق باسمها بلغات اجنبية . وفي هذا نذكر دفاعه المثقف عن الحركة في بدايتها ضد الهجمات التي انهالت عليها ، ونجد بعضاً منه في الفصل الخاص بالوثائق .

كان كامل التلمساني شخصية قلقة وطموحة . وربما لهذا السبب ترك « النضال السريالي » عندما شعر أن هذا الطريق يختنق في مصر . كان حلمه أن تصل أفكاره لأكبر عدد ممكن من الناس . لهذا مارس وسائل عدة ، ثم انتقل الى « وسيلة اعلام جماهيرية » . أو سحر القرن العشرين : السينما . هذا السحر الذي يوضح تأثيره عليه في مقدمة كتابه : « عزيزي شارلي » الذي كتبه عن عبقري السينما « السير » شارلي شابلن .

يلقى حسن التلمساني شقيق كامل والذي شارك ايضاً في بعض معارض الفن المستقل الضوء على حياة كامل الشخصية والفنية والسياسية : « ولد كامل في قرية (نوى) مركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية . ظل فيها حتى أنهى دراسته الابتدائية ، ثم انتقلت الأسرة الى القاهرة عام ١٩٢٥ ، وتنقلت بين أحياء حلوان والصليبة والجيزة . دخل كامل المدرسة السعيدية الثانوية . وحصل على البكالوريا عام ١٩٣٠ تقريباً . بدأ الرسم بالمدرسة متأثراً بالاستاذ يوسف العفيفي مدرس الرسم بالمدرسة . كان كامل يتردد على قريته ويرسم المناظر الطبيعية . ثم دخل كلية الطب البيطري . وظل بها خمس سنوات رسب خلالها أكثر من مرة ولم يتمكن بسبب اهتمامه بالرسم من الحصول على البكالوريوس فترك الكلية عام ١٩٤١ .

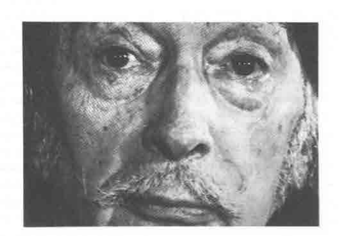
كان كامل يعمل أحياناً اثناء دراسته ويساعد أسرته عن طريق بيع صوره والكتابة في الصحف والمجلات ، مثل « مجلتي » التي كان يرأس تحريرها أحمد الصاوي محمد . وليس أدل على حبه للفن من أنه فضل الذهاب الى افتتاح معرضه الخاص في قاعة جولدنبرج بميدان مصطفى كامل بالقاهرة في نفس الوقت الذي كان يجب عليه فيه أن يذهب لأداء امتحان نهاية العام في الطب البيطري » .

أكثر الأفلام واقعية

يقول حسن التلمساني أن شقيقه كامل كان متأثراً بجورج رووه ، وأنه كان فناناً واقعياً ثورياً لذلك تحول الى السينما وأخرج أكثر الأفلام المصرية واقعية وهو فيلم السوق السوداء عام ١٩٤٦ ، الذي وضع فيه كل فكره وفنه ، لكنه لم ينجح جماهيرياً وحاربه أصحاب السوق السوداء الحقيقيون . يؤيد هذا الرأي حول تحول كامل الى السينما مقالة كتبها عن « السينما فن القرن العشرين » قال فيها أن الرسم لا يصل الى الجماهير وأن البرجوازية فقط هي التي تشاهد الأعمال التشكيلية . وأن السينما هي أفضل وسيلة للوصول الى الجماهير .

عمل كامل قبل اخراجه فيلم السوق السوداء كمساعد مخرج في ستديو مصر من ١٩٤٤ حتى ١٩٤٦ . وبعد فيلم السوق السوداء أخرج أربعة افلام روائية تجارية — أملا في الوصول الى الجماهير — لكنها لم تنجح ايضا . هي : « أنا وحبيبي » ، « كيد النساء » ، « البوسطجي » ، « الناس اللي تحت » . كما كتب عن السينما « سفير امريكا بالألوان الطبيعية » بالاضافة الى كتابه سالف الذكر « عزيزي شارلي » . وله رواية مات قبل أن يتمها اسمها : « أم محمد » عن نفسه وأسرته ، أرجو أن تنشر كذلك .

سافر كامل التلمساني الى بيروت عام ١٩٦٠ نتيجة مشاكل خاصة وأسرية . وكان قد تزوج أربع مرات في حياته ولم ينجب خلالها . وظل في بيروت حتى توفي في أول مارس من عام ١٩٧٢ . عمل خلال تلك الفترة في الكتابة للسينما والمسرح والراديو . ومن أشهر أعماله الإذاعية « المقامات اللندنية » التي أذيعت من القسم العربي



سلفادور دالي



بهيئة الإذاعة البريطانية ، وتخيل فيها عودة الحريري الى الحياة واقامته في لندن .

عن نشاط كامل السياسي يقول شقيقه حسن : « كان كامل ثوريا بشكل عام . لم ينضم الى جماعة الخبز والحرية بينما شارك في تأسيس جماعة الفن والحرية :

عبر رمسيس يونان عن كامل التلمساني الفنان التشكيلي عام ١٩٤٢ قائلا :

« قد يكون التلمساني ممثلا ، لكنه ممثل انغمر في دوره وتشعبت به دماؤه وشحنت به أعصابه وتمغلس به قلبه وذهنه ... »

« وقد نرى في صورة التلمساني زرقة السماء وخضرة الحقول وحمرة الورود ، لكن للسماء وللحقول وللورود وللحمرة وللخضرة وللزرقة في صوره معاني غير تلك المعاني التي يراها الخارجون للنزهة مع عيالهم أيام الجمع أو أيام الآحاد ... »

« هذه الوجوه الكليلة المكدودة ، وهذه الأجسام المتلفة لوعة المحاطة بهالة من السواد ، وهذه العيون التي مازالت تلمع بشرر التمرد مع شدة الإعياء وهذه الشعور الشريدة بين عواصف الحيرة والقلق والثورة ، ثم هذه العواطف المكبوتة السجينة وسط العظام المشدودة ، والأصابع المتوترة ، ثم هذه الألوان التي رغم قيمتها تحتفظ في اركانها ببريق حاد من الأضواء الدافئة ... هذا ما تقابلنا به ، بل هذا ما تفاجئنا به صور التلمساني . وقد لا تسعدنا المقابلة ، ولكن المفاجأة تصدمنا فنحس خلال اعصابنا أصداءها تتابع حلقة بعد حلقة حتى تصل الى قرارة الأحشاء » .

غزارة الالهام الروحي

هذا هو جو لوحات ورسوم كامل التلمساني كما عبر عنه رمسيس يونان ، وله علاقة بأسلوبه في الرسم . اذ أنه يعتمد بالفعل على تأثير : الصدمة . وعلى التعبير عن الواقع من خلال السريالية ، لذا فهو يحطم النسب المعتادة ويدخل في الخيال .

يقول اتين مريل عن ابداع كامل السريالي : « إن الخواطر التي تجتاز نفسية التلمساني وتسكب فيها ذكرياته المخزونة من الصور هي نفس الخواطر التي اوحت لكتاب المآسي الاغريقية أقنعتهم المثيرة وخناجرهم المزدانة بالورود الحمراء التي تدمي الصدور المقدمة لها . وتدمي الخواصر سريعة الخفقات ، وتدمي العيون المتعبة من رؤية النهار . لا يستطيع الانسان أن يحب التصوير لذاته فقط . ويرفض الاعتراف بالرموز الجوفاء التي لا تقدر على المحافظة على كيانها ... الا اننا نجد هنا شيئاً آخر مختلفاً هو صور التلمساني التي نرى فيها غزارة الالهام الروحي ، وأسراره التي تستحق التقدير . وعلى الرغم من امتلاء صوره بعناصر الهدم والتحطيم فان القيم الفنية لهذه الصور مازالت سالمة » .

ويبدو أن كامل التلمساني كان متطرفاً في استخدام « عناصر الهدم والتحطيم » هذه ، حتى أن اتين مريل يكتب : « رغبة في ارضاء أكثر الناس إعتدالاً ، بدأت الشخصيات التي يرسمها التلمساني الآن تكتفي بجرعات محدودة من الشناعة لتزيين آلام العيش المتوسط » . وذلك بعد أن كان التلمساني « يصور الوجه الانساني مزداناً بستة ازواج من العيون » .

هذا بينما يقرر أ . رافونه : « لابد لنا اما أن نقبل فن التلمساني بحرفيته الكاملة دون أي تحفظ ، أو نرفضه على الاطلاق . فمن علامات الضعف أن تمدح باعتدال ، فالتحيز ضرورة لازمة » . رافو نفسه يقبل فن التلمساني .. لماذا ؟ لأنه يوصل الينا في هذه اللمحة السانحة من الحياة عواطف ستبقى دائما خارجة عن نطاق الزمن . إننا نعترف به لأن من حلقاته المتواصلة من الآلام والتشنجات من جحيمه وطينته وتطرفه من كل هذا تتكون سلسلة مؤكدة وثيقة الصلة بحقيقة تعسة تحاول الشياطين بخبثها ابعادها عنا طيلة الحياة وحتى ساعة الموت . اننا نجد انفسنا في هذا الفن لانه مبدع من روح مجردة مطلقة .. هذا الفن الذي يعرف كيف يخترق قلوبنا ليدمي في مروره ما بقي منها ، إن كان ثمة ما بقي » .

الفن في خدمة المجتمع

تصف ايمي ازار كامل التلمساني بأنه ولد من تمرد وغليان فترة الحرب العالمية الأولى . تظهر أعماله الأولى المعالجة بالجواش فناً عنيفاً ، وإحساسا دراميا متميزا بالألوان ، وجمالية صدمة . تعانقت التشنجات وصرخات اليأس والنوبات الواقعية الحية للأزمنة المؤقتة » .

كان التلمساني نفسه يقرر : « السواد والدماء والأشكال الممزقة والخطوط الحزينة الصارخة هي الصور الوحيدة التي يمليها على الفنان عالم غير متجانس تعيش فيه انسانية مشوهة » .

الغريب أن يتوقف التلمساني عن الرسم عندما خفت كمية الرعب وازدحام الألوان في لوحاته . وبدأ يمتثل للقواعد الجوهرية للتصوير الزيتي ، مع الاحتفاظ تماماً بحسه العاطفي ، وتقديمه للشكل المؤثر للجروح الانسانية . لكن يبدو أن التناقضات التي وقع فيها كانت تحتم تلك الهجرة التي حسمت تناقضاته في نفس الوقت . فبينما وقف في صف السريالية يدافع عنها محاولا الرسم بأساليبها ، كان ينادي « الفن في خدمة المجتمع » ، والسريالية تقول بأن الفن ليس خادماً لأي شيء . وكان يهاجم الفن التجريدي ، مثلما هاجم كاندنسكي لأن صوره مساوية في تأثيرها لأي صورة من الصور التي تتبع طريق عزلة الفنان عن الحياة والمجتمع ... مجرد مساحات جميلة من الألوان وترتيب منسق للخطوط والأشكال والأحجام تختفي خلالها اللهجة المباشرة للكفاح ، والانعكاس المباشر للحياة وارتطامها » . وهذا الكلام هو نفس ما تنادي به الواقعية الاجتماعية ، وكان السرياليون ضد هذه النظرية .

وهكذا . كان لابد أن ينتقل كامل التلمساني الى السينما ويخرج « السوق السوداء » .

سمير غريب

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

صفحات « الأوراق الخضراء » يحتلها هذا العدد الأديب العربي الكبير الدكتور زكي مبارك ، وهي مجموعة من الخواطر المتفرقة البديعة كتبها سنة ١٩٤٢ ... وقد مر على كتابتها الآن أكثر من أربعين سنة ... فهل تغيرت الأيام ، أو أن ما كان يفكر فيه زكي مبارك ويعاني منه ما زال يجري في طبائع الناس وواقع المجتمع ؟ ... هذا ما نتركه لحكم القراء ، الذين نحب أن نلفت نظرهم هنا ، وخاصة أبناء الجيل الجديد منهم ، إلى أسلوب زكي مبارك الساحر ، وطريقته العفوية في التفكير والتعبير ، وآرائه الجريئة ، وصدق تجربته الوجدانية في الاحساس بالحياة والناس .

« الدوحة »





بقلم : الدكتور زكي مبارك

أوهـــام تخلق متاعب

في صدر هذه الليلة عانيت متاعب كادت تقصم ظهري ، وكدت أخشاها على حياتي ، ثم لطف الله فتبددت بعد ساعات أطول من الآباد .

فما تلك المتاعب ؟

هي متاعب خلقتها أوهام في غاية من السخف ، ولكن النص عليها واجب لمنفعة القراء ، فقد يكون فيهم من تعتريه مثل تلك الأوهام في بعض الأحوال .

التفت بغتة فرأيت نفسي تراجع طوائف من الذكريات الموصلة بمعاملاتي في جماعات من المعارف والأصدقاء ، فانقبض صدري أشد الانقباض ، وتجسمت أمام خيالي ألوان الأوهام بصورة لم أشهد مثلها من قبل ، صورة مروعة قاسيت منها ما تقاسي النار من الريح العصوف .

وفي فورة تلك الكروب جاء لطف الله فرأيتني أقول : ومن أولئك وهؤلاء حتى اعاني في العتب عليهم مثل هذا العذاب ؟ اذا غدر بك القريب فليس بقريب ، واذا تجنى عليك الصديق فليس بصديق ، ومن واجبك أن تحفر قبراً تدفن فيه من لا يرعى

حق القرابة . ولا حفظ عهد الإخاء . ما اهتمامك بمن يرضيهم أن تشقى نفسك ؟ وما عتبك على من يسرهم أن تزل قدمك ؟ وما حزنك على ضياع مودة كان يجب أن تضيع لأنها في رعاية الضائعين ؟ ! أمن اجل خلائق مراض القلوب تمرض نفسك ؟ امن أجل إخوان غدرة تؤذي قلبك ؟ أهؤلاء وأولئك يستحقون أن نفكر فيهم ساعة من ليل ؟ وهل أكرموا أنفسهم حتى يكرموك ؟ وهل أعزوا حياتهم حتى يعزوك ؟ إن حزنك لما صنعوا معك دليل على أنك دائم الإشفاق عليهم . وقد نصحك الشاعر صادق رستم حين قال :

شر البلية إشفاق على فئة
لو كنت توكل ما عفوا ولا شبعوا
تبيت تبكي لصرف الدهر بفجعهم
ولو رأوك على الأعناق ما دمعوا !

لا تشفق عليهم ، وأشفق على نفسك أيها الغافل عن حقائق الخلائق . فلو أنك استبقيت ما أنفقت من الوقت في صحبتهم لتنفقه في تربية البهائم ، لكنت اليوم من كبار الأغنياء ... وقد نصحك المثل المصري فما انتصحت ، المثل الذي يقول : «كل ماتزرع ينفعك ، الا إبن آدم تزرعه فيقلعك» ! وهؤلاء يحققون صدق هذا المثل افظع تحقيق . فهم يقولونك ما لم تقل ، ويذيعون عنك أغرب الأحاديث ، وقولهم فيك مسموع ، لأنهم عرفوك . ومن حق من عرفك أن يقول فيك ما يشاء .

وما ضرني الا الذين عرفتهم
جزى الله خيراً كل من لست أعرف

ما جزعك من غدر صديق ؟ وما حزنك من لؤم أليف ؟ أنت أنت ، ولن يكون بلاؤك بأولئك وهؤلاء ، غير سحابة صيف ، ثم ترجع إلى إسباغ نعمائك على الجاحدين

تذكر يا غافل فضل الله عليك . تذكر انه عصمك من الجحود حين أغناك عن الناس . والجحود رذيلة لا يتعرض لها غير المبتلين بتقبل إفضال المفضلين من أهل الكرم المطبوع أو المصنوع .

وأراك تبدئ وتعيد في أحاديث البر بأصدقائك ، ولو ناقشوك لأفحموك ، فما قبلوا برك إلا حين اطمأنوا إلى أنك رجل كريم ، والكريم غير منان .

وما الوقت الذي تقول إنك أغدقته على الجاحدين من إخوانك ؟ لقد دفعوا ثمن المعروف أضعافاً مضاعفة . لو كنت تنصف . دفعوه تحيات وابتسامات ، وهي معان تفوق كرائم الأثمان . ودفعوا ما هو اعظم ، لو كنت تعقل . فقد أشعروك بلسان المقال او لسان الحال أنك رجل نفاع . وذلك أعظم ما يوصف به أكابر الرجال .

أنت تمن على أصدقائك ؟ فماذا أبقيت للمتجرين بالأخلاق ؟ !

كان الظن أن تنسى جميلك إن كنت من أصحاب الجميل ، ولكنك ...

وهنا أفقت قليلاً فسائلت نفسي عن سبب التفوه بذلك المن السخيف :

ماذا أكلت اليوم من الطعام ؟ ومن لقيت من الناس ؟

يجب أن أعرف ما وقع في يومي هذا ، لأعرف سبب السخف الذي وقعت فيه حين مننت على معارفي وأصدقائي .

في عصرية اليوم — وهو الخامس من شهر آب — كنت أهنئ فلانة بعيد ميلادها السعيد ، وفي لحظات الصفاء حدثتها أني ولدت في مثل هذا اليوم ، فهتفت بحماسة مصحوبة بالحنان :

Nous arrivons en même temps!

نعم ، يا سيدتي ، وثمرات الأعناب في شهر آب :

ثم قلقت نفسي قلقة عنيفة حين تذكرت أني لا أحتفل بعيد ميلادي كما يحتفل أكثر الناس : وكيف يتيسر ذلك وأنا اخلق في كل لحظة خلقاً جديداً ، باعتبار ما يرد على عقلي وروحي من شتيت الآراء والأهواء ؟

وسألتني عما أستظرف من هدية الميلاد فأبيت الإفصاح عما أريد وإن كنت اشرت إلى أني معجب بدالية مسلم بن الوليد !

وغفلة فلانة عن مدلول هذه الإشارة لم تزعجني ، لأنها قليلة المعرفة بقصائد صريع الغواني !

فما السبب الأصيل لاضطرابي وانزعاجي في هذا المساء ؟

لعل السبب يرجع إلى أني قضيت صباحية اليوم بوزارة المعارف ، وهي مملوءة بالمراوح ، ولتفصيل ذلك أقول :

في مكاتب كبار الموظفين بوزارة المعارف مراوح كهربائيةتدور من جانب الى جانب ، ليقل خطرها فيما يقال ، وأنا رجل يؤذيه البرد الطبيعي أشد الأيذاء ، فكيف يتحمل البرد الصناعي وهو ثقيل ثقيل ؟

أنا لا أخاف المراوح الثابتة ، لأن تجنب تيارها مستطاع ، وإنما أخاف المراوح الدوارة ، المراوح التي تغزو الصدور والمفاصل برغم التحرز والاحتراس .

وهذه المراوح كثيرة في وزارة المعارف ، وأنا منها في شقاء وعناء ، ولا سيما المروحة الجاثمة بمكتب تفتيش اللغة العربية ، ومن أجل هذا أوصي زائري بمقابلتي في مكتب الأستاذ علي أدهم سكرتير الرجل النبيل شفيق بك غربال ، لأنه مكتب مضنون عليه بالمراوح ليساير الطبيعة في أمان .

واه ثم آه من المراوح في وزارة المعارف ! إنها تخلق تيارات عنيفة الايذاء ، وهي

السبب في بلبلة بالي في هذا المساء .

وأعجب العجب أن المراوح الدوارة تحتل جميع المكاتب الحكومية ، وكأنها النمائم المبذولة بغير حساب ، فأين من يرحمنا من تلك الرياح الباغية ؟ وأين من يعرف أن القيظ في آخر أحواله أروح من البرد ؟

عرفت بالضبط والتحديد سبب اعتكاري في هذا المساء ، فما عن لؤم أو حقد غمزت معارفي وأصدقائي ، وإنما هي جناية المراوح بوزارة المعارف ، وسيأتي يوم قريب او بعيد ترفع فيه تلك الآصار الثقال .

إن قوماً يعجبون من ثورتي على الناس والزمان ، فهل يعرفون أن المراوح تلفح وجهي في كل مكان ؟

لو صفا دهري لصفوت ، ولو عدل زمني لعدلت ، واختلال الموزون يخل الميزان .

بمن أثق ؟ وعلى من أعتمد ؟ وما اطمأننت إلى صديق إلا رأيته بعد حين أو احيان وصولياً عديم الروح والوجدان .

ومع هذا أصفح عن أبناء زماني ، لأنهم أبناء الزمان .

ومع هذا أيضاً أبتسم حين يلقاني فلان وعلان .

فضحتكم يا جماعة المنافقين ، فالتمسوا قلباً غير قلبي ، وحبيباً غير حبيبي ، وانتظروا غضب الله على جميع المرائين .

ثم ماذا ؟

ثم أشير إلى غربتي في وطني بالفكر والروح ، غربة قاسية لا ترحم ولا تلين ، غربة أتوحد بها توحد الليث في العرين .

فرحة الأديب بالأديب



الياس أبو شبكة

عبارة « فرحة الأديب بالأديب » تعد من مبتكرات ابن الرومي من حيث الصورة والمعنى ، برغم كثرة النظائر والأشباه في تصوير هذا الخاطر الظريف . ومع أن أدباء هذا الزمان لا يفرح بعضهم بلقاء بعض إلا في أندر الأحيان ، فأنا أفرح من أعماق القلب حين يصل إلى سمعي أن أحد الأدباء بسم له الدهر بعد عبوس ، وقد أطيل الشكر لله حين يظهر كتاب يشرف أحد الباحثين ، كالذي صنعت حين ظهر كتاب « عيد الأزهر الألفي » للأستاذ محمد عبدالله عنان ، وكالذي سأصنع كلما ظهر كتاب جيد ، ولو كان مؤلفه من ألد خصومي ، فقد قضيت اعواماً وأعواما في الحديث عن الحب إلى أن فاض القلب وامتلأ فلم يبق فيه لنائرة الحقد مكان .

ولكن ما سبب هذه الخواطر الوجدانية ؟

كان ذلك بعد قراءة مقال في مجلة الجمهور البيروتية ، مجلة الأستاذ « ميشال أبو شهلا » وهو أديب مر بمصر مرة فرأى الأستاذ الزيات أن يكرمني بمعرفته في مسامرة أدبية ، وكان الزيات يقيم بالقاهرة « في ذلك الزمان » وكانت اسمارنا لا تنقطع ، فقد كنا نتلاقى روحاً إلى روح في كل مساء عن طريق الهتاف ، وأن لم نتلاق وجها إلى وجه إلا لحظة واحدة في كل شهرين .

متى يرجع الزيات إلى القاهرة؟ متى يرجع ؟

المقال الذي اثار هذه الخاطرة الوجدانية هو مقال نشره الأستاذ « إلياس أبو شبكة » وهو أديب تحرش بي عدة مرات ولم أغضب عليه لأنه حقاً أديب ، والأديب الحق مغفور الذنوب .

وما أثارني هذا المقال إلا بفضل ما فيه من الدلالة على حيوية الأريحيه العربية في الديار السورية ، فقد ذكرني بماضينا الغالي ، ثم ذكرني بحاضرنا المزعج ، الحاضر المثقل بالعقوق ، الحاضر الذي يقضي بأن يعيش الأستاذ أحمد علام أسابيع وهو معصوب العينين بعد عملية خطيرة ، ولكنها باذن الله مرجوة النجاح ، ثم لا نقرأ في إحدى المجلات الأدبية كلمة يتوجع كاتبها لفنان كانت عيناه أجمل ما رأت العيون .

لقيني الأستاذ أحمد علام مرة بعد فراق طال ، فاعتذرت عن تقصيري بكثرة الشواغل ، فابتسم ابتسامة العاتب ثم قال : سيكون نصيبي منك نصيب الأستاذ محمد السباعي ، فلا تؤدي حقي من الوفاء إلا بعد ان أموت !

ولقيني مرة بعد ذلك فقال : كيف تشيد في مجلة الرسالة بمواهب الأستاذ ابراهيم الجزار في إنشاد الشعر ثم تنساني ؟

فقلت : إن ابراهيم الجزار مات ، ولم يبق له غير وفائي .

فقال : عيب الدكتور مبارك أنه يذكر الأموات وينسى الأحياء .

ومنذ يومين كنت أسير في شارع فؤاد فهتف هاتف والترام يعدو به عدواً : دكتور ، دكتور ، دكتور ! فالتفت فاذا الأستاذ عباس فارس ، فقلت : نعم ، نعم ، نعم ! فقال : هل زرت الأستاذ احمد علام ؟

ومضيت إلى ما أريد قبل أن يمضي الترام الى ما يريد ، فلن أرى أحمد علام إلا بعد أن يرفع العصائب عن عينيه الساحرتين ، فهل يكرمني الله فيبرئ هذا العليل النبيل لأزور معه شواطىء النيل قبيل الغروب ، ولنقول معاً بصوت الشكران للواهب المنان : هنا وقفنا قبل عشرين عاماً أو تزيد !

أنا أقدم جائزة لمن يثبت ولو عن طريق التلفيق أن الأستاذ أحمد علام نكث بعد عهد ، أو خان بعد وفاء .

ذلك روح لا تجود بمثله الأقدار إلا في القليل من الأحيان .

فارفع العصائب عن عينيك يا أحمد لتقرأ هذه الكلمات ، ولتعرف أن أخاك لا ينساك ، ولتفرح « فرحة الأديب بالأديب » ، يا أجمل أمثلة الأدب في هذا الجيل .



احمد علام

عصا الياس

هي عصا شعرية ، واليها يرجع الفضل في تذكيري بالواجب نحو الأستاذ أحمد علام ، عصا سوداء ورثها الأستاذ الياس أبو شبكة عن أبيه ، ثم أوحت إليه هذه الأبيات اللطاف :

عروس تزيت بزي الدجنه
ولقنها ساحر الليل فنه

تناهت إلى والدي من أبيه
وأورثنيها عجوزاً مسنة

لئن كشرت في الدجى عن بريق
أخافت طيوف الظلام وجنه

إذا هبط الليل أرخي لها
على حصبات الطريق الأعنة

فيسمع من صلبها العاشقون
وقد أرقوا رنة إثر رنة

أنين سرى من عروقي إليها
فرن بها كصليل الأسنة

ثم وقع أن أخذ أبو شبكة إلى دار الشرطة بتهمة التجمهر في أحد الأيام السود ، ولم ينج من السجن إلا بعد أن سمع بخبره وزير الداخلية ، وردت إليه الشرطة كل ما اخذت منه إلا عصاه ، فصرخ : هاتوا عصاي ! فقال أحد الرؤساء : عصاك التي قلت فيها شعراً ؟ فأجاب : نعم ، عصاي التي قلت فيها شعراً .

ولم تعد العصا برغم هذا الصراخ ، فكتب في جريدة المعرض يقول :

« أيها الجندي الذي خطف عصاي من يدي ، من أنت ؟ ومن تكون ؟ وأي شأن لك بعصاي ، عصاي التي قلت فيها شعراً ؟ » .

وبعد أسبوع تبارى اللبنانيون بالهدايا ، هدايا العصي الى الشاعر الذي فقد عصاه الشعرية ، وسرى الخبر إلى اللبنانيين في المهاجر فتلقى عصاً من الأرجنتين وعصا من البلجيك ، وبهذا كان أعظم شاعر « مضروب » في هذا الزمان .

أكرم الله أهل لبنان ، فما يزالون من أمثلة الأريحية العربية !

علوبة باشا مع الأستاذ

الحديث ذو شجون ، كما يقال ، فليس من الإسراف أن أستطرد فأقول :

منذ عامين لقيت الأستاذ الجليل محمد علي علوبة باشا بقصر عابدين وفي صحبته الأستاذ أنطوان بك الجميل ، فدعاني برفق ليسر إلي إحدى نصائحه الغالية ، فاشترطت أن يسمع الأستاذ الجميل خشية

أن يستوحش من إبعاده عن حديث هو منه قريب .

علوبة باشا ــ أنا أقرأ مقالاتك باعجاب .

زكي مبارك ــ يشرفني أن يكون معالي الباشا من قرائي

ــ ولكن ...

ــ من حق القراء أن يعلقوا على مقالاتي بألف « لكن » لأني أكتب في كل يوم ، ولا يسلم المكثار من العثار ، فما « لكن » عندك يا معالي الباشا ؟

ــ لكني أراك كثير الشكاية من زمانك

ــ هذا صحيح ، و « لكن » هل يذكر الباشا أنه كان وزير المعارف ؟

ــ أذكر ذلك ، فماذا تريد أن تقول ؟

ــ أريد أن أقول : إني لم أكن أملك الدخول عليك بدون استئذان ، ولهذا صحت نيتي على أن لا أرى وجه وزير إلا إن دعاني

ــ أنت مسرف في سوء الظن بالوزراء ، فلهم شواغل لا تخفى عليك .

ــ هذا الاعتذار مقبول ، إذا كان الزائر رجلاً من أصحاب المطالب ، وأنا رجل نفضت يدي من الدنيا ومن الناس ، فما حجة الوزير الذي لا يرى أن أراه بدون استئذان ؟

ــ الوزراء مشاغيل .

ــ والأديب غير مشغول ، يا معالي الباشا ؟ إن للأديب شواغل وجدانية وروحية وعقلية وفلسفية لا تخطر لبني آدم في بال ، وهو مسئول عن رعاية وطنه في حاضره وماضيه ، فيعادي من يعادي ويصادق من يصادق في سبيل الوطن الغالي ، ثم يكون جزاؤه أن يعتذر أحد الوزراء عن مقابلته بحجة أنه مشغول .

ــ أنت مزعج ، يا دكتور مبارك !

ــ المزعج هو الذي يطالب بالانصاف ، وأنا لم أطلب من أحد إنصافي ، وانما أسأل كيف يسرني أن أستصبح بوجه أحد الوزراء فلا يتم ذلك بدون استئذان ؟

ــ إن رجعت إلى الوزارة فسأبلغ من انصافك ما تريد

ــ وإن رجعت إلى الوزارة فلن تراني ولن اراك ! !

محمد علي علوبة باشا

ــ ما هذا الذي تقول ؟

ــ أنظر ثم انظر إلى ذلك الجانب تر (معالي ... باشا) ، فهل تراني هرعت للتسليم عليه ؟

ــ أنت مخطئ ، فهو رجل جليل

ــ ولكنه وزير أديب !

ــ وما عيب الوزراء الأدباء ؟

ــ عيبهم أنهم كانوا معنا فطاروا عنا ، وأنهم لا يحفظون حق الأديب على الأديب .

ــ وهل تحفظ حق إخوانك إذا صرت من الوزراء ؟

ــ حقق الله نبوءتك ليكون لي إخوان !

ثم نظرت فرأيت وزير المعارف السابق قد انصرف (بدون استئذان) ، ورأيتني أهتف بقول ابن دراج :

سلام على الاخوان تسليم يائس
وسقيا لدهر كان لي فيه إخوان
مضى عيشهم بعدي وعيشي بعدهم
كأني قد خنت الوداد وقد خانوا

مطلع قصيدة

كان نقاد الأدب من العرب ينصون على مطالع القصائد ، كأن ينوهوا بهذا المطلع :

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل

فهل في مطالع القصائد لهذا العهد ملامح تذكر بتلك المعاني الصحاح ؟

نعم ، ثم نعم ، فقد نظم الدكتور رشيد كرم قصيدة ليلقيها في المؤتمر الطبي العربي الذي سيعقد في بيروت ، وكان سيعقد في هذه الأيام ، لو سمحت هذه الأيام !

ابتدأ قصيدته فقال :

متى كانت لنا « سينا » حدوداً

وأنا أسأل السؤال نفسه فأقول :

متى كانت لنا « سينا » حدوداً

ومتى ترفع الحواجز الجمركية بين الأمم العربية والإسلامية ؟

زكي مبارك

١٩٤١



الممثلة « انوك ايميه » التي ارتضت أن تقوم بدور صغير في فيلم « النجاح أحسن انتقام »

الحنين إلى الوطن في ثلاثة أفلام.. هزت المشاعر

عندما نترك بلادنا اضطراراً .. ونحط متاعنا على أرض أخرى .. وننفض أشياءنا من الحقائب . لنعيد ترتيبها في البيت الجديد .. ونخرج الى الشوارع . نتأمل الأشجار والمنازل والمارة .. ونضبط أنفسنا للدوران في عجلة الحياة الجديدة .. ونخضع لساننا للغة الحوار الجديد .. في تلك اللحظات يصبح علينا أن نكون مثلهم .. وألا نفكر كثيراً فيما كان من ذكريات الوطن والأهل والأصدقاء .. !!

ولكن .. هل نستطيع ؟!

في تجربة الاغتراب .. تتعدد الحالات . وتختلف من شخص لآخر .. ولكن بالنسبة للفنانين والمثقفين . يصبح الأمر أكثر صعوبة .. تتفجر المشاعر دائماً باللهفة والحنين .. وتتعلق الروح بصورة أو صوت أو رائحة أو مذاق .. يذكرهم بالوطن ..



الممثل «مايكل يورك» في فيلم «النجاح أحسن انتقام»

المترجمة الايطالية، بطلة فيلم «حنين»

البيت القديم .. الشارع الذي شهد سنوات من العمر .. نسمة الهواء ذات مساء.. فرع الشجرة الذي يزهر مع الربيع .. أصوات الأهل والجيران .. الضحكات والحكايات .. اشراقة الشمس من وراء زجاج النوافذ .. رائحة المطابخ وهي تستعد لاحتفال عائلي .. حتى ذكريات الأيام الصعبة . يصبح الكلام عنها بنبرة مليئة بالشجن والحب !!

الحنين الى الوطن .. أطلقوا عليه تعبير «المرض» .. والتعبير علمي تماماً .. ولكن اذا كان هذا «المرض» يلحق بكل الذين دخلوا تجربة الاغتراب .. إلا أنه مرضاً له أعراض أخرى عند الفنانين . الذين ارتبطت جذورهم بتراب الوطن .

وقد سجلت السينما العالمية هذه المشاعر في العديد من الأفلام . على مر السنين .. ولكن المثير للتأمل أنه من خلال الأعوام الثلاثة الماضية ، بلغت هذه السينما قمة التعبير الصادق ، في ثلاثة أفلام عن بولندا والاتحاد السوفيتي .

والأفلام الثلاثة عرضت بالتوالي في مهرجان «كان» السينمائي .. وحققت نجاحاً فنياً ملحوظاً . لم يستطع أن ينكره أحد .

ولنبدأ بفيلم هذا العام .

النجاح أحسن انتقام

هذا هو عنوان الفيلم كما اختاره المخرج البولندي «جيرسي سكوليموفسكي» الذي يعيش الآن في لندن مع عائلته .. بعد أن ترك بلاده منذ سنوات طويلة ، عندما منعت الرقابة البولندية عرض فيلمه «ارفعوا ايديكم» ــ عام ٦٧ ــ فخرج غاضباً .. متنقلا بين بلجيكا وايطاليا وانجلترا التي استقر بها أخيراً .. يصنع الأفلام كلما أمكنه ذلك .. يكتب السيناريوهات والشعر والقصص .. ويمثل أحياناً .

وفيلمه الجديد «النجاح أحسن انتقام»





الحنين إلى الوطن
في ثلاثة أفلام .. هزت المشاعر

الممثل الانجليزي « مايكل يورك » الذي لعب شخصية المخرج المسرحي البولندي في فيلم « النجاح أحسن انتقام » وعلى يمينه « مايكل ليندون » ابن المخرج في الواقع وفي الفيلم

يفجر من خلاله شحنة الحنين الى الوطن .. فيما يشبه السيرة الذاتية .

بل أن عائلته الصغيرة اشتركت كلها في تمثيل الفيلم .. زوجته الممثلة البولندية السابقة .. وولداه ! مايكل (١٦ سنة) وجورج (٩ سنوات) .. وكانت هذه هي المرة الأولى التي يقفان فيها أمام الكاميرا ليمثلا !

بل إن سيناريو الفيلم كتبه المخرج بالاشتراك مع ابنه « مايكل » . الذي اختار ا ن يكون اسم الشهرة « مايكل ليندون » .

يفتخر الأب ــ المخرج جيرسي ــ بأن ابنه هو صاحب فكرة الفيلم .. ويقول عنه : « إنه يهوى الكتابة .. وفي ذات يوم وجدته يقدم لي قصة عبارة عن مزيج من الفانتازيا والخيال العلمي .. فقلت له .. لماذا لا تكتب شيئاً عما تعرفه بالفعل .. ذلك سيكون أصدق .. وولدت على يديه فكرة الفيلم » .

ويستطرد المخرج معلقا : « أرجو ألا تفهموا الفيلم على أنه قصة حياتي .. انني لا أنكر أن كثيراً من الأحداث والمواقف عشتها بالفعل .. ولكن ما أردته من الفيلم أن يصور حياة فنان يصطدم بآرائه مع ابنه في الغربة » !

مأزق عدم التكيف

والفيلم يبدأ بذلك الاحتفال الرسمي الذي تقيمه وزارة الثقافة الفرنسية لتسلم وسام الشرف الى هذا المخرج المسرحي البولندي (الذي يناضل من أجل حرية بلاده . وهو بعيداً عنها)

وبين مظاهر هذا الاحتفال .. تتركز الكاميرا على ابن ذلك المخرج البولندي . وهو يحاول افساد وتعطيل الوصلات الكهربائية التي تغذي أجهزة التصوير والتسجيل التليفزيوني . وتكون النتيجة : ضياع الصوت !

المخرج البولندي يلقي كلمته في انفعال : « لو اتيحت لي الفرصة لأضربت مرة أخرى احتجاجاً على الأحكام العسكرية »

ولكن صوته لا يظهر عبر شاشة التليفزيون !

ويبتسم الابن في سعادة وخبث .. فهو في داخله يرفض استمرار غربة والده .. وغربتهم بالتالي ..

ويتضح لنا هذا مع توالي المشاهد .. لتكشف لنا : أن هذا المخرج المسرحي البولندي . يعيش في لندن مع أسرته الصغيرة وأنه يستعد لاخراج مسرحية لتعرض على المسرح الانجليزي ويخصص دخلها لمساعدة بولندا ..

وهو مع حماسه وحبه للمسرح .. يواجه باعتراضات زوجته البولندية : « اذا كنت تتصور أن هذا العرض المسرحي الذي ستقدمه .. شيئاً هاماً .. فأنت بالقطع مخطئ .. ونظام الحكم في بولندا لن يرضيه هذا .. وتماديك في هذا الطريق سيجعلنا لن نرى بلدنا مرة أخرى » .

والزوجة لا تكف عن اعتراضاتها .. وهي تشعر بالتعاسة من هذه الغربة .. ولا تستطيع التأقلم مع المجتمع الانجليزي .. وأيضا لا تستطيع أن تهضم إنشغال زوجها بهذه المسائل التي تبعدها عن العودة الى وطنها .

لقد وصل بها الضيق الى مداه .. وتشعر بالاختناق .. وتثور أعصابها من كل ما يحيط بها .. فالبيت الذي يسكنون فيه غير صالح للاستخدام .. الحوائط والأسقف هشة ومتآكلة !! والسيارة التي يستخدمونها قديمة وكثيرة الأعطال .. ومن أجمل اجزاء الفيلم تلك المشاهد التي تصور تصادماً في الطريق بين سيارة المخرج وزوجته . وسيارة مواطن انجليزي .. ويخرج الانجليزي من سيارته ثائراً ليضرب المخرج المسرحي على وجهه .. فتنتفض الزوجة وتنهال على الانجليزي ضرباً بحقيبتها حتى تسبب له جرحاً في وجهه .. وينطلق مسرعاً لينجو بنفسه لنكتشف أنه تقدم بشكوى ضدها .. وتحول الشكوى الى المحكمة .. لنرى فصلا ممتعاً وساخراً من النظام الانجليزي مما يزيدها كراهية لهذا المجتمع الغريب عنها .. حتى أنها رفضت أن تتعلم اللغة الانجليزية : « انني احب بلدي .. ولغة بلدي .. وليست عندي أدنى رغبة في تعلم الانجليزية »



المفكر السوفيتي

العالم الايطالي



الابن الذي تتناوبه مشاعر الفرح والخوف !

الابن .. يقرر الخلاص بنفسه

ونفس الموقف من رفض الغربة .. يتخذه الابن .. ولكن بأسلوب مختلف تماما عن أمه ..

فاذا كانت الأم لا تستطيع غير الشكوى .. فهو بحيويته وشبابه والميل الطبيعي للمغامرة ، يستطيع أن يتخذ خطوة حاسمة ..

عنده من الأسباب ما تجعله مقتنعاً تماماً بما يفعله .. فهو غير قادر على التلائم مع المجتمع الانجليزي .. ويواجه في المدرسة بعبارات التنديد من بعض زملائه التلاميذ ، من أنه ليس انجليزياً وانما مجرد أجنبي أقل درجة منهم .. وعندما يحتك به أحد زملائه في المدرسة ويتعمد افتعال معركة معه .. يجد أن نظام المدرسة والمدرسين يقفون مع التلميذ الانجليزي ويحاولون تبرئته على حساب ذلك الأجنبي الوافد

ويكتم ثورته واحساسه بالمهانة .. ويهرع الى منزله يكاد يبكي .. ولكنه يتمالك بصعوبة .. ليفتش في ادراج مكتب والده عن جوازات السفر الخاصة بهم .. وينزع صورة أمه من على جواز سفرها ليحتفظ بها لنفسه وهو يتمتم بحب « انها أجمل صورة لأمي » !

ويأخذ جواز السفر الخاص به .. ويحمل الكاميرا السينمائية التي اشتراها له والده منذ ايام قليلة هدية عيد ميلاده .. لطالما تمنى هذه الكاميرا .. وفي سبيلها تعرض والده لموقف سخيف مع مديرة المسرح الانجليزي وهو يطلب منها سلفة اربعمائة جنيه .. وهي ترفض في جفاء وبرود ، أن تستجيب له .. واستمر يتوسل لها محاولا اقناعها . حتى انه لم يجد بدا من أن يبوح لها أنه يحتاج لهذه النقود لكي يشتري كاميرا هدية لابنه .. فما كان منها الا أن تصرخ في وجهه بدهشة واستنكار .. ولكنه حصل على السلفة .. واشترى الكاميرا لابنه .. دون أن يذكر له كيف عانى من أجل الحصول على ثمنها ..

وها هو الابن في غمرة الضيق .. يرضى بأن يبيع هذه الكاميرا بنصف ثمنها لتاجر انجليزي جشع .. ليقبض على النقود .. ليسرع الى شركة الطيران البولندية .. ليشتري تذكرة « ذهاباً فقط » الى وارسو

لقد قرر أن يعود سريعاً الى وطنه ، دون أن يخبر أحداً .. غير فتاته الانجليزية التي تعرف عليها في علاقة عابرة ..

ومن أبرع مشاهد الفيلم سينمائياً .. تلك المشاهد التي تصور رحيل الابن .. وشوارع لندن الخالية من المارة ليلا .. والاتوبيسات الانجليزية الحمراء في تشكيلات استعراضية بكشافاتها المضيئة .. وكأنه وداع بارد جاف لا ينبض فيه غير قلب ذلك

هل يكفي النجاح ؟

ووسط كل هذه الخيوط الاجتماعية المتمزقة .. يستمر الأب المخرج المسرحي .. في معاناته الصعبة ، من أجل انجاح العرض المسرحي الذي يريد أن يقدمه لصالح بولندا ..

ويكشف الفيلم بذكاء وسخرية .. تعقيدات الادارة الانجليزية التي تتعامل مع الفن ، بالأرقام الصماء .. التي لا تقبل اي تجاوزات وتتدخل في رؤية المخرج الفنية .. وتناقشه في كل التفاصيل ابتداءا من الديكور .. الى اعداد الممثلين الكومبارس ..

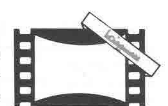
في نفس الوقت الذي يعيش فيه المخرج مشاكل زملائه في العرض المسرحي .. نرى مساعده البولندي الذي أرسل لزوجته في بولندا ثمانية خطابات ، ولم يتلق منها رداً .. فقرر الاعتكاف حزناً ويأساً .. !

ولكن بالرغم من كل الصعاب التي تواجهها المخرج ـ سواء على نطاق عائلته الصغيرة أو على نطاق العمل ـ يستطيع أن يحقق عرضاً مسرحياً ناجحاً .. ويهتف المخرج بفرح وانتصار « يحيا العالم » .. ولكن هذا الفرح ينقطع فجأة عندما يتسلم رسالة ابنه الذي سافر فعلاً الى وطنه بولندا .. وكتب لأبيه يقول « أنا ذاهب للأشياء الحقيقية .. للشمس والهواء .. واصدقائنا .. انا ذاهب الى وارسو .. الى منزلنا »

وينتهي الفيلم على تعبيرات وجه الأب .. وظل ابتسامة يتسلل في راحة وطمأنينة .. وكأن الابن حقق ما لم يستطعه الأب !

البيت الحقيقي

وفكرة الفيلم تفيض بالحنين الى الوطن .. وتعكس كل مشاعر الحب الأصيلة والتي ينبع منها القدرة على الاستمرار والعطاء



الحنين إلى الوطن في ثلاثة أفلام.. هزت المشاعر

فبعد كل هذه السنوات من الغربة .. يبقى دائماً الاحساس بأنك لا تعيش في بيتك الحقيقي .. وأنك في حالة انتظار دائم لكي تعود !

وبالرغم من بساطة وعمق ، ونبل هذه المعاني .. إلا أن المخرج البولندي « جيرسي سكوليموفسكي » اختار أسلوباً معقداً في اخراجه للفيلم .. حيث مزج بين الحلم والواقع .. وقفز في بعض مشاهده من الحاضر الى المستقبل .. وخلط بين مباريات الكرة واستعراضات المسرح !

وكأن المخرج أراد أن يجسد معنى انطلاق الخيال فأصاب المتفرج بالارتباك .. على عكس فيلمه السابق والذي قدمه منذ عامين .. وكان يعالج نفس الموضوع تقريباً .

« ضوء القمر »

في ذلك الفيلم .. يحكي المخرج البولندي عن أربعة عمال بولنديين يسافرون الى لندن في مهمة لاصلاح وطلاء منزل انجليزي اشتراه أحد الأثرياء البولنديين .. وفضل أن يقوم بعملية الاصلاح عمال من بولندا لأنهم أرخص أجراً .

ويبدأ الفيلم من مطار وارسو .. والعمال يستعدون للسفر .. وينتهي الفيلم بمطار « هيثرو » بلندن في رحلة العودة ..

وخلال تلك الفترة .. نعيش ساعتين من المتعة « السينمائية » .. حيث يركز سيناريو الفيلم على علاقة العمال الأربعة بعضهم ببعض .. وعلاقتهم بالشارع الانجليزي .. وعلاقتهم بالأهل في الوطن .

.. فالعمال الأربعة .. ليس من بينهم غير واحد يعرف اللغة الانجليزية .. ولهذا نصب نفسه رئيساً لهم .. وقائداً لكل تحركاتهم .. يتحكم في النقود .. ويخطط لهم مواعيد العمل .. ونوعية مشترياتهم .. وأسلوب الترفيه .

وفي هذا البيت الانجليزي .. يعمل ويعيش هؤلاء العمال الأربعة .. لا تربطهم أي علاقة بالمجتمع الانجليزي .. إلا في لحظات شراء المأكولات من متجر « السوبر ماركت » .. متفرجون .. مندهشون .. مشترون في الحدود المسموح بها .. راضون عن حياتهم في الغربة ما دام هناك هذا التليفون العمومي في الشارع المجاور ، والذي يتلقون منه المكالمات من زوجاتهم وعائلاتهم في بولندا ..

الابن في إحدى محاولاته للتأقلم مع المجتمع الانجليزي ، لقطة من فيلم « النجاح أحسن انتقام »





الاحساس بالضياع كما تجسده تلك اللقطة من فيلم « حنين »



لقطة أخرى تعبر عن الضياع في الغربة .. ثم الصمت والكآبة والانتظار .. تعبر عنه إحدى لقطات فيلم « حنين »




أنوك إيميه ومايكل ليندون في فيلم النجاح أحسن انتقام



وفجأة تنقطع المكالمات التليفونية مع بولندا ..

ويكلفون زميلهم الذي يعرف التحدث بالانجليزية .. أن يسأل لهم لماذا انقطعت المكالمات التليفونية مع بولندا .. ويعود زميلهم ليخبرهم بأنه مجرد عطل في الخطوط الدولية .. ويطلب منهم ألا ينزعجوا .. بينما في داخله يتكتم المفاجأة التي زلزلت كيانه .. لقد فرضت الأحكام العسكرية في بولندا .. !

ويتمالك نفسه بصعوبة .. فهو أيضاً قلق على ما يحدث في بلده .. ولكن عليه أن ينهي المهمة التي جاء من أجلها .. وقد تعلم من المجتمع الانجليزي كيف يسرق البضائع من « السوبر ماركت » وأعجبته اللعبة .. فتمادى فيها .. وخزن كل مسروقاته لكي يسافر بها الى بلده .. وفرض على زملائه جوا من التعتيم حول اخبار بولندا .. انه يمنع وصول أي جريدة لهم .. فقد تحمل الجريدة صورة توشي بما حدث ..

وايضاً .. كان يخرج ليلاً .. لينزع من الطريق الذي يسيرون فيه .. كل الملصقات التي تحمل شارة التضامن البولندية .. والتي امتلأت بها الشوارع الانجليزية احتجاجاً على الأحكام العسكرية وحظر نشاط نقابة التضامن ..

انه يهمه فقط الا يعرف أحد من زملائه بما حدث في بولندا

وفي يوم الرحيل .. وبعد أن انتهت مهمة اصلاح البيت الانجليزي .. يقرر أن يخبر زملائه بما حدث حتى لا يفاجئوا به في مطار وارسو ..

وما يكاد يفتح فمه ليخبرهم .. حتى ينهالون عليه ضرباً .. وتتطاير الحقائب والبضائع التي اشتروها أو سرقوها . مع رتين علب الطعام المتساقطة على الأرض .. تثبت الصورة وينتهي الفيلم الذي حصل على جائزة احسن سيناريو في مهرجان كان عام ٨٢ .

« الحنين »

وبين هذين الفيلمين .. يأتي الفيلم





عالم الرياضيات يحرق نفسه احتجاجا على فشل العالم !

الممثل « جيرمي أيرونز » في دور رئيس العمال في فيلم « ضوء القمر » وهو يستمع لأخبار وطنه

الايطالي ــ السوفيتي المشترك والذي أخرجه المخرج السوفيتي « اندريه تاركوفسكي » بعيدا عن بلده .. لأول مرة ..

الفيلم يحمل عنوان « الحنين » .. وهو تحفة سينمائية حقيقية تعبر عن مشاعر المخرج تجاه بلده .. وذلك الاحساس الخانق في الغربة

ومن الصعب تلخيص الفيلم .. أو سرد أحداثه .. ذلك لأن الفيلم لا يقوم على الأحداث .. وانما هو نسيج من المشاعر الداخلية للمخرج .. رؤية شديدة الخصوصية . فيها الحزن والشجن .. والذكريات التي لا تنسى عن الوطن .. وايضا معاناة المهاجر الذي يحاول عبثا أن يتأقلم على أرض أخرى ..

فهذا المفكر السوفيتي الذي تدور من خلاله ومن حوله كل مشاهد الفيلم .. هو ذلك المهاجر الى ايطاليا . تساعده مترجمة ايطالية على مواصلة بحثه عن الحضارات .. ويلتقي بهذا الاستاذ الايطالي عالم الرياضيات ..

وكل من الثلاثة يعيش مشكلة .. تطارده ويطاردها ..

المفكر السوفيتي يعيش أزمة الاتصال بين الحضارات مؤكداً استحالة التقارب ..

والمترجمة الايطالية تعيش أزمة حب مع صديقها الايطالي ..

وعالم الرياضيات .. يعيش ذلك الاحساس بعبثية ما يقوم به .. فيسكب البنزين على نفسه .. وهو يخطب في ميدان عام .. ينعي فيه ما وصلت اليه البشرية .. ثم يحرق نفسه .

وينتهي الفيلم بذلك المفكر السوفيتي ممسكا بشمعة يدور بها وسط نافورة جفت مياهها وتشققت جدرانها .. ويستمر في الدوران دقائق طويلة ثم يظلم كل شئ ..

ويغلب على الفيلم الايقاع البطئ .. وجو شديد الكآبة والحزن .. ولكن يستطيع الفيلم أن يتسلل كسكين حاد ينزع كل القشور الخارجية ليصل الى الأعماق .. طارحاً سؤالا بسيطاً ومذهلاً .. ماذا يبقى لنا اذا فقدنا الاتصال بالوطن ؟ .. ويجيب الفيلم بنفس البساطة والاعجاز الفني .. انه الموت البطئ .

ويعترف المخرج السوفيتي الكبير « تاركوفسكي » أن الفيلم تعبير عن حالته الشخصية كسوفيتي يقضي معظم أيامه بعيداً عن بلده ــ باختياره أو مضطراً ــ وفي كل لحظة يشعر بالحنين الى موطنه .. وكما يقول المخرج .. أن الفيلم صدى لآلامي الخاصة .. لأنني بعيد عن وطني منذ حوالي العام .. والفيلم هو تجربة انفصالي عن الوطن .. قصة مرض اسمه الحنين .. مرض يسلب الروح قوتها . ويفقدك القدرة على العمل .. انني اشعر وكأني فوق قمة جبل . حيث ضغط الهواء منخفض وليس لدي الأوكسجين اللازم .. انه شئ اقرب الى فقدان الأمل .

أليس من الغريب .. الا ندرك قيمة من نحبهم إلا عندما نفقدهم .. وألا ندرك قيمة الأرض والوطن .. ألا عندما نرحل بعيداً

رءوف توفيق

في البدء كان السقوط!

قصة بقلم : نـــورة آل سعــــد

ــ ماما .. سأختبئ وعليك أن تجديني .

ودون أن ينتظر ردا تبخر في الهواء . اختارت بقعة بلا سبب . فرشت عليها البساط الأملس . ركزت في جهاته الأربع اوتادا من حجارة .. لعله لا يطير .

وأخيرا .. انتبهت لوجود المحيط الشاسع وبدا لها أنها محض نشاز عريق في وسط لوحة فطرية للغروب .. تناغم اللون والضوء والظلال . معجزة تامة بديعة . وحاولت أن تندهش لكن ساكنا أبديا في اغوار القلب لم يهتز . وتمتمت « ما معنى هذا كله » ؟ ماء .. ماء ولاشيء سواه . تراه بلا حدود . تسمع صوت ارتطامه بالصخور . تحس ملمسه الغافي على جلدها ومذاقه الصامت في اللسان وتعيه بشفافية محايدة . ماء .. ماء .. ماء ولاشيء سواه .. وتوجست خيفة فتذكرته « عليك أن تجديني » ونادت : ــ أين أنت ؟ صرخت بدرجات متفاوتة اليأس ولم يحر الكون جوابا .

كتل السواد تهيم على الوجود . تسد مسام الأرض . وتتمطى على خط الأفق . والقمر وحده أبيض .. لكنه شاحب وبعيد . هاهي .. سفينة الحياة في عرض المحيط ترتل أنينا واهيا وتنشد خلاصها وسط موج كالجبال .

ــ أين أنت ؟

وخيل اليها أنه يراقبها من مكان ما . يراها تتمزق إربا .. لكنه يمعن في عبثه . سيقول بنزق : كنت ألعب فقط .

نحو الصخور اتجهت . فقد تخفى مساربها المتعرجة كالأفعوان وهجا . رؤية . أو وهما ذا ناب أزرق . لا يهم .. فهي تريد أن تعرف بأي ثمن

« عليك أن تجديني » .... لكن قدمها زلت . تشهق . تكومت في ذلة . وكانت السقطة الأولى .. فأخجلها موقفها اذ تبدى لها كالعورة .

نظرت الى حيث كانت تقف . كيف سقطت الى أسفل ؟ هي هناك .. هي هنا . متى حدث ذلك ؟ هل كانت تحلم ؟ أمامها تبهرت فتحة مظلمة . هل تدخل ؟ نظرت حولها .. دليلا .. اشارة .. مجرد ايماءة .. لا شيء . فدخلت

كانت الشمس تموت وفي الداخل كانت العتمة سميكة وبعدقليل لفظ جسدها الحرارة وأصبح باردا كالفحمة المنطفئة . فكانت ظلمات ثلاث .

لما كان يسألها بالحاح أرعن :

ــ كيف جئت الى الدنيا ؟

كان يواصل طرح أسئلته بلا كلل ثم يبدأ بالصراخ ودق الأرض بقدميه ويمسك بخناقها ويهزها بلا رحمة فتدفعه بعيدا . حينئذ يتفرس فيها بلوم :

ــ لو كنت تحبينني !

عندما أنهكها السير في الممرات الخانقة السوداء تمددت على النتوءات الشرسة فأحست نسغا كهربيا يعبر بوابة الروح ويتدفق قطرة فقطرة في أعصابها فينداح الألم في دوائر مسترخية وخطر لها أنها لابد وأن تكون سعيدة . وقهقه شيء في داخلها : « ما السعادة ؟ » .

انتهت بها السبل جميعا الى منفذ وحيد . اقتربت . أطلت الى أسفل . في القاع تململ الماء الآسن في فتور وأحست بالاشمئزاز من كل شيء .. كان الحلم ينثال دائما على نفس المنوال . وكانت تحلم وترى نفسها في الحلم أما هو فكانت تحس بوجوده فحسب .. « عليك أن تجديني » .. ووقر في صدرها الوسواس :

ــ أين أنت ؟ هل أنت موجود على الاطلاق ؟

عند هذا الحد انتفضت . عض روحها الألم وتمنت لو تعود أدراجها الى ذلك البساط الناعم الأملس وتشهد من بعيد دراما الغروب في سكينة وأمن .. تناغم اللون والضوء والظلال .. ولا شيء بعد ذلك . انك لن تستطيع أن تسمع الا الموسيقى في الموسيقى .

ازدادت اقترابا من الحافة وأرادت أن تنتصب لكن المغناطيس الأعظم كان يحني قامتها نحو الأسفل في حين كانت تحاول ان تمسك بيده لكيلا يسقط .. لكيلا يسقطا معا وكانت محاولاتها تفشل بعنف فتهب

من نومها مدفوعة الى النشيج الأخرق .

ــ انظرى يا ماما ..

وكان يكور شفتيه باعياء وقد رقد لسانه بلا حراك على فكه الأسفل ارجوانيا . شاحبا وأخذ يمص الهواء بقوة ونظرت اليه . عيناها على لسانه وخيل اليها أنها ترى تيار الهواء يتجذب الى فمه المبقور كالهاوية .

ــ انى أُصفر . هل تستطيعين أن تصفرى ؟

وهزت رأسها بالنفى بدون تفكير . فجلس بجانبها مزهوا

ــ هل كنت تستطيعين ذلك وأنت صغيرة ؟

قالت : لا .

وأحست رجفة هائلة عندما فكرت بأنها ربما كانت صغيرة ذات يوم وتساءلت متى حدث ذلك ؟

كان الأمر بسيطا . تستطيع أن تقفز بخفة الى ... أو أن تسلم جسدها لقوة الجذب وتجاوبت مع النشوة الطاغية وتحشرجت فى شبق « أريد أن أموت » .

كان وعيها ينبض باحساس متطامن من التعب فى ظل الخدر عندما مرقت نسمة .. مجرد نسمة رطبة وتنفست ببطء .. بعمق . تشنجت أصابعها على الصخور وانهارت .

كان يجب أن تكون هناك .. لكنها لما تزل هنا . بلا زمن . بلا ذكريات . كل ما فى الأمر أن شيئا سحريا مسح بكفه على جبهتها وبمقدار ماحدث ذلك ولم يحدث أبدا كانت الانتباهة الأولى والأخيرة معا .

وتولاها ذعر خانق اذ اتصل بنفسها أنه لا معنى للموت .. أنه غير موجود تقريبا . الموجة تأتى تلو الموجة فى ايقاع أبدي .. وعبر الأجيال تشق فى الصخر سبيلا . عمر الموجة أقل من شهقة وعمر الصخرة من عمر الأرض .

انتصبت كخيال الحقول . تعلقت نظراتها المصلوبة بأضواء المدينة التى أخذت تتراقص من بعيد بينما يمتصها الضباب الموحل . يبتلعها بدون مقاومة وتغوص كالحجر الثقيل فى حلكة قاتمة كتلك التى تسبق بزوغ الفجر .

البحث عن الشاعر أمل دنقل

شعر : عبد الستار سليم



.. وأرحل خارج الأزمان
أسافر عبر وادى النيل
بين مواكب الأحزان
وأبحث عنك ...
وسط حشائش البردى ... والصبار
وأبحث عنك .. وسط مزارع الحنظة
وأبحث عنك ... بين حقولنا ..
المعروقة الأفكار
وأسأل عنك ... أستار الدجى ... والنور
وأسأل عنك كل الدور ..
والجميزة المهزولة القامة
وقد القاك .. عند مقابر القرية ..
تعيد الروح ... للأشعار والأشجار
وعند النيل ...
أسأل عنك ــ حول ضفافه ــ الأقوال والصمتا
وأسأل عنك ...
باب المعبد ... المملوء بالأسرار
أسافر عبر وادى النيل ...
ألــلم كل أشلائك
وأنقش كل أشيائك ...
على تابوت أضلاعى
أوارى وجه أوجاعى ...
حييناً
حين يبدو نبل أوجاعك
وأصلب عالى المشنوق ...
فوق حروف إبداعك
وأذرف دمعتى الحرى ...
على وجناتك السمراء ...
كي تخضر
وتســـتيقظ ...
لتــثأر ... من جذور الشر
فعــرشــك ...
لم تزل محفوفة يمناه ...
بــالخــلان
ودارك ...
لــم تــزل ...
مفتــوحة الأحضــان
أيا من عشــت ... فى الدنيا ... جنوبيا
كذلك كان ... « آمون » ــ الذى
مــا زال بين الناس ...
معشوقا ــ جنوبيا ..

أمل دنقل

من نومها مدفوعة الى النشيج الأخرق .

ـ انظرى يا ماما ..

وكان يكور شفتيه باعياء وقد رقد لسانه بلا حراك على فكه الأسفل ارجوانيا . شاحبا وأخذ يمص الهواء بقوة ونظرت اليه . عيناها على لسانه وخيل اليها أنها ترى تيار الهواء يتجذب الى فمه المبقور كالهاوية .

ـ انى أُصفر . هل تستطيعين أن تصفرى ؟

وهزت رأسها بالنفى بدون تفكير . فجلس بجانبها مزهوا

ـ هل كنت تستطيعين ذلك وأنت صغيرة ؟

قالت : لا .

وأحست رجفة هائلة عندما فكرت بأنها ربما كانت صغيرة ذات يوم وتساءلت متى حدث ذلك ؟

كان الأمر بسيطا . تستطيع أن تقفز بخفة الى ... أو أن تسلم جسدها لقوة الجذب وتجاوبت مع النشوة الطاغية وتحشرجت فى شبق « أريد أن أموت » .

كان وعيها ينبض باحساس متطامن من التعب فى ظل الخدر عندما مرقت نسمة .. مجرد نسمة رطبة وتنفست ببطء .. بعمق . تشنجت أصابعها على الصخور وانهارت .

كان يجب أن تكون هناك .. لكنها لما تزل هنا . بلا زمن . بلا ذكريات . كل ما فى الأمر أن شيئا سحريا مسح بكفه على جبهتها وبمقدار ماحدث ذلك ولم يحدث أبدا كانت الانتباهة الأولى والأخيرة معا .

وتولاها ذعر خانق اذ اتصل بنفسها أنه لا معنى للموت .. أنه غير موجود تقريبا . الموجة تأتى تلو الموجة فى ايقاع أبدى .. وعبر الأجيال تشق فى الصخر سبيلا . عمر الموجة أقل من شهقة وعمر الصخرة من عمر الأرض .

انتصبت كخيال الحقول . تعلقت نظراتها المصلوبة بأضواء المدينة التى أخذت تتراقص من بعيد بينما يمتصها الضباب الموحل . يبتلعها بدون مقاومة وتغوص كالحجر الثقيل فى حلكة قاتمة كتلك التى تسبق بزوغ الفجر .

البحث عن الشاعر أمل دنقل

شعر : عبد الستار سليم



.. وأرحل خارج الأزمان
أسافر عبر وادى النيل
بين مواكب الأحزان
وأبحث عنك ...
وسط حشائش البردى ... والصبار
وأبحث عنك .. وسط مزارع الحنطة
وأبحث عنك ... بين حقولنا ..
المعروقة الأفكار
وأسأل عنك ... أستار الدجى ... والنور
وأسأل عنك كل الدور ..
والجميزة المهزولة القامة
وقد القاك .. عند مقابر القرية ..
تعيد الروح ... للأشعار والأشجار
وعند النيل ...
أسأل عنك ـ حول ضفافه ـ الأقوال والصمتا
وأسأل عنك ...
باب المعبد ... المملوء بالأسرار
أسافر عبر وادى النيل ...
ألـــم كل أشلائك
وأنقش كل أشيائك ...
على تابوت أضلاعى
أوارى وجه أوجاعى ...
حبيبك
حين يبدو نبل أوجاعك
وأصلب عالمى المشنوق ...
فوق حروف إبداعك
وأذرف دمعتى الحرى ...
على وجناتك السمراء ...
كي تخضر
وتســـتيقظ ...
لتـــثأر ... من جذور الشر
فعـــرشـــك ...
لم تزل محفوفة يمناه ...
بـــالخـــلان
ودارك ...
لـــم تـــزل ...
مفتـــوحة الأحضـــان
أيا من عشـت ... فى الدنيا ... جنوبيا
كذلك كان ... « آمون » ـ الذى
مـــا زال بين الناس ...
معشوقا ـ جنوبيا ..

أمل دنقل



حاول أن تعرف



الصورة الأولى : على شاطىء نهر النيل ، وعلى بعد ٩٠٠ كيلو متر جنوب القاهرة ، حيث تقع مدينة رائعة ، تجمع بين سحر الطبيعة وعظمة الحضارة الحديثة . ويوجد بها اكبر بحيرة صناعية في العالم .. ما هو اسم هذه المدينة ، واسم البحيرة الضخمة ؟

● ● ●



الصورة الثانية : أحد ملوك اوربا الأقوياء ، جلس على العرش عقب وفاة والده عام ١٦٤٣ ، وكان عمره في ذلك الوقت لا يتجاوز الخمس سنوات ، وظـل في الحكم مدة طويلة ، ومن كلماته المأثورة (الدولة أنا) . ما إسم هذا الملك ومتى توفى ؟

حل مسابقـة حاول أن تعـرف وأسماء الفائزيـن للعـدد ١٠٤



الصورة الأولى . مدينه نابلس في الضفة الغربية
. الفائزة : سناء عبد اللطيف نصره ــ الأسكندرية
. الفائز : محمود عليان عبد الله ــ السعودية



الصورة الثانية : إبن جامع
. الفائز : على محمد العياني ــ اليمن
. الفائز : سميح سلامة عياد ــ مصر

ملاحظات هامة :

(١) اذكر على غــلاف الرسالة اسم المسابقة ورقم العدد .

(٢) المسابقة العامـة تتضمن (من ــ اين ــ مـا) والاجابة الصحيحة .

(٣) لايجوز الاشتراك في اكثر من مسابقة في العدد الواحد حتى لا يـلغى الخطاب .

(٤) ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجـلة الدوحة ــ ص . ب ٢٣٢٤ ــ الدوحة ــ قطر .

● لا تقبل الحلول التي لا يصاحبها كوبون المسابقات المنشور على صفحة ١٤٣ .

العـــــلم والمـــــال



سئل الخليل بن أحمد : أيهما أفضل العلم أم المال ؟

فقال : العلم

فقيل له : فما بال العلماء يزدحمون على أبواب الاغنياء ، والاغنياء ، لا يزدحمون على ابواب العلماء ؟

فقال : ذلك لمعرفة العلماء بحق الأغنياء وجهل الأغنياء بحق العلماء .

عبد السلام محمد عبد النعيم ــ السودان

مـــائـــدة محــرّمـــة

وقف اعرابى على ابى الاسود الدؤلى وهو يتغدى ، فسلم عليه فرد عليه السلام ثم اقبل على الأكل ، ولم يعرض عليه ، فقال الاعرابى :

اما أنى قد مررت بأهلك قال : كان ذلك طريقك . قال : وهم صالحون قال : كذلك فارقتهم ، قال وأمرأتك حبلى ، قال كذلك عهدى بها قال : ولدت ، قال : ماكان بد لها أن تلد ، قال : ولدت غلامين قال : كذلك كانت أمها ، قال مات احدهما ، قال : ماكانت تقوى على رضاع اثنين ، قال ثم مات الآخر ، قال : ماكان ليبقى بعد أخيه . قال : وماتت الام ، قال : جزعا على ولديها . قال : ما أطيب طعامك قال : وذلك جزائى على اهله ، قال : أف لك ما ألأمك ، قال : من شاء سب صاحبه .

محمد الحسن على حسن سالم

الشرقية ج .م .ع

لقطة الشهر



ألعاب فلكلورية من المغرب

وقد فاز بجائزة قدرها ١٠٠ ريال قطرى

القارئة : لطيفه أبو طالب ــ المغرب

كلمات لها معنى

● ليس من الضرورى أن تتشابه اصابع اليد الواحدة .. يكفى أنها تتعاون .

● بالرغم من أن الوقت يبدو للبعض بأنه أرخص شيء فى هذه الحياة ، إلا انه لا يمكن شراؤه حتى بأغلى الاثمان .

● راقبت قاطع حجارة ، ينهال على صخرة ضربا بمطرقته مئة مرة دون أن تبدو عليها آثار أى تشقق ، ثم انشطرت قسمين عند الضربة الأولى بعد المئة ، وعندئذ ادركت أن ما أدى الى ذلك لم تكن الضربة الأخيرة ، بل كل الضربات التى سبقتها !

● ليست العبقرية إلا القدرة على بذل الجهد المتواصل ، ولعل قليلا من الجهد الاضافى يحيل ما بدا اخفاقا ذريعا الى نجاح باهر ، فلا اخفاق إلا فى التوقف عن المحاولة ، ولا هزيمة إلا من داخلنا ، ولا عقبة مستعصية حقا إلا من ضعف العزيمة الكامنة فى النفس !

عبد العزيز أبو بكر محمد
الخرطوم ــ السودان







مسابقة الدوحة

المسابقة الشعرية

في احدى قصائد شاعر الفروسيه عنترة العبسي ، انسالت دموعه لمقتل صديقه مالك . وشبه اليوم الذى قتل فيه صديقه بشيء أسود .. حذفنا هذا الشيء ووضعنا بدلاً منه كلمة « المقصود » والمطلوب منك أن تعرف هذا « المقصود » عند عنترة .. وهاهى الأبيات الشعرية :

ترى هل علمت اليوم مقتل مالك ..
ومصرعه في ذلة وهوان
فإن كان حقاً فالنجوم لفقده ..
تغيب ويهوى بعده القمران
لقد كان يوماً أسود « المقصود » عابساً ..
يخاف بلاه طارق الحدثان

المقصود عند عنترة مكون من خمسة حروف :

٥ . ٤ . ٣ . ٤ الفتاه التى نظم فيها قيس بن الملوح بعض قصائده

عبارة شهيرة من هو قائلها ؟

في احدى مسرحيات الشاعر الراحل صلاح عبد الصبور ، التى صاغها عام ١٩٧٠ .. قدم لنا بطل مسرحيته المقهور المهزوم الذى يعانى من ضغوط القهر .. أحبته ليلى .. ولكنه عجز أن يرد لها هذا الحب .. مات أبوه وهو بعد طفل صغير وتزوجت أمه من رجل فظ غليظ القلب كى تأكل وتربى ابنها .. وكبر التمزق داخل الصغير كلما شب عوده .. وكبر القهر المعنوى من حوله .. خانه صديقه .. وتزوجت ليلاه من خائنه .. وأخيراً قبضوا عليه ليحاكم ..

ومن أشهر عباراته فى هذه المسرحيه التى نطق بها لليلى عندما سألته : لم لا تؤمن بالمستقبل .. فقال : « فى بلد لا يحكم فيه القانون .. يمضى فيه الناس إلى السجن بمحض الصدفة .. لا يوجد مستقبل .. فى بلد يتمدد فى جثته الفقر .. كما يتمدد ثعبان فى الرمل .. لا يوجد مستقبل .. فى بلد تتعرى فيه المرأه كى تأكل لا يوجد مستقبل .. » .

فما هو اسم بطل هذه المسرحيه الذى جاءت العبارة على لسانه ..
وما هو اسم المسرحية ؟

اسم المسرحيه مكون من مقطعين و ١٢ حرف .

٨ ، ٩ ، ٥ ، ١٢ ، بمعنى خلاعة وفسق

١٠ ، ٣ ، ١١ ، ٤ بمعنى نثنى .

جواز سفر

تاريخ الميلاد : ١٣ أبريل ١٩٠٦

مكان الميلاد : أحد أحياء دبلن (فروكسروك) عاصمة ايرلندا .

مؤهلاته : حاصل على ليسانس الآداب الفرنسيه والايطاليه .. وحصل على الماجستير فى الآداب الفرنسيه .

أول أعماله : نشر دراسة عن الروائى الفرنسى « مارسيل بروست » ونشر كتابه الأول « وخزات اكثر من الركلات » .

اشهر أعماله : مسرحية « فى انتظار جودو » ومسرحية « نهاية اللعبة » ومسرحية « كل الساقطين » ومسرحية « الأيام السعيده » ونال جائزة النقاد الشبان فى مهرجان فينسيا الدولى عام ١٩٦٥ عن فيلم واحد كتبه بعنوان « فيلم » .

الجوائز التى حصل عليها : حاز على جائزة نوبل فى الأدب لمساهمته . فى خلق حركة أدبيه مسرحيه سميت باسمه .

اسم صاحب هذا الجواز مكون من مقطعين و ١٠ حروف

٢ ، ٨ ، ١٠ ، ٦ ، فى كل المكاتب

١ ، ٥ ، ٦ ، نوع من الحديد

مسابقة مدن العالم

• مدينة هذه المسابقة هي مدينه عربية تقع في دولة المغرب .. والمطلوب منك أن تعرف اسم هذه المدينة من خلال المعلومات التي سنذكرها عنها .

• من أشهر معالم هذه المدينه هو السوق التجاري الذي تم تسميته على اسم المدينة .. وهو يشبه إلى حد كبير سوق الحميدية في دمشق .. السوق مقسم إلى أزقة .. كل زقاق يسمونه هناك بالقيصرية .. كل قيصرية متخصصة في صناعة نوع معين من الملابس الشعبية أو الصناعات اليدوية من صناعات جلدية ونحاسية وفضية .

• قبل أن تدخل هذا السوق سيقابلك ميدان فسيح يسمونه هناك بميدان « جامع الفنا » .. يشتهر الميدان بالمطاعم والمقاهي الشعبية ومحلات العطارة ، وألعاب البهلوانات والقراداتية ومروضي الثعابين وقارئي الكف والأطباء الشعبيين الذين يعالجون المرضى عن طريق الأعشاب الطبيعية ..

• يقام كل سنه بهذه المدينه المهرجان الوطني الفلكلوري للفرق الشعبية على مسرح قصر أثرى يسمى « قصر البديع » .

• اسم المدينه من مقطع واحد ومكون من خمسة حروف

٥ ، ٢ ، ٤ بمعنى فخ أو مصيدة .

حل مسابقة العدد ١٠٤

من : إبن بطوطه

أين : مدينة فاس

ما : تحفة الأنظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار

الاجابة الصحيحة

١ ـ ٩٧٠ ـ ٩٧١م

٢ ـ ١٩٦٠

٣ ـ داود الأنطاكي

٤ ـ مايثووب

٥ ـ الولايات المتحدة الأمريكية

٦ ـ الاتحاد السوفيتي

٧ ـ الصين الشعبية

٨ ـ بريطانيا

٩ ـ فرنسا

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى القارئ : محمد عبد الحميد موسى ـ ليبيا

فاز بالجائزه الثانيه وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى القارئ : عمر إبراهيم محمد عطيه ـ الأردن

فاز بالجائزه الثالثه وقدرها ١٠٠ ريال قطرى القارئ : أحمد محمد راغب مصر

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ـ حسين صالح حيدر ـ اليمن

٢ ـ عبد الرسول على الغلاف ـ البحرين

٣ ـ عايده عبد الغنى يونس ـ الأمارات العربية المتحده

٤ ـ فايز عبد الغنى النجار ـ مصر

٥ ـ عمران محمود العثمان ـ السعودية

٦ ـ محمد صلاح الدين عبد اللطيف ـ قطر

٧ ـ رويدا حمد الله العلي ـ الأردن

٨ ـ الحاج الحسن محفد ـ المغرب

٩ ـ آدم حامد آدم ـ السودان

١٠ ـ يوسف حسين حماده ـ سوريا

حل استراحة الدوحة العدد ١٠٤

١ ـ أصل وصوره : الشارب ـ الأسنان ـ العينان ـ الأنف ـ الذقن ـ الحواجب ـ سوالف الشعر

٢ ـ لوحه لم تتم : وليم شكسبير

٣ ـ خيال من : الشيخ محمد الشعراوى

٤ ـ لأقوياء الملاحظه فقط : كتكوت ـ ساعه ـ بقرة ـ جمل ـ ثعبان ـ مفتاح

٥ ـ يخلق من الشبه أربعين : رقم ٥

٦ ـ لعبه الظلال : رقم ٣

٧ ـ هات أجمل تعليق

ـ أى نفس حضرب في المليان

ـ من لم يمت بالمسدس مات بالسجائر

الفائزون

١ ـ فتح الرحمن ضرار ـ السودان

٢ ـ محمد فتحي طنطاوى ـ مصر

٣ ـ أيف وارهام أحمد ـ المغرب

٤ ـ حسن عبد اللطيف ـ السعودية

٥ ـ أحمد السيد عبد الفتاح ـ قطر

٦ ـ مهند يوسف حداد ـ الأردن

٧ ـ يعقوب إبراهيم يعقوب ـ سلطنه عمان

٨ ـ محمد أبو الفتح بشير ـ السودان

٩ ـ مجده السيد سالم ـ مصر

١٠ ـ سيمون البير تاجر ـ القاهرة

١١ ـ أحلام خليفه الكبيسى ـ قطر

١٢ ـ حسن محمد عبد اللطيف ـ السعودية

١٣ ـ عبد الغفار محمد الفار ـ مصر

١٤ ـ يحيى عبد اللهالعرياني ـ السعودية

كوبون مسابقات مجلة الدوحة

الاسم : ____________________

العنوان : ____________________

____

اسم المسابقة : ____________________

رقم العدد : ____________________

« تحذير »

التدخين يضر بصحتك

وننصحك بالامتناع عنه







مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة:







رغم أنه يتحدر إلى جد هولندى ، فقد ولد في مدينة بون بألمانيا ليدرس الموسيقى منذ الخامسة من عمره ، وليصبح من اعلام الموسيقى في العالم.. إنه الموسيقار العالمى بيتهوفن الذى ترى بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى الخاص به سبع اختلافات بسيطة ، إذا تعرفت عليها فلك جائزة.



هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى شائع في كل البلاد العربية .. اكتب لنا المثل الشعبى لتحصل على جائزة



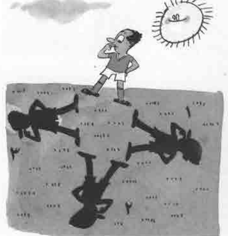
سجل أحد اللاعبين هدفا قويا في مرمى الخصم بعد أن اقتحم أرض الملعب كالصاروخ .. حدد من هو صاحب الهدف ورقم فانلته لتحصل على جائزة

لوحة لم تتم



هذه اللوحة التي لم تتم لشاعر غنائي راحل ترجم رباعيات عمر الخيام إلى العربية ، وارتبط إسمه بسيدة الغناء العربي أم كلثوم ، أكمل اللوحة ، وتعرف على الشخصية لتحصل على جائزة

لعبة الظلال



هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب في العثور على ظله الحقيقي ؟ إذا عرفت الحل أرسله إلينا ولك جائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط !



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل أرسله إلينا لتحصل على جائزة

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بشخصية المطرب السعودي طلال مداح ، من بين هذه اللوحات واحدة تشبهه تماما وفي البقية إختلافات بسيطة إذا تعرفت عليها حصلت على جائزة .



بقلم : عبد الله الجفري

عصفور يتوسل !

وددت لو يتوقف لحظة عن تلك القهقهات الكرتونية الكربونية .. لعله يصغي الى اصداء بعض ما ترسب في أعماقه ، ولكنه بذلك الضحك (السمج) كان يحاول ان يقفز فوق الأشياء التي في نفسه ، وكنت أساله احيانا :

ـ لماذا هذا الهروب ؟ !

ـ ويقول لي : اي هروب تعني ؟ !

ـ هروبك من نفسك ، او من كل الذي في نفسك .. ام ان الهروب عندك متعدد ؟ !

ـ ويقول لي : احيانا تتساوى الأشياء فتكاد تصبح كلها هي الشيء الوحيد .. الابتسامة او الدمعة . الضحكة او الآهة . الحنين او الشجن .. كانني افتقد في اعماقي ذلك القادر الذي ينهض في داخل نفسي ، ويصفع نشيجها ، ولا ينحدر الى ارتجافاته العاطفية ، ولا الى إفراغاته الصغيرة .. تلك التي تتكون من التعب ، او من طول الزمان ، او من اليأس !

ـ اقول له:لكننا نحتاج بالفعل الى افراغاتنا الصغيرة في بعض الوقت .. حتى تغير طعم النفس هروبا او تناسيا !

ـ ويقول لي : قد ننجح في تغيير طعم النفس .. لكن طعم الحياة واحد عندما يصبح الانسان وحده .. اما عندما يكون الانسان حيا بالحنين الذي فيه .. جياشا باشجان الخفق .. طالعا مع كل دمعة كاللبلاب .. فلابد ان يستكنه الحياة ، ويتذوق احساسه بالناس فيها ، وقدرة مشاعر الناس على التذكر !

ـ بدات انظر اليك كانك علامة استفهام (باردة) ، لان كل الذي ذكرته لا يضطرك ان تقهقه بلا حس ، او ان تبتسم بلا لون !

ـ ويقول لي : بدات أنظر الى أغلب الاجوبة ـ خاصة ما نضعها كرؤية ـ وكانها صوت محدد .. يدعني اتبعثر في جوف الهدوء الذي يشبه جوف سمكة . ان قدرة الانسان اليوم تتمثل في صورة واحدة .. هي : كيف لا نحتفل بمرئياتنا وكيف ننهيها بتمهل ؟ إن بعض ما نمارسه بمعنى العمر هو لا اكثر من انهاء متمهل للكثير من الحب في اعماقنا ، وللكثير من الخير !

ـ فما هو مضمون ذلك الانهاء الذي نمارسه ؟ !

ـ ويقول لي : لا داعي ان ترى ، فقد تعبنا من النظر ، ولكننا نحتاج الى شحذ الشعور فينا .. ان نرى بالحس . اما مضمون ذلك الانهاء .. فتجده في العنف الذي يسيطر على انسان الحضارة ، وتجده في اضطراب الاعصاب (النرفزة) ، وتجده في دموية الماديات والانانية ، وربما اجتمعت كل هذه الظواهر في الأشياء التي تصنعنا ، فنحن نصنع المصالح من حب الذات ، وهذا شر ، ونحن نصنع اللهو من الرغبة في ارضاء لحظة المتعة طويلا ، ونحن نصنع وسائل الرفاهية والتقدم من نوايا التفوق على الآخرين والسيطرة عليهم .. تماما مثلما ترى ان الدول الكبرى المتقدمة علميا تحاول أن تسيطر على الدول الصغرى المتاخرة علميا وحضاريا .. فالشر لا يصنع الانسان ، بل اصبح الانسان اليوم بوسائله المتقدمة ، وامكانياته الحضارية يصنع الشر ليدمر به الآخرين ويدمر نفسه !

ـ ولكن ... يبقى الخير هو طبيعة النفس الانسانية .. احيانا يستمر هذا الخير في نفس اختمت بالطيبة وبالوعي ، وبالحب ، بعيداً عن الشر ، فيبقى الخير ثابتاً مهما تعاقبت امواج الاغراءات بمدهـــا وجزرها .

ـ ويقول لي : ان الحب ، والكراهية ، والألم والراحة ، والأمل والندم .. اشياء نحطمها او تحطمنا ، والانسان هو الخاسر في النهاية

ـ واذن .. فالى اي نقطة وصل هذا الانسان ؟ !

ـ كم من الزمان تجاوز ، او كم من السنوات تقهقر اليها ؟ !

لن يكون انسان هذا العصر متخلفا .. لكنه مثقل بظلال شموسه ، انه يتلفت خلفه محاولا ان يقيس ظله من ورائه ، وغالبا يبدو الظل اطول في التمدد خلف وقفة الانسان !

او ان هذا الانسان يتامل : (كيف تطبع الارض بالضحك) .. وهو ضحك سخيف في اصدائه ، فيلمس لزوجة الشفاه ، وصمغ الكلمات !

ونحن نتحاور في محاولة ان لا يطغى الرمز على تعبيراتنا .. غير ان الكلام عن الوعي ، وعن الحب ، وعن الانسان السوي .. يصبح محاولة لتصوير رجل يتكيء على دموعه في داخله ، او كانه يسلب نفسه من داخل نفسه ليتعثر .. رافضا الأشيـــاء التي تخترقـه ولا يقدر ان يخترقهـا !

في البدء .. كان الانسان الطيب يغني (للشجرة التي لا تنام ابدا) .

في هذا الزمان .. يكون الانسان هو هذا الشخص بعينين معتديتين .. يرمق بهما كل نجمة بعيدة تنسحب فوق صفحة السماء وتسقط .. فلا يعرف انها شهبا إلا بعد سقوطها !

لقد نبتت في نظرات الانسان اظافر .. ولكن في صدره ـ ما زال عصفور يتوسل !!